أصول التفسير

دراسة في المبادئ العامة والضوابط والقواعد

الأستاذ الدكتور

محمد كاظم حسين الفتلاوي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم

جامعة الكوفة

١٤٤١هـ - ٢٠١٩م

أصول التفسير / دراسة في المبادئ والضوابط والقواعد
الدكتور محمد كاظم حسين الفتلاوي
الطبعة الأولى ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م

الناشر: دار حدود للنشر والتوزيع / بيروت
مطبعة: دار الرافد للطباعة – بغداد

مراجعة : الدكتور حيدر حسن الأسدي

التصميم والإخراج الفني
مكتب الإبداع / محمد الخزرجي ٠٧٨٠٠١٨٠٤٥٠
العراق – النجف الأشرف

الرقم الدولي
I. S. B. N 978 – 600 – 5693- 39 - 5

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٩٠٧) لسنة ٢٠١٨م

محفوظة جميع الحقوق

العراق – النجف الأشرف

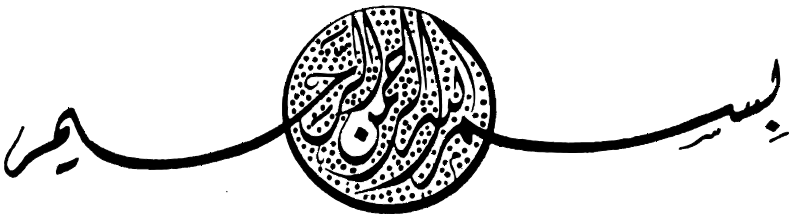

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾[1].

صدق الله العلي العظيم

١- سورة الإسراء، الآية: ٨٠.

الإهداء..

قال الإمام السجّاد عليه السّلام:

"وَحَقُّ سَائِسِكَ بِالْعِلْمِ التَّعْظِيمُ لَهُ وَالتَّوْقِيرُ لِمَجْلِسِهِ وَحُسْنُ الِاسْتِمَاعِ إِلَيْهِ وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ وَأَنْ لَا تَرْفَعَ عَلَيْهِ صَوْتَكَ وَلَا تُجِيبَ أَحَداً يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يُجِيبُ وَلَا تُحَدِّثَ فِي مَجْلِسِهِ أَحَداً وَلَا تَغْتَابَ عِنْدَهُ أَحَداً وَأَنْ تَدْفَعَ عَنْهُ إِذَا ذُكِرَ عِنْدَكَ بِسُوءٍ وَأَنْ تَسْتُرَ عُيُوبَهُ وَتُظْهِرَ مَنَاقِبَه ..."[1]

إلى أساتذتي.. ممن أضاء بعلمه عقل غيره
أو هدى بالجواب الصحيح حيرة سائليه
فأظهر بسماحته تواضع العلماء
وبرحابته سماحة العارفين.

محمد

١- المجلسي، بحار الأنوار، ٤٢/٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة..

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

أما بعد.. من المعلوم والمُسلّم شرعاً ان تلاوة القرآن المجيد عبادة، وتزداد حسناً وفضلاً بالتدبر والفهم... ولا يزال الناس بحاجة في كل عصر الى من يُفسر لهم القرآن الكريم ممن آتاه الله تعالى فهماً دقيقاً، وحسّاً مرهفاً، ينظر الى مجتمعه بعين فيشخِّص أمراضه، ويتوجس علله، وينظر بالعين الأخرى الى القرآن الكريم ملتمساً العلاج الشافي والدواء الكافي.

قال رسول الله ﷺ: (القرآن هدى من الضلالة وتبيان من العمى واستقالة من العثرة ونور من الظلمة وضياء من الاحداث وعصمة من الهلكة ورشد من الغواية وبيان من الفتن وبلاغ من الدنيا إلى الآخرة وفيه كمال دينكم وما عدل أحد عن القرآن إلا إلى النار)[١].

ولكل زمان وقائعه ولكل أمة ظروفها وحاجتها ولو لم يكن لها ذلك لاكتفت الأمة كلها بتفسير واحد يفسر لها القرآن، وبعالِم واحد يستخرج لها الأحكام.

ولكن الأمر جد يختلف، فالقرآن مع قلة لفظه وصغر حجمه مشتملاً على جميع ما كان وما هو كائن، وما يكون إلى يوم القيامة. فمعانيه من السعة بحيث لا يستطيع مفسر أن يحيط بها، وفي أحكامه من الشمول بحيث لا يستطيع عالم أن يستوعبها، وهنا سر عمومية القرآن، وشمولية الرسالة، حيث يفهم أهل كل عصر

١- الكليني، الكافي، ٦٠١/٢.

من القرآن الكريم ما تقوم به حياتهم، ويجلو لهم ظلمات مجتمعهم، وينير لهم السبيل.

قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: (آيات القرآن خزائن فكلما فتحت خزانة ينبغي لك أن تنظر ما فيها)[١].

وهذا التدبر والفهم كما هو مطلوب من كل مسلم، إلا ان تفسيره للناس ليس حقاً لكل إنسان أن ينطلق كيف شاء في الأفق من غير معرفة، قال الإمام علي عليه السلام: (ما من حركة إلا وأنت محتاج فيها إلى معرفة)[٢]، لهذا عليه أن يلتزم طريقاً واضحاً حتى لا تلتبس عليه الأمور، أو يشطح به الفكر، فهو مهما أوتي من قوة محدود الطاقات والملكات، لا يستطيع أن يدرك كل الحقائق، إذ لا بد لتفسير كلام الله تعالى من معرفة في أصول وضوابط وقواعد يجب مراعاتها لمن أراد ذلك، فهي الموازين والمعايير التي تضبط التفسير، وتبعده عن الشطط بالقول والعبث بالمعاني.

أهمية الموضوع: إذن علم أصول التفسير من أشرف العلوم وأعلاها وأسماها، وبه ترتسم الجادة لمن رام التفسير، يقول الشيخ خالد العك: (إن موقف أصول التفسير بالنسبة الى التفسير كمثل علم النحو بالنسبة الى النطق العربي والكتابة العربية، فكما أن هذا العلم هو ميزان يضبط القلم واللسان، ويمنعها من الخطأ في آخر الكلام، فكذلك علم قواعد التفسير هو ميزان للمفسر يضبطه ويمنعه من الخطأ في التفسير)[٣].

١- الكليني، الكافي، ٦٠٩/٢.
٢- المجلسي، بحار الانوار، ٢٦٧/٧٤.
٣- أصول التفسير وقواعده، ص٣١.

إذن أهم وظيفة يؤديها علم أصول التفسير هي ضبط الاستنباط والفهم، والترجيح عند الاختلاف، إذ فيه الأسس والقواعد التي يعرف بها تفسير كلام الله، والشروط والمقدمات العلمية التي يحتاجها المفسر. وقد أصبح البحث عن أصول للتفسير والتأويل هاجساً لدى المشتغلين بالتفسير حديثاً.

ولكن مما يؤسف له أن تصدَّر للتفسير في العصور المتأخرة أناس لم تتوفر فيهم المعرفة من أدوات التفسير وأصوله، وتجرأوا على تفسير كلام الله، دون أن يحسبوا لعاقبة ذلك حساباً، وكأنهم قد أحاطوا بالقرآن علماً، وبمعناه فهماً، فكانوا ضالين ومضلين سواء عند قصد أو عن جهل.

وبعد ما بدا من أهمية أصول التفسير لقارئ القرآن ومفسره، وتتبعت بقدر الطاقة والتوفيق للمصادر والمؤلفات ذات الشأن في أصول التفسير وهي جهود كبيرة[١]؛ وهذا الإطار لا يمنع ولا ينفي الاختلاف الواسع في كل التفاصيل بدءاً بالاسم ثم المسمى، فبين من يسميه أصول التفسير ومن يرى تسميته أصول البيان، وبين يجعله مرادفاً لعلوم القرآن، ومن يجعله علم أصول التفسير وقواعده، ومن يعبر عنه أُسس التفسير.. فإذا انتقلنا إلى التفاصيل فحدث ولا حرج!!

١- هناك جملة من المؤلفات في أصول علم التفسير، افاد الكاتب منها كثيراً: فهماً واسلوباً واقتباساً، منها: ظ: محمد فاكر المبيدي، قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، د. محمد حسين الصغير، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، د. علي بن سليمان العبيد، تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه، د. عبد السلام مقبل المجيدي، التنوير في أصول التفسير، د. مساعد الطيار، التحرير في أصول التفسير، د. محسن عبد الحميد، دراسات في أصول التفسير..

كما ولحظت فيها كما لحظ غيري من الباحثين ان (كل من كتب في قواعد التفسير ينقصه جانب ضبط الصياغة وسبكها)[١]، وكذلك لحظت في هذا الصدد بكتابين حافلين في هذا الموضوع، هما: (قواعد التفسير) للدكتور خالد السبت، و(قواعد الترجيح بين المفسرين) للدكتور حسين الحربي، وقد بذلا جهداً كبيراً يذكر فيشكر، لكن أخذ على الأول طريقته في صياغة القاعدة، وانتقده في ترتيبه الذي قارب أصول الفقه، وأما الثاني فهو محصور بقواعد الترجيح.

سبب اختيار الموضوع: ووجدت من المسؤولية بمكان ان أعدّ لطلابي في البكالوريوس والماجستير تأليفاً أكاديميّاً تدريسياً في بعض أصول التفسير وقواعده وضوابطه[٢]، مع الأخذ بنظر الاعتبار ان في علوم القرآن، جملة مباحث تحتاج إلى مراجعة على مستوى التصنيف وتوحيد المصطلحات، وتحديد المفاهيم وتصحيح المضامين، سعياً إلى بناء قواعد منهج البيان، وهو أمر لا يتم إلا بعمل جماعي متكامل من أهل الاختصاص يبدئ فيه لتحقيق المناط بين علم أصول التفسير وعلم أصول الفقه.

منهج الكتاب: اعتمدت في تحرير هذا الكتاب على المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي، ملتمساً مفردات علم أصول التفسير ومن ثم بيانها وأهميتها.

وكانت **خطة هذا الكتاب** بخمسة فصول؛ وفي كل فصل عدد من المباحث، فكان الفصل الأول مقدمات تمهيدية والذي كان فيه مبحثين الأول أهم المؤلفات في أصول التفسير، والموضوعات المندرجة في هذا العلم الشريف والمبحث الثاني

١- د. حسنين محمد، أصول التفسير النظرية والتطبيق، ص٣٤، ظ: د. محسن عبد الحميد، دراسات في أصول التفسير، ص١، د. عدي جواد الحجار، الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، ص١٢، عبد الرحمن الحللي، علم أصول التفسير وصلته بالعلوم الأخرى، موقعه رابطة أدباء الشام، مجموعة من الباحثين، علوم القرآن، ص١٢.

٢- وهذه الضوابط والقواعد لا اقصد فيها الاطلاق في دلالتها أو الحصر في عددها. كما سيلحظ القارئ الكريم التواشج المعرفي بينها.

معالم القرآن ومقاصده وعلاقتها بأصول التفسير. والفصل الثاني عن مبادئ علم أصول التفسير والعلاقة بين قواعد التفسير وأصوله، والفصل الثالث فقد كان عن مصادر أصول التفسير، وما الفصل الرابع فكان تحت عنوان ضوابط أصول التفسير، والفصل الخامس فقد ضمنته جملة من قواعد أصول التفسير. متلوات بخاتمة وقائمة بأهم المصادر.

ولا أزعم أني حققت المراد فيما حررت في هذا الكتاب، إلا اني بذلت من الجهد والتتبع ما أرجو فيه رضا الله سبحانه في الدارين، وأجراء الخير للقارئ الكريم؛ فأكون والقارئ ممن يتعلم ويُعلم القرآن وعلومه، وممن شملهم قول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (ينبغي للمؤمن أن لا يموت حتى يتعلم القرآن أو يكون في تعليمه)[1]. وما السداد إلا من عند الله سبحانه، ولعله يكون هذا الكتاب مفتاحاً للباحثين للولوج الى رحاب هذا العلم والتوسع فيه وينفعنا الله بهم.

وصلى الله على محمد وآله الطهرين

د. محمد كاظم الفتلاوي
جامعة الكوفة / النجف الأشرف
٢٠١٩م

١- الكليني، الكافي، ٦٠٧/٢.

الفصل الأول

مقدمات تمهيدية

الفصل الأول: مقدمات تمهيدية:

من أجل التوطئة التي نجد لها من الأهمية مكان ان نستجلي مكامن ماهية علم أصول التفسير في المصادر، وهكذا عمد جُل من كتب في مقدمات هذا العلم ووجدنا من النفع ذكرها مع الزيادة.

ونظراً للترابط الوثيق بين علم أصول التفسير بمقاصد القرآن الكريم لحظنا التمهيد لها بمعالم هذه المقاصد في هذا الفصل، فكان من مبحثين وعلى النحو الآتي:

المبحث الأول: أهم المؤلفات في أصول التفسير، والموضوعات المندرجة في هذا لعلم الشريف .

المبحث الثاني: معالم القرآن ومقاصده.

المبحث الأول

أهم المؤلفات في أصول التفسير والموضوعات المندرجة في هذا العلم الشريف

ان المتتبع لموضوعات أصول التفسير يلحظ الحاجة إلى كتاب يلم بمسائل هذا العلم، ويعرضها بأسلوب واضح إذ انها متناثرة في بطون الكتب والتفسير ومناهجه وعلوم القرآن والأصول، وهذا ما قرره الدكتور محمد لطفي الصباغ بقوله: (أصول التفسير مبحث مهم تفرقت موضوعاته في مقدمات بعض المفسرين وفي كتب

أصول الفقه ...)[١]. ويمكن تصنيف المؤلفات في هذا العلم الشريف إلى ست مجموعات:

المجموعة الأولى: كتب مصرحة بانها في أصول التفسير؛ ومنها:

١. مقدمة في أصول التفسير[٢] لتقي الدين احمد بن تيمية (ت٧٢٨هـ).
٢. الفوز الكبير في أصول التفسير: ولي الله احمد بن عبد الرحمن الدهلوي (ت:١١٧٦هـ).
٣. توشيح التفسير في قواعد التفسير والتأويل: الميرزا محمد بن سليمان التنكابني (ت: ١٣٠٢هـ).
٤. العون الكبير شرح الفوز الكبير: سعيد احمد بن محمد يوسف البالنبوي: وهو شرح الكتاب السابق.
٥. الإكسير في أصول التفسير: محمد صديق خان بن السيد حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري ابو الطيب القنوجي الهندي المحدث امير بهوبال (ت:١٣٠٧هـ).
٦. أصول التفسير وقواعده: خالد العك .
٧. تفسير القرآن الكريم – أصوله وضوابطه _: الدكتور علي بن سليمان العبيدي.
٨. بحوث في أصول التفسير: الدكتور محمد لطفي الصباغ .

١- بحوث في أصول التفسير، ص١٢، ظ: د. عدي جواد الاحجار، الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، ص٨٤.
٢- وهذا الاسم (مقدمة في أصول التفسير) ليس من وضع ابن تيمية بل هو من وضع مفتي الحنابلة بدمشق جميل الشطي الذي طبع الكتاب سنة ١٣٥٥هـ، اما ابن تيمية فقد اشار في بداية المقدمة إلى انه كتب هذه المقدمة بناء على طلب بعض اخوانه لتتضمن قواعد كلية تعين على فهم القرآن ومعرفة تفسيره.

٩. بحوث في أصول التفسير ومناهجه: الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي.
١٠. أصول التفسير والتأويل: السيد كمال الحيدري.
١١. التيسير في أصول التفسير: الدكتور عبد الحق القاضي .
١٢. فصول في أصول التفسير: الدكتور مساعد الطيار .
١٣. الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني: الدكتور عدي جواد الحجار.
١٤. أصول وقواعد التفسير الموضوعي: مازن شاكر التميمي.

المجموعة الثانية: كتب في قواعد التفسير:

يكاد ان يكون مصطلح قواعد التفسير مرادفاً لمصطلح أصول التفسير، ومن الكتب التي أُلفت بهذا الاسم:

١. التيسير في قواعد علم التفسير: محمد بن سليمان الكافيجي (ت:٨٧٩هـ) .
٢. القواعد الحسان لتفسير القرآن: عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت:١٣٧٦هـ) .
٣. قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة: محمد فاكر المبيدي.
٤. قواعد التفسير جمعاً ودراسة: الدكتور خالد بن عثمان السبت.
٥. قواعد الترجيح عند المفسرين: خالد الحربي.

المجموعة الثالثة: كتب تتكلم عن أصول التفسير أو تشير إلى شيء منها، وعناوينها عامة، ومنها:

١. كتاب جواهر القرآن: أبي حامد الغزالي(ت:٥٠٥هـ): وهو أول محاولة لتأسيس كتاب مستقل في أصول التفسير، وذكر عنه تلميذه ابن العربي انه كتب في قانون التأويل[١].

١- قال عبدالله يوسف الجديع في هذا الموضوع: "جاء ذكر" قانون التأويل " للغزالي نقلاً عن ابن العربي في جملة ما الف في (قواعد التفسير) والواقع ان هذا الكتاب رسالة صغيرة

٢. كتاب قانون التأويل: القاضي ابي بكر بن العربي: والكتاب محاولة تأسيسية لبيان كيفية فهم القرآن الكريم وان كان ينحو نحو النقاش العقدي.
٣. البيان في تفسير القرآن: السيد ابو القاسم الخوئي(ت: ١٤١٣هـ) (مرجع ديني معاصر).
٤. الإرشاد إلى طريق المعرفة لصحيح التفسير: وهو جزء من كتاب ايثار الحق على الخلق لمحمد بن ابراهيم الوزير (ت:٨٤٠هـ) .
٥. كتاب التفسير والمفسرون: الدكتور محمد حسين الذهبي: وهو كتاب جامع بين منهجين: منهج أصول التفسير، ومنهج مناهج المفسرين .
٦. النبأ العظيم: الدكتور محمد عبدالله دراز .
٧. مدخل إلى القرآن الكريم: الدكتور محمد عبدالله دراز ... والكتابان من الكتب النفيسة التي تشكل مدخلاً مهماً لمفسر القرآن الكريم.
٨. مدخل التفسير: الشيخ محمد الفاضل اللنكراني.
٩. مدخل إلى القرآن الكريم: الشيخ ابي الحسن الندوي.
١٠. المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم (بين النظرية والتطبيق): الدكتور محمد حسين علي الصغير.
١١. تطور تفسير القرآن (قراءة جديدة): الدكتور محسن عبد الحميد.
١٢. المنطلقات الفكرية لتفسير النص القرآني (عرض وتطبيق)، الدكتور سيروان الجنابي.

المجموعة الرابعة: كتب علوم القرآن:

فكتب علوم القرآن تصلح أسساً في التفسير إذ معظم أصول التفسير مستخرجة منها؛ ومن اشهرها:

الحجم للغزالي مطبوعة يتحدث فيها عن تأويل بمصطلحه الكلامي الأصولي، وليست لها علاقة ظاهرة بقواعد التفسير....".

١. البرهان في علوم القرآن: محمد بن عبدالله الزركشي (ت:٧٩٤هـ) .
٢. الإتقان في علوم القرآن: أبي بكر جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي(ت:٩١١هـ) .
٣. الكتاب الموسوعة: الزيادة والإحسان في علوم القرآن: محمد بن احمد بن عقيلة المكي(ت:١١٥٠هـ).

المجموعة الخامسة: مقدمات المفسرين في كتب التفسير:

فقد اشار المحققون من المفسرين في مقدمات تفاسيرهم إلى أصول تفسيرية مثل:

١. مقدمة تفسير (جامع البيان عن تأويل القرآن): الطبري أبي جعفر محمد بن جرير (ت:٣١٠هـ).
٢. مقدمة (النكت والعيون): الماوردي أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت:٤٥٠هـ) .
٣. المحرر الوجيز: الاندلسي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي (ت:٥٤٦هـ) .
٤. مقدمة تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي ابو علي الفضل بن الحسن (ت:٥٤٨هـ).
٥. مقدمة تفسير الجامع لأحكام القرآن: القرطبي شمس الدين محمد بن احمد (ت:٦٧١هـ).
٦. مقدمة (التسهيل): الاندلسي أبي بكر احمد بن ابي القاسم المعروف بابن جزي الكلبي (ت:٧٨٥هـ) .
٧. مقدمة تفسير القرآن العظيم: ابن كثير عماد الدين اسماعيل بن عمر القرسي الدمشقي (ت:٧٧٤هـ).
٨. مقدمة تفسير روح المعاني: الآلوسي أبي الثناء شهاب الدين محمود بن عبدالله (ت:١٢٧٠هـ).

٩. مقدمة تفسير القاسمي: القاسمي جمال الدين الدمشقي (ت:١٩١٤م) .
١٠. مقدمة تفسير التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور(ت:١٩٧٣م).
١١. مقدمة تفسير أضواء البيان: الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار (ت:١٣٩٣هـ).

المجموعة السادسة: كتب التفسير ذاتها:

فنجد قواعد التفسير وأصوله مبثوثة في كتب المفسرين كالتفاسير المشار إليها سابقاً، ويضاف إليها من مهمات مؤلفات التفسير: تفسير فتح القدير للشوكاني محمد بن علي (ت:١٢٥٠هـ).

الموضوعات المندرجة في هذا العلم:

كان هناك تداخل واضح بين علوم القرآن وأصول التفسير، ولذا كان أول مؤلف للسيوطي في علوم القرآن يسمى (التحبير في علوم التفسير) وآخر مؤلف له فيه يسمى (الإتقان في علوم القرآن) فترادف عنده المصطلحان: (علوم التفسير) و(علوم القرآن)، إلا انه بدأ ظهور تمايز بين العلمين مع مساحة من التداخل بينهما، ففي مقدمات التفاسير يشير المفسرون إلى أصول تفسيرية وتاريخية كفضائل القرآن، ونزوله على الأحرف السبعة، وطرق تفسيره (مصادر التفسير)، واسباب النزول، وغريب القرآن ..... تفيد في معرفة كيفية التفسير، أو تؤثر على العقلية التفسيرية، وهذ الأصول غالباً تذكر في علوم القرآن إلا ان ذكر المفسرين لها يركز على اثرها في تفسير الآيات، بينما ذكرها في علوم القرآن عام، ولذلك ظل التداخل بين العلمين قائماً. واثر هذا في تحديد الموضوعات التي تندرج في أصول التفسير.

المبحث الثاني
معالم ومقاصد القرآن الكريم وعلاقتها بأصول التفسير

في هذا المطلب سوف نختزل الكلام في تفاصيله لأن محله كتب التفسير، ونذكر ههنا ما له صلة واشارة يحتاجها علم أصول التفسير، ومن البديهيات المنهجية التعريج على معالم في بعض الابجديات والغرض منها هو بيان أن عدم استحضار مقاصد القرآن في تناول كل محور من محاور التفسير يجعل عمل المفسر بعيداً عن غايات القرآن الكريم.

أولاً: معالم القرآن الكريم

القرآن الكريم هو المُعجزة الخالدة التي جاء بها رسول الله محمد ﷺ تدليلاً على صدق نبوّته بعد أن نزل به أمين الوحي جبريل بأمرٍ من الله جلَّ وعلا، وقد جاء القرآن الكريم آخر الكتب السماويّة المُنزلة كاملاً غير منقوص ليُتمّ الله به دينه ويَصدق وعده، ولذلك فقد تكلّف الله بحفظه، فقال عزّ من قائل: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[١].

بدأ نزول القرآن الكريم على رسول الله ﷺ وهو يتعبّد بغار حراء واستمرّ نزول الوحي على رسول الله بحسب الوقائع والحوادث حتّى تمَّ أمر الله واكتمل دينه، فجاء في آخر ما نزل من القرآن قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾[٢]، فأتم الله دينه بعد أن صار كتابه حاوياً لكلّ صغيرة وكبيرة من أمور هذا الدّين العظيم، ثم بعد ذلك جاء دور الحِفظ الذي تكفّل

١- سورة الحجر، آية: ٩.
٢- سورة المائدة، آية: ٣.

به الله عزّ وجلّ لكتابه بأن جعله مَحفوظاً في الصّدور قبل أن يُكتَب بالسّطور، فهيّأ الأسباب ويَسَّر السّبل لمن أراد أن يحفظه حتّى نُقِلَ بالتّواتر من أول كلمةٍ فيه حتّى آخر كلمة، وتمّت كلمة الله بالحقّ؛ فلم يتأثّر كتابه مع كثرة العابثين ومكر الماكرين، فكان كتاب الله مُعجزاً في نزوله، مُعجزاً بآياته، مُعجزاً بحفظه.

١. معنى القرآن الكريم القرآن **لغة:** مصدر من الفعل قرأ، بمعنى الجمع، يُقال: قرأ قُرآناً، قال الله عزَّ وجلّ: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**﴾[١]. قال العلاّمة الطبرسي(ت: ٥٤٨هـ): (القرآن: معناه القراءة في الأصل، وهو مصدرُ قرأتُ، أي تَلَوْتُ، وهو المَرْوِي عن ابن عباس، وقيل هو مصدرُ قرأتُ الشيء، أي جَمَعْتُ بعضهُ إلى بعض)[٢].

هذا في اللغة، وأما تعريف القرآن **اصطلاحًا** فقد تعددت آراء العلماء فيه وذلك بسبب تعدد الزوايا التي ينظر العلماء منها إلى القرآن، ونختار منها هذا التعريف هو: كلامُ اللهِ تعالى المعجز المُنزَّل وحياً على نبيه مُحمَّدٍ ﷺ، المُتعبَّدُ بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر، المكتوب في المصاحف من أَوَّلِ سورة الفاتحة إلى آخِرِ سورة الناس[٣].

وبعضهم يضيف: بواسطة الأمين جبريل (عليه السلام)، المكتوب في المصاحف، ويمكن أن نضيف: الذي تكفل الله تعالى بحفظه.

وفي بعض هذه الإضافات نظر، ولا يخفى أن قولنا: (المعجز) هو الركن الأهم في التعريف، حتى لو اقتصرنا عليه لكفى، إذ ليس ثمّة كلام معجز إلاّ القرآن.

١- سورة القيامة، آية: ١٧- ١٨ .
٢- مجمع البيان، ٤١/١ .
٣- ظ: محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، ص١٧، د. يوسف مرعشلي، علوم القرآن الكريم، ص١٣.

ويتكوّن القرآن الكريم من ثلاثين جزءاً، كلّ جزء يتكوّن من حزبين، فيكون عدد الأحزاب ستّين حزباً، كما أنَّ عدد سور القرآن الكريم مئة وأربع عشرة سورةً، وعدد آيات القرآن الكريم ٦٢٣٦ آيةً.

ثانياً: مقاصد القرآن الكريم وثمرتها

القرآن الكريم، كلام الله المعجز إلى الخلائق، هذا الكتاب الخالد الذي غير الله به مجرى تاريخ البشرية جمعاء، من الضلال إلى الهدى، ومن الطريق المعوج إلى الصراط المستقيم، لم ولن يوجد كتاب على وجه البسيطة كتب عنه، وسخرت له جميع العلوم مثله، والواقع يشهد بذلك... كتاب جعله الله فرقاناً ونوراً وهدى ورحمة وشفاء، واشتمل على أمور الدين والدنيا، قال الله تعالى: ﴿**مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ**﴾[١].

وعن الإمام علي عليه السلام قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: إن أمتك ستفتتن من بعدك، فسأل رسول الله صلى الله عليه وآله، أو سئل: ما المخرج منها؟ فقال: (كتاب الله العزيز الذي ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾[٢]، من ابتغى العلم في غيره أضله الله، ومن ولي هذا الأمر فحكم به عصمه الله، وهو الذكر الحكيم، والنور المبين، والصراط المستقيم، فيه خبر من قبلكم، ونبأ من بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، وهذا الذي سمعته الجن، فلم تتناه أن قالوا: ﴿ **إِنَّا**

١- سورة الانعام، الآية: ٣١
٢- سورة فصلت، الآية: ٤٢

سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ﴾[١]، لا يخلق عن كثرة الرد على طول الدهر، ولا تنقضي عبره، ولا تفنى عجائبه)[٢].

ومن ثم شملت عناية المسلمين بكتابهم الكريم (كل ما فيه وكل ما يتصل به: من حفظه في الصدور وحفظه في السطور، ومن إبراز لوجوه إعجازه وأسرار بلاغته إلى عنايتهم بفنون تجويده وترتيله وشرح ألفاظه، وعباراته وبيان معانيه ودلالاته، ومن ضبط رسمه وشكله، وتحديد ابتدائه ووقفه، إلى إعرابه وشرح غريبه. ومن تاريخه وأسباب نزوله، إلى استقراء قواعده وكلياته، وتحليل قصصه وأمثاله. ومن عد حروفه وآياته، إلى سبر مقاصده ومناسباته...)[٣].

وكان من هذه العناية والاهتمام بيان مقاصد القرآن الكريم ومحاوره الكبرى، التي تعد قواعد وكليات، يرجع إليها في فهم مراد الله عز وجل، وفي الاجتهاد والاستنباط، مما نجده عند علماء التفسير في مقدمات تفاسيرهم.

وقد لخص ابن عاشور في مقدمة تفسيره مقاصد القرآن الأصلية التي جاء لتبيانها، بحسب ما بلغ إليه استقراؤه إلى ثمانية أمور، وهي:

- إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح.
- تهذيب الأخلاق.
- التشريع، وهو الأحكام خاصة.
- سياسة الأمة، وهو باب عظيم في القرآن، القصد منه صلاح الأمة، وحفظ نظامها.

١- سورة الجن، الآية: ١ - ٢
٢- السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ٦/ ٣٧٦، والحديث أخرجه الدارمي، سنن الدرامي، ٥٢٦/٢.
٣- د. أحمد الريسوني، مقاصد المقاصد، ص٨.

- القصص وأخبار الأمم السالفة، للتأسي بصالح أحوالهم.
- التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين، وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها، وذلك علم الشرائع وعلم الأخبار... وهذا أوسع باب انبجست منه عيون المعارف، وانفتحت به عيون الأميين إلى العلم.
- المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، وهذا يجمع جميع آيات الوعد والوعيد، وكذلك المحاجة والمجادلة للمعاندين، وهذا باب الترغيب والترهيب.
- الإعجاز بالقرآن، ليكون آية دالة على صدق الرسول ﷺ[١].

وجعل ابن عاشور غرض المفسر هو: (بيان ما يصل إليه أو ما يقصده من مراد الله تعالى في كتابه، بأتم بيان يحتمله المعنى ولا يأباه اللفظ من كل ما يوضح المراد من مقاصد القرآن، أو ما يتوقف عليه فهمه أكمل فهم، أو يخدم المقصد تفصيلاً وتفريعاً... فلا جرم كان رائد المفسر في ذلك أن يعرف على الإجمال مقاصد القرآن، مما جاء لأجله)[٢].

أما محمد الغزالي فذهب إلى أن: (القرآن الكريم مع استفاضة معانيه، وكثرة سوره، يمكن القول بأنه يدور على محاور خمسة، وهي: الله الواحد، والكون الدال على خالقه، والقصص القرآني، والبعث والجزاء، والتربية والتشريع... هذه هي المحاور الخمسة التي أفاض القرآن في ذكرها)[٣]، وانتهى إلى أنها أمهات لمسائل أخرى كثيرة تندرج تحتها.

ويلحظ الدكتور عدنان زرزور أن الغرض الأساسي لنزول القرآن الكريم هو غرض تربوي عملي جهادي، وليس غرضاً تثقيفياً نظرياً، وتزويداً فكرياً، وإنه يكاد

١- ظ: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١/ ٣٩-٤١.
٢- التحرير والتنوير، ١/ ٤١.
٣- محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم، ص:١٨.

ينحصر في (إقامة الشخصية الإسلامية، وبناء أمة لها خصائصها ومميزاتها، وإنشاء جيل على قواعد من التربية الربانية تجعله صورة ناطقة عن الحق الذي نزل به القرآن... ليكون بذلك خير أمة أخرجت للناس..)[١].

ويرى السيد محمد باقر الصدر أن أبعاد التغيير الذي أحدثه القرآن الكريم (تحرير القرآن للإنسان من الوثنية، وتحرير القرآن للعقول، وتحرير القرآن للإنسان من عبودية الشهوة)[٢].

وقد فصّل الدكتور أحمد الريسوني الحديث عن المقاصد العامة للقرآن الكريم، معتبراً أن العناية بهذه المقاصد الكلية، لم تبرز بوضوح إلا على يد بعض المفسرين والدارسين المعاصرين، مع أن معرفة هذه المقاصد وتحقيقها هي الفائدة الكبرى والغاية القصوى للقرآن وعلومه ومباحثه، ليصل بعرضه وبحثه إلى وضع «مقاصد القرآن الكريم»؛ أي ذكر الأهمية والفائدة الإجمالية لمعرفة مقاصد القرآن الكريم.

فمن أهم ما يستفاد من معرفة مقاصد القرآن – وخاصة مقاصده العامة – ما يلي:

١. معرفة مقاصد القرآن الكريم هي المدخل السليم إلى فهم الرسالة القرآنية الإسلامية على وجهها الصحيح بلا زيادة ولا نقصان ولا إفراط ولا تفريط.

٢. معرفة هذه المقاصد العامة، واستحضارها عند قراءة القرآن وتدبره، تمكن قارئه من الفهم السليم للمعاني التفصيلية والمقاصد الخاصة لأمثاله وقصصه ووعده ووعيده، ولكل آية وكل لفظ وكل حكم ورد فيه.

١- علوم القرآن، ص٤٢١.
٢- المدرسة القرآنية / الموسوعة، ص٢٣٥.

٣. بمعرفة مقاصد القرآن يتسدد فهمنا لمقاصد سنة المعصوم جملة وتفصيلاً، ومن خلال ذلك يتسدد النظر الفقهي، والاجتهاد الفقهي.

٤. مقاصد القرآن هي الميزان والمعيار الذي يجب أن نزن به أعمالنا الفردية والجماعية، وحياتنا الخاصة والعامة، فكل عمل قلبي أو أخلاقي أو اقتصادي أو سياسي أو عسكري أو حضاري لا يهتدي بمقاصد القرآن، وبمقاصده في القرآن، فهو حائد عن هدي القرآن[١].

٥. مقاصد القرآن هي الميزان والمعيار الذي لا بد منه كذلك للمفسرين في مناهجهم وتفسيراتهم؛ فبمعرفتها ومراعاتها يضمن المفسر لنفسه ولتفسيره أن تكون اهتماماته ومقاصده واستنباطاته في نطاق مقاصد القرآن، بلا زيادة ولا نقصان. وهذا ضرب من «تفسير القرآن بالقرآن»، ويمكن تسميته: «تفسير القرآن في ضوء مقاصده»[٢].

٦. أن مقاصد القرآن تعد ركناً أساسياً من أركان أصول التفسير.

فحري بنا أن نعرف هذه المقاصد، وأن نقطف منها هذه الثمرات، كيما تعيننا على فهم كتاب الله حق الفهم، وتدبره أحسن تدبر، لأجل العمل به في حياتنا على المنهج الوسط القويم.

ملخص مقاصد نزول القرآن الكريم:

وفي ضوء ما سبق نأتي الى تلخيص مقاصد نزول القرآن الكريم وأغراضه الأساسية التي لا يجوز إهمالها والابتعاد عنها عند تفسير القرآن الكريم:

١- للتوسعة ظ: د. حنان اللحام، مقاصد القرآن الكريم، دار الحنان، دمشق، ٢٠٠٤م.
٢- د. أحمد الريسوني، مقاصد المقاصد، ص٥٠-٥١.

١. إخراج الناس من ظلمات الكفر، وأودية الشرك، ومتاهات الضلال والغي، وظلم الناس، وجهالات الجاهلية، والتعصبات القومية القبلية، والهزائم النفسية، والشطحات الفكرية، والخسائر الاجتماعية، وخسائس الأخلاق، الى نور الإيمان، وظلال التوحيد، وأنوار الرشد ومنارات الهداية، وعدل الإسلام، ومحامد الأخوة الإسلامية، والمنافع الدينية والدنيوية، ومعالم المعرفة، وحقائق العلم والإدراك، ومكارم الأخلاق. قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[٢].

٢. هداية الإنسان الى الخير العميم في دنياه وآخرته، وتعريفه على كل ما يحقق ذلك، وتحذيره من كل ما يسبب شقاءه وعذابه وخسارته في الدنيا والآخرة.

٣. تكوين الشخصية الإسلامية المتكاملة المتوازنة، وذلك بتربية الفرد المسلم تربية شاملة متوازنة، وصياغة أفكاره وتصوراته الصائبة، والتأثير في سلوكه الحياتي المتميز.

٤. إقامة مجتمع إسلامي بمناهج وقيم فردية، وبناء أمة إسلامية متميزة بخصائصها ومميزاتها، وإنشاء جيل قرآني رباني فريد، على قواعد خاصة من التربية القرآنية المتكاملة.

٥. قيادة هذه الأمة في معركتها مع الجاهلية، وتبين معالم طريقها، وبيان طبيعة تلك المعركة وبواعثها وأسلحتها، والكشف عن أعدائها ببيان أهدافهم وكشف

١- سورة إبراهيم، الآية: ١.
٢- سورة الإسراء، الآية: ٩.

بواعثهم، وإحباط مكرهم، وتصوير نماذجهم، لتكون هذه الأمة على بصيرة من أمرها، وعلى هدى في حياتها.

٦. كل مقاصد القرآن الكريم النظرية في حاجة الى الانموذج التطبيقي العملي، وهذا الانموذج تمثل في رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا**﴾[١]، وقال رسول الله ﷺ: (انى قد تركت فيكم ما ان أخذتم به لن تضلوا بعدي الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي الا وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض)[٢].

فلا تجد في سنة المعصوم عليه السلام أمراً إلا والقرآن قد دل على معناه دلالة إجمالية أو تفصيلية، وأيضاً فكل ما دل على أن القرآن هو كلية الشريعة وينبوع لها فهو دليل على ذلك.

***إذن مقاصد القرآن الكريم هي مقاصد المفسِّر**؛ فتكون الخلاصة أن هذا العلم نتصور أنه يتركب من:

مصادر التفسير ، وقواعد التفسير ، وشروط المفسِّر ، ومقاصد المفسَّر .

وهذه الأخيرة بالشكل الذي نتصوره أقل هذه المباحث اهتماماً بها. فمصادر التفسير، وقواعده وشروط المفسِّر إن افتقدت كلياً للبناء التقعيدي، فقد كتب فيها بهذا المعنى أو ذاك، ما يعد منطلقات أولى لبنائها بالشكل الذي يقتضيه البناء. أما مقاصد المفسَّر فلم يكتب فيها إلا النادر القليل، مما يفرض استخراج مادتها أولاً،

١- سورة الاحزاب، الآية: ٢١.
٢- احمد بن حنبل، مسند أحمد، ٥٩/٣.

حتى تستوي وأخواتها أو تكاد. ثم لتأخذ موقعها من البناء الكلي في إطار التصور الشمولي للموضوع.

وخلاصتها ما يلي: لا يكفي في أصول التفسير الحديث عن مصادر التفسير وقواعد التفسير وشروط المفسر بل لابد أن يكون عمل المفسر ضمن مقاصد القرآن. والإخلال بهذا الشرط يؤدي الى الوقوع في الأخطاء التفسيرية.

الفصل الثاني

مبادئ علم أصول التفسير

الفصل الثاني: مبادئ علم أصول التفسير:

وفي هذا الفصل نتناول المبادئ العامة لعلم أصول التفسير وضمن المباحث الآتية:

المبحث الأول
تعريف علم أصول التفسير، وغايته وفائدته، وأهميته:

علم أصول التفسير يعد أحد العلوم الخادمة للقرآن الكريم كعلم التجويد والقراءات ونحو ذلك، بل هو خادم له في أهم الجوانب؛ ألا وهو فهمه وتدبر ما جاء فيه وفق منهج سليم؛ ولذا نقف على مفهومه وتعريفه وغايته وفائدته وأهميته، وعلى النحو الآتي:

أولاً: تحديد المفهوم لغة واصطلاحاً: أصول التفسير مركب تركيباً إضافياً (أصول) وهو مضاف و(التفسير) مضاف إليه، ولتحديد هذا المركب يتعين تحديد المضاف بحكم معرفتنا للمضاف إليه لسبق دراسته وتوفر تعاريفه[١].

أ- **الأصول لغة:** الأصول جمع أصل، قال ابن فارس: (الهمزة والصاد واللام ثلاثة أصول يتباعد بعضها من بعض، أحذها أساس الشيء)[٢]، وهو المقصود. وجاء في تاج العروس: (... أصل الشيء ما يستند وجود ذلك الشيء إليه...) وقال: (أصل كل

١- لم أشأ التحدث عن مصطلح التفسير من حيث اللغة والاصطلاح ، فهو معلوم عند أهل الاختصاص.
٢- ظ: ابن فارس، مقايس اللغة، ٤٠٣/١.

شيء قاعدته" وقال غيره: "الأصل ما ينبغي عليه غيره)[١]. وقال ابن منظور: (الأصل أسفل كل شيء)[٢].

ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾[٤].

وهذا يعني أن الأصل هو الأس الذي تقوم عليها الشجرة، وإذا سقط أس الشئ سقط ما فوقه، ولهذا قيل في تعريف الأصل: هو ما يبنى عليه غيره، وهذا تعبير مأخوذ عن المعنى اللغوي، من هذه المعاني اللغوية نستخلص أن الأصل ما يفتقر إليه، فهو الأساس والقاعدة وما يبني عليه غيره.

ب- **الأصول اصطلاحاً:** أما في الاصطلاح فيطلق (الأصل) كما ورد في الكليات على: (الراجح بالنسبة للمرجوح، وعلى القانون والقاعدة المناسبة المنطبقة على الجزئيات، وعلى الدليل بالنسبة للمدلول، وعلى ما ينبني عليه غيره، وعلى المحتاج إليه، وعلى ما هو الأولى..)[٥].

كما يطلق الأصل على الكتاب الذي يرجع إليه المؤلف والمصدر الذي يعتمد في تأليفه[٦].

١- ظ: الزبيدي، تاج العروس، ٢٠٦/٧-٢٠٧.
٢- ظ: ابن منظور، لسان العرب مادة أصل، ٢٤٠/١٢.
٣- سورة إبراهيم، الآية: ٢٤.
٤- سورة الحشر، الآية: ٥.
٥- أبو البقاء الكفوي، الكليات، ١٦٨/٧.
٦- جودت الركابي، منهج البحث الأدبي عند العرب، ص ٧٩.

في ضوء هذه التعاريف يتضح أن مصطلح "أصل" تتداخل فيه مصطلحات أخرى كالقواعد والمصدر والوجهان والدليل.

فالأصول إذن: القواعد الكلية العامة المعتمدة، قال أبوهلال: (وحقيقة أصل الشيء ما كان عليه معتمده)[١]

وإذا كانت الأصول هي المعتمدة، فهي بالضرورة يحتاج إليها ولا يقوم أي شيء عليها وهي الراجحة إذا وقع الترجيح بينها وبين غيرها.

وكل هذه المعاني توضح أن الأصول عبارة عن قواعد عامة جامعة ومانعة.

ج- تعريفه: إذا كان تعريف (أصول الفقه): هو علم يتم معه إدراك القواعد التي يتوصل بها الى استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية[٢]، فان **أصول التفسير** هو: العلم بالقواعد التي يتوصل بها إلى التفسير... فتبنى عليها جزئيات التفسير، ويتوصل بها إلى فهم القرآن، ومعرفة مناهج المفسرين، فنسبة علم أصول التفسير إلى علم التفسير: نسبة الآلة والوسيلة إلى الغاية.

د- تحديد مفهوم أصول التفسير: أصول التفسير عبارة عن القواعد العامة التي ينبني عليها التفسير ويعتمدها، وعلم أصول التفسير هو العلم الذي يبين المناهج التي انتهجها وسار عليها المفسرون الأوائل في استنباط الأسرار القرآنية عند تعاملهم مع كتاب الله. فهو إذن مجموعة من القواعد والأصول العامة الذي تبين للمفسر طرق الاستنباط، وتكشف له مراتب الحجج والأدلة من آياته الكريمة بحسب الطاقة البشرية[٣].

١- ابو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص١٣٣.
٢- ظ: محمد تقي الحكيم، الأصول العامة للفقه المقارن، ص٤١، الجرجاني،التعريفات، ص٤٥.
٣- ظ: خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير لكتاب الله المنير، ص٧.

وبعد أن عرفنا طرفي المركب الإضافي لعلم التفسير، نأتي إلى تعريفه باعتباره علماً يطلق على مادة مدونة مستقلة.

فأصول التفسير باعتباره علماً خاصاً هو:

علم يبحث فيه عن القواعد والمصادر التي يتوصل بها إلى التفسير الصحيح لكتاب الله تعالى.

ونعني **بالقواعد:** تلك التي لابد لمن يريد تفسير كتاب الله تعالى من معرفتها والإحاطة بها، ليبني عليها تفسيره، ولتعصمه من الخطأ والزلل، التي يحظر بدونها الخوض في التفسير.

وبالمصادر: تلك التي يستمدّ منها المفسر عند قيامه بالتفسير، كعلوم العربية وأصول الفقه ونحوها.

وبالتفسير الصحيح: التقيّد بتلك القواعد، وسيره في الطريق الصحيح في الكشف عن مراد الله تعالى بقدر طاقته البشرية، لا صحته في نفس الأمر والواقع.

ثانياً: غايته: معرفة كيفية فهم معان النظم القرآني الكريم، والسبيل الصحيح لتفسيرها وإيضاحها لتنال به سعادتا الدنيا والآخرة.

كما أن غاية التجويد النطق الصحيح لألفاظ القرآن فإن غاية أصول التفسير الفهم الصحيح لمعانيه.

ثالثاً: فائدته: حصول القدرة والملكة في العقل البشري لاستخراج أحكام القرآن الكريم وحكمه على وجه الصحة والدقة العلمية.

رابعاً: أهميته: لهذا العلم فوائد ليس من السهل حصرها ومن أهمها:

١) ايجاد النظرة العامة المتوازنة لتفسير النصوص مما يترتب عليه العدل في حياة الناس، فبهذا العلم (يتوصل به إلى الفهم الصحيح للقرآن ويكشف الطرق المنحرفة أو الضالة في تفسيره)[١]، وعدم وجود الأصول الكلية يفضي إلى تأويل الكتاب على غير تأويله، قال الإمام محمد الباقر (عليه السلام): (ما علمتم فقولوا، وما لم تعلموا فقولوا: الله أعلم، إنّ الرجل لينتزع الآية من القرآن يخرّ فيها أبعد ما بين السماء والأرض)[٢]، وعن زرارة بن أعين قال: سألت أبا جعفر الباقر (عليه السلام) ما حقّ الله على العباد؟ قال: (أن يقولوا ما يعلمون، ويقفوا عند ما لا يعلمون)[٣]؛ ولا شك أن التحريف المعنوي للقرآن الكريم عن طريق تأويله بحمل لفظه المقدس على معنى بعيد عنه، مع مخالفة ذلك للمشهور يعد كارثة في الفكر الديني، لما يتركه ذلك التأويل الخاطئ من آثار سلبية خطيرة على بناء عقيدة الفرد وثقافة المجتمع.

٢) معرفة المنهج السليم، والطرق الصحيحة لتفسير القرآن الكريم، بما يراعي قواعد وضوابط السابقين، ويواكب روح عصرنا ومتطلباته.

٣) الإلمام بالقواعد التي تعين الإنسان على فهم كتاب الله فهماً صحيحاً؛ لأن معرفة الأصول يعين على فهم الفروع.

٤) التزود بالعلوم التي تمكن الإنسان من كشف محاولة المحرفين لنصوص الكتاب والسنة وفق أهوائهم ومناهجهم وعقائدهم الباطلة ومعرفة كيفية التصدي لهم، والرد عليهم.

٥) الوقوف على عظمة كتاب الله الذي حظي بهذا القدر الهائل من العناية والاهتمام، ووضع لفهمه هذا القدر العظيم من القواعد والضوابط.

---

١ □ د. فهد الرومي، أصول التفسير ومناهجه، ص١٧ .
٢ □ الكليني، الكافي، ٤٢/١.
٣ □ المصدر نفسه، ٤٣/١.

٦) ليستطيع طالب العلم حفظ العلم المتعلق بالأصول بأبسط طريق واقرب منال؛ كما قال الزركشي: (فان ضبط الأمور المنتشرة المتعددة في القوانين المتحدة هو اوعى لحفظها، وادعى لضبطها... والحكيم إذا أراد التعليم لا بد له ان يجمع بين بيانين: اجمالي تتشوف إليه النفس، وتفصيلي تسكن إليه النفس، ولقد بلغني عن الشيخ قطب الدين السنباطي رحمه الله أنه كان يقول الفقه معرفة النظائر)[١].

٧) القدرة على دراسة منهج كل مفسر وتقويمه تقويماً سليماً، ومعرفة قيمته العلمية، وما حققه من إضافة علميّة[٢].

٨) المقدرة على الرد على ما يثيره أعداء الإسلام من شبهات سواء كان ذلك حول تفسير القرآن، أو مناهج بعض المفسرين وكتبهم ونحو ذلك.

٩) الاطلاع على الجهود العظيمة التي بذلها علماء الأمة للمحافظة على القرآن الكريم لفظاً ومعنى، ومن ثمّ الاقتداء بهم في ذلك والسير على نهجهم.

١٠) نيل الأجر والثواب المترتب على خدمة كتاب الله وتيسير فهمه للناس؛ وذلك لأن مما أوجب الله على عباده فهم كتابه وتعلم ذلك وتعليمه.

خامساً: موضوع أصول التفسير: من المعلوم ان (موضوع كل علم ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية)[٣]، وإذا كان الأمر كذلك فإن أصول التفسير تبحث في علم التفسير من حيث التعريف به ونشأته وتحديد قواعده وأسسه وحكمه وأقسامه وطرقه ومناهجه وأساليبه وأسباب وأنواع الاختلاف فيه ونحو ذلك.

١- المنثور في القواعد، ٦٥/١ .
٢- ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١٥/١.
٣- محمد رضا المظفر، المنطق، ص٣٧٧.

سادساً: فضل هذا العلم ومكانته:

لهذا العلم مكانة كبيرة وشرف عظيم ذلك أن شرف العلم من شرف المعلوم وأصول التفسير تبحث في علم التفسير وموضوع هذا العلم هو القرآن الكريم وهو خير الكلام لأنه كلام الله تعالى، فلا عجب أن تكون أصول التفسير من أشرف العلوم وأعلاها مكانة وأكثرها فضلاً.

سابعاً: منزلة علم أصول التفسير في الدراسات القرآنية:

مما تقدم اعلاه ينبغي أن تحتل هذه المادة المرتبة الأولى بين الدراسات القرآنية، وأن تدرّس أولاً وقبل دراسة أي لون من ألوان التفسير، لما يترتب على هذا الترتيب من فوائد جُلى، ومن أهمها: وقوف الدارسين على المناهج الصحيحة للتفسير، وتمييز الأصيل والمقبول، من الدخيل والمردود، ومعرفة المناهج الأثرية والعقلية والإشارية والعلمية والأدبية واللغوية وما إلى ذلك.

ثامناً: الفرق بين التفسير وأصوله:

من خلال التعاريف السابقة للتفسير وأصوله يتبين لنا الفرق بينهما:

فالتفسير: هو الذي يوضح الآيات ويبين معانيها وما فيها من أحكام وحكم. يقول الشيخ الطبرسي (ت:٥٤٨هـ): (فعلم التفسير هو أجل العلوم قدراً؛ لأنه الموصل إلى فهم مراد الله من كتابه، ومعرفة أحكام الله في وحيه، وما فرضه على عباده، وهذه الغاية كما لا يخفى هي أشرف الغايات، وأحسن الطرق لنيل السعادات)[١].

وأصول التفسير: هو الذي يضع القواعد والأسس لتوضيح الآيات، وتبيين الطريق الذي يلتزمه المفسر في تفسيرها.

١- مجمع البيان، ٢٠/١.

تاسعاً: الفرق بين أصول التفسير وعلوم القرآن:

هل أصول التفسير وعلوم القرآن شيء واحد... أو أن بينهما فرقاً؟

سؤال يتردد كلما ذكر العنوانان..

وجوابه.. من خلال البحث لم أقف على مَن فرّق بينهما، إذ ضم بعض العلماء مباحث علم أصول التفسير ضمن علوم القرآن كالزركشي[١]، والسيوطي[٢]، وابن عقيلة المكي (ت: ١١٥٠هـ)[٣]، وغيرهم من المؤلفين المعاصرين.

غير أن بعض الباحثين يميل إلى التسوية بينهما، بمعنى أنه يصح إطلاق أحدهما على الآخر وأنهما مترادفان وعلمان على مسمّى واحد... حيث يقولون[٤]:

وهناك من المؤلفين من رأى جواز إطلاق أصول التفسير على علوم القرآن من باب إطلاق الجزء على الكل، أو التسوية بينهما وانهما مترادفان وعلمان على مسمّى واحد، يقول الدكتور مناع القطان: (وقد يُسمّى هذا العلم – أي علوم القرآن – بأصول التفسير؛ لأنه يتناول المباحث التي لا بد للمفسّر من معرفتها للاستناد إليها في تفسير القرآن)[٥]، فنلحظ أن تداخل المباحث بين العلمين، وأن كلاً منهما يبحث فيما لابد للمفسر من معرفته، كان وراء ذلك.

---

[١] ظ: البرهان في علوم القرآن، ١٤٧/٢.
[٢] ظ: الاتقان في علوم القرآن، ١٩٢/٤ .
[٣] ظ: الزيادة والإحسان في علوم القرآن، ٩١٧/٣.
[٤] ظ: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص١٦، وذكر نحو هذا الدكتور محمد بن لطفي الصباغ في كتابه: بحوث في أصول التفسير، ص١٠ حيث قال: وموضوعنا في هذا الكتاب هو أصول التفسير، وهو علم مهم من علوم القرآن، د. فهد الرومي، أصول التفسير ومناهجه، ص١٢.
[٥] مباحث في علوم القرآن، ص١٦.

ولكن بالتأمل الدقيق في تعريف العلمين: أصول التفسير، وعلوم القرآن[١]، وبالوقوف على ما فيهما من مباحث وموضوعات، والنظر في كيفية تناولهما بالبحث والدراسة، يتبيّن لنا أن بينهما فرقاً، مفاده:

أن **علم أصول التفسير** يهتمّ بوضع القواعد التي تقلل مراعاتها من خطأ المفسر، وغالب أبحاثه في اللفظ العربي وأحواله عند الإفراد والتركيب، وحقيقته ومجازه، وصريحه وكنايته، وفي ناسخ القرآن ومنسوخه، وعامه وخاصه، ومنطوقه ومفهومه، ومطلقه ومقيّده، ومجمله ومبينه، ومحكمه ومتشابهه، ومعرفة شروط المفسر وأدبه، والمنهج الأمثل الذي يجب أن يسلكه، وما إلى ذلك من الأدوات والقواعد المهمة التي يحتاج إليها المفسّر، ويجب عليه مراعاتها أثناء قيامه بمهمة التفسير.

وأما علوم القرآن: فهو بحر واسع يتناول العلوم المختلفة المتعلقة بالكتاب الكريم من مثل: جمع القرآن وتدوينه وترتيبه، وتفسيره وأسمائه، وغريبه وإعجازه، وأسباب نزوله، ومكيه ومدنيه وناسخه ومنسوخه، ورسم المصحف، والقراءات، والترجمة، وغيرها من العلوم الكثيرة، وقد نقل ابن العربي عن العلماء قولهم: (إن علوم القرآن خمسون علماً، وأربعمائة علم، وسبعة آلاف علم، وسبعون ألف علم، عدد كلمات القرآن، مضروبه في أربعة إذ لكل كلمة منها ظاهر وباطن، وحدٌّ ومطلع، هذا مطلق دون اعتبار تركيبه، ونُضّد بعضه إلى بعض، وما بينهما من روابط على الاستيفاء في ذلك كله، وهذا مما لا يحصى، ولا يعلمه إلاّ الله تعالى)[٢].

وما يرى من تداخل بعض مباحث العلمين كالناسخ والمنسوخ والعام والخاص مثلاً لا يعني التسوية بينهما، لاختلاف البحث فيهما من جهة فأصول التفسير يعنى بوضع

---

[١] أما أصول التفسير فتقدم تعريفه قبل قليل، وأما علوم القرآن: فهو عبارة عن جميع الأبحاث والمعارف المتعلقة بالقرآن من تفسيره وأسمائه، وجمعه وترتيبه وناسخه ومنسوخه... الخ.

[٢] قانون التأويل ٢٢٦-٢٢٧، وانظر الإتقان، ١٢٨/٢.

القواعد في ذلك الباب، بينما يتناولها علوم القرآن من جهة كونها خادمة للكتاب، معينة على كشف معانيه.

ولملاحظة العموم والخصوص من جهة أخرى فالتفسير مثلاً هو أحد علوم القرآن، وهذا العلم إنما يبحث في أصول ذلك النوع الخاص، فعلم علوم القرآن عام، وعلم أصول التفسير خاص.

عاشراً: الفرق بين أصول التفسير ومناهج المفسرين:

هل أصول التفسير ومناهج التفسير شيء واحد، أو أن بينهما فرقاً؟

تقدم في تعريف أصول التفسير بأنه علم يبحث فيه عن القواعد التي يتوصل بها إلى التفسير الصحيح لكتاب الله تعالى.

وأما المناهج فجمع منهج وتعريفه بأنه: الطريقة التي يسلكها المفسر للوصول إلى الكشف عن مراد الله تعالى، سواء كانت طريقة الأثر أم العقل أم الإشارة[١].

ومن خلال النظر في التعريفين يتبين لنا الفرق بينهما، حيث إن دراسة القواعد والمصادر هي غير الطريقة التي يلتزمها المفسر متقيداً بتلك القواعد والمصادر التي تعصمه من الانحراف والزلل. مع ملاحظة نوع من التداخل في بعض المباحث بين العلمين، شأن كثير من العلوم التي يحتاج بعضها إلى بعض، فمناهج التفسير موضوع قائم بذاته، ألفت فيه المؤلفات...[٢].

---

[١] ظ: د. محمد كاظم الفتلاوي، مناهج المفسرين – دراسة في النظرية والتطبيق -، ص٢٥.

[٢] ظ: د.محمد لطفي الصباغ، بحوث في أصول التفسير، ص٣٢٢، ثم يقول: والذي أريد تقريره ههنا هو أن اطلاع المفسر على مناهج التفسير أمر ضروري ليؤدي مهمته على الوجه الأكمل.

احد عشر: الفرق بين أصول التفسير والاستنباط:

إن أصول التفسير تحتاج الى كم هائل من المرجعيات الداعمة للخوض في علم التفسير كأن يكون عالماً بلغة العرب؛ والعلم بالقرآن ومعرفة مواقع حججه، والعلم بالناسخ والمنسوخ وأسباب النزول والى غير ذلك من الشروط والضوابط والقواعد.

قبل بيان الفارق نرى من الضرورة بمكان بيان مفهوم الاستنباط؛ يقول الطبري: (وكل مستخرج شيئاً كان مستتراً عن أبصار العيون أو عن معارف القلوب، فهو له مستنبط)[١].

وتعريفه: هو (ربط كلام له معنى بمدلول الآية، بأي نوع من أنواع الربط، كأن يكون بدلالة إشارة أو دلالة مفهوم، أو غيرها)[٢].

إذن **الاستنباط** يتأتى من خلال التعمق في النص القرآني. والفهم الخاص للناظر له حيث تختلف النظرات حسب اهتمامه وفكره وتخصصه. فالطبيب يستنبط ما في النص من بواطن طبيّة. والفلكي يستخرج ما يستجد من علوم الفلك وظواهر الطبيعة. وكذلك الجغرافي والى غير ذلك من تخصصات. ولا يشترط بأولئك المتأملين المستنبطين إلا صحة الاستنباط وعدم خروجه عن واقع النص واحتماله لذلك المعنى المستنبط.

وهو بهذا العمق يكون من (أنفع العلوم للناس بعد التفسير، علم الاستنباط من القرآن الذي لا حد له، وقد يفتح الله على عباده في عصر لم يفتحه على من قبلهم، و هذا فضل الله يؤتيه من يشاء)[٣].

---

[١] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٢٤٨/٥.
[٢] د. مساعد الطيار، مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسِّر، ص١٦١.
[٣] د. مساعد الطيار، مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسِّر، ص١٥٩.

اثنا عشر: الفرق بين القاعدة والضابط.

اختلف أهل العلم في ذلك، فذهب بعضهم الى التفريق بين القاعدة والضابط، فيذكرون منه:

- الضابط يجمع فروعاً من باب واحد بينما القاعدة تجمع فروعاً من أبواب شتى. وعليه فالقاعدة أوسع من الضابط.
- إن الخلاف الواقع في الضوابط من حيث القبول والرد أكثر من الخلاف الواقع في القواعد من حيث القبول والرد.
- بينما ذهب آخرون إلى عدم التفريق بين القاعدة والضابط.

المبحث الثاني : استمداد علم أصول التفسير:

المطلب الأول: مفهوم الاستمداد وشرطه:

أولاً: مفهوم الاستمداد وشرطه:

١- **مفهوم الاستمداد:** المدد في اللغة: العون والغوث، والسين والتاء فيه للطلب. **واصطلاحاً:** يقصد به كل المعلومات السابق وجودها عن وجوده عند مدونيها والتي يحتاج إليها المفسر لتكون عوناً له على اتقان فهم ذلك العلم وتدوينه ومن ثم بيان مراد الله تعالى، يقول ابن عاشور: (فأما استمداده – علم أصول التفسير – من بعض العلوم الإسلامية، فذلك استمداد لقصد تفصيل التفسير على وجه أتم من الإجمال، وهو أصل لما استمد منه)[١].

٢- **شرطه:** في شرط المدد/الاستمداد: أن يكون خادماً للمعنى ومحتاجاً إليه؛ أما ما كان على سبيل الإفاضة والبيان والتوسع والاستطراد، كما فعل الرازي في مفاتيح الغيب، فلا يعد مدداً.

المطلب الثاني: علوم الاستمداد التي يحتاج إليها المفسر؛ ومنها:

١) **القرآن الكريم:** بالاستقراء أو بالنظر إلى النص على أساس البحث عن قواعد كلية.

٢) **سنة المعصوم** ﷺ: بالاستقراء أو بالنظر إلى النص على أساس البحث عن قواعد كلية.

١- تفسير التحرير والتنوير، ١٦/١.

٣) **كلام أكابر المفسرين** من الصحابة وغيرهم إذا نصوا على قواعد كلية.

٤) **إعمال العقل:** لم يجمد المفسّرون على المرويات، بل اعملوا العقل في الإدراك إلا (أنه إدراك يتناول الكليات، ولا يتعدى ذلك إلى الجزئيات والفروع التي تحتاج إلى دليل نصي على إرادتها، وهذا لا يمانع من أن يدرك العقل خصائص كثيرة في تفسير النصوص جارية وفق مقتضيات العقل السليم)[١]، فلم يكن إعمال العقل مصدراً قائماً بذاته تسير به عملية التفسير أو التشريع، بل هو توصلي إلى اكتشاف المجهول على أسس التدبر.

٥) **أصول الفقه:** وهي (القواعد التي يرتكز عليها قياس استنباط الفقهاء للأحكام الشرعية الفرعية الكلية، أو الوظائف المجعولة من قبل الشارع أو العقل عند اليأس من تحصيلها)[٢] فحقيقتها أصول عامة للفهم الكلي، وما الفقه بمعنى علم الفروع إلا ثمرة من ثمار تفسير القرآن فأصوله تصلح ان تكون أصولاً للتفسير لأن الفروع بعض منه.

وإنما كان أصول الفقه من مراجع أصول التفسير لوجهين:

أ- أن علم أصول الفقه فيه الكثير من طرق استعمال كلام العرب وفهم موارد اللغة.

ب- أن علم الأصول يضبط قواعد الاستنباط ويفصح عنها وهو من ثَمّ آلة للمفسر، بل يمكن ان يقال: أصول الفقه هو أصول الفهم فهو داخل في جميع العلوم. وليس الفقه مادة لعلم التفسير كما ذهب إلى ذلك السيوطي[٣]، إذ الفقه يستمد من الكتاب فهو فرع التفسير على الحقيقة.

١- د. محمد حسين الصغير، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، ص٧٣.
٢- محمد تقي الحكيم، الأصول العامة للفقه المقارن، ص٤١.
٣- ظ: التحرير والتنوير، ٢٤/١.

٦) **اللغة والبيان والنحو والتصريف:** وتشمل معرفة مقاصد العرب من كلامهم وأدب لغتهم؛ سواء حصلت بالسجية والسليقة أو بالتلقي والتعلم.

٧) **علم القراءات:** إذ قد تتغير الصورة التي ترسمها الآية باختلاف القراءة، وقد تؤدي القراءات المتواترة لتثبيت أحكام مختلفة في الآية... فنحتاج للقراءات من حيث هي طريق في أداء ألفاظ القرآن لا من حيث إنها شاهد لغوي خلافاً للطاهر بن عاشور[١]، فالمعاني التي قد تستفاد من اختلاف القراءات أعم من أن تكون مجرد حجة لغوية، أو استعمالاً عربياً، فقراءة ﴿**كُذِبُوا**﴾[٢]، بالتثقيل افادت معنى مختلفاً عن قراءة التخفيف وذلك مستفاد من النقل القرائي قبل استفادته من الاستعمال العربي .... وهكذا.

٨) **أخبار الأمم:** يستعان بها على فهم القصص القرآني المذكور إجمالاً للاعتبار لأن (القرآن إنما يذكر القصص والأخبار للموعظة والاعتبار، لا لأن يتحادث بها الناس في الأسمار...)[٣] فنحو قوله تعالى: ﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكاثاً**﴾[٤]. وقوله: ﴿**قُتِلَ أَصْحابُ الأُخْدُودِ**﴾[٥]، يتوقف على معرفة أخبارهم عند العرب، ومثل ذلك ما ذكره الله من عادات العرب وغيرهم كقوله تعالى: ﴿**ما جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حامٍ**﴾[٦]. والعلوم الكونية التي اجملها القرآن.

٩) **علوم القرآن:** (علم الناسخ والمنسوخ، علم المحكم والمتشابه،..) وبه يعرف كثير من آيات القرآن ناسخها ومنسوخها وحكمها .. وكذلك سائر علوم القرآن.

١- ظ: التحرير والتنوير، ١٠/١ .
٢- سورة يوسف، الآية: ١١٠ .
٣- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٠/١ .
٤- سورة النحل، الآية: ٩٢ .
٥- سورة البروج، الآية: ٤ .
٦- سورة المائدة، الآية: ١٠٢ .

١٠) **علم الحديث:** ليستعين به المفسر على معرفة المجمل والمبهم، وغير ذلك مما جاءت السنة شارحة ومبينة له.

١١) **علم أصول الدين** (علم الكلام أو علم العقيدة)، وبه يستطيع المفسر أن يستدل على ما يجب في حقه تعالى، وما يجوز، وما يستحيل، وأن ينظر في الآيات المتعلقة بالنبوات والمعاد..

١٢) **الإلمام بمسلمات العلوم الحديثة،** والاستعانة منها بما يخدم التفسير وخاصة ضمن الآيات الكونية، كنشوء الرياح والسحاب والأمطار وطبقات الأرض والفلك ... وغير ذلك.

١٣) **معرفة المفسر للاتجاهات والتيارات الفكرية المعاصرة،** والتحديات التي تحرف فكر وعقيدة وسلوك المسلم، و الرد عليها استدلالاً من القرآن الكريم، خاصة في مثل عصرنا هذا الذي يجابه فيه المسلم انفتاحات مختلفة، تشوه المصطلحات العلمية الإسلامية، وتسقط عليها المصطلحات التي تخدم مصالح جهات معينة.

١٤) **علم الموهبة:** ولا يتأتى إلاّ لمن يعمل بما يعلم، وتقوى الله سبحانه وعمل الواجبات والابتعاد عن المحرمات، قال السيوطي: (ولعلك تستشكل علم الموهبة، وتقول: هذا شيْ ليس في قدرة الإنسان، وليس كما ظننت من الإشكال، والطريق في تحصيله أرتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد)[١].

كما أكد هذا المعنى الزركشي بقوله: (اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي، ولا يظهر له أسراره وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى أو حب الدنيا أو هو على ذنب أو غير متحقق بالإيمان أو ضعيف التحقيق أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده

١- الإتقان في علوم القرآن، .

علم أو راجع إلى معقوله، وهذه كلها حُجُب وموانع بعضها آكد من بعض)[١]. وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[٢]. انها سنة إلهية أن يسلب الله من المعاندين الألدّاء توفيق الهداية بكل أشكاله وأنواعه فهذه هي خاصية أعمالهم القبيحة أنفسهم، ومن ثم سلب التوفيق والرشد، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٣].

فيثمر من ذلك الحضور والإحساس والانسجام القلبي والعقلي مع القرآن؛ يقول الشيخ محمّد جواد مغنيّة: (وهنا شيء آخر يحتاج إليه المفسِّر، وهو أهمّ وأعظم من كلّ ما ذكره المفسِّرون في مقدّمة تفاسيرهم لأنّه الأساس والركيزة الأولى لتفهُّم كلامه جلّ وعلا. ولم أر من أشار إليه... وهو أنّ معاني القرآن لا يدركها، ولن يدركها على حقيقتها، ويعرف عظمتها إلّا من يحسّها في أعماقه، ويسلّم معها بقلبه وعقله، ويختلط إيمانه بها بدمه ولحمه، وهنا يكمن السرّ في قول أمير المؤمنين عليه السلام: (ذاك القرآن الصامت وأنا القرآن الناطق)[٤].

وهذه العلوم جميعها يحتاجها كل مفسر متدبر في آيات القرآن الحكيم، قال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: (ما مررت بسورة إلا فكرت في مكيها ومدنيها، وعامها وخاصها، وناسخها ومنسوخها..)[٥].

ملحوظة: تبرز أهمية العناية بأصول التفسير في العصر الحديث من ناحيتين، الأولى صعوبة إحاطة المفسر بالعلوم التي ذكرت كشرط للتفسير نظراً لتطور هذه العلوم واتساعها، ومن ناحية ثانية انه عندما يتعمق الباحث بواحد من هذه العلوم

١- البرهان في علوم القرآن، .
٢- سورة الاعراف، الآية: ١٤٦ .
٣- سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.
٤- التفسير الكاشف، المقدمة: ١٠/١.
٥- الصدوق، الامالي، ص٧٥٨.

يطغى على العلوم الأخرى ويترك أثره في تفسيره، وهذا ما نلمسه في مناهج المفسرين المتقدمين، حتى أصبحت التفاسير توسم بالعلم الذي اصطبغت به أو أثر ذلك العلم فيها، كالتفسير اللغوي، والتفسير الفقهي، والتفسير بالمأثور، والتفسير الصوفي...، وهذا ان كان لوناً من التفسير إلا أنه ليس التفسير الأمثل الذي تقتضيه الضوابط التي وضعها المفسرون، بل لا يصح واحد منها ما لم يلتزم بمقتضيات العلوم الأخرى.

اشكال: اذا كانت هذه العلوم تمثل مدد علم التفسير كما تمثل مدد علم أصول التفسير فهل ينافي ذلك كون التفسير رأس العلوم الإسلامية؟:

الجواب: لا! إذ معنى كونه رأس العلوم الإسلامية أنه أصل لعلوم الإسلام على وجه الإجمال، وأن استمداده من علوم شتى غايته بلوغ الكمال في الفهم السديد من مراد الرب المجيد، تفادياً للعجز البشري في الفهم السقيم.

المطلب الثالث: كيف نشأ علم أصول التفسير؟:

١) نزل القرآن على النبي ﷺ، وقومه أميين في غالبهم، ولكنهم امتازوا بالبيان في السنتهم حداً أدهش غير العرب كما في اعجاب الشاعر الألماني جوته بقصيدته ابن اخت تأبط شراً[١]، وبهذه الإبانة الفائقة للغتهم نزل القرآن، كما قال تعالى: ﴿**حم وَالْكِتابِ الْمُبِينِ**﴾[٢] فجعله مبيناً لشدة وضوحه واصفاً إياه باسم الفاعل، وحقه ان يوصف باسم المفعول، ولكنه عدل عن ذلك إلى اسم الفاعل لشدة ظهور ذلك فيه .

قاعدة: نزل القرآن الكريم على هيئة التيسير والسهولة بلسان عربي مبين لغايات ثلاث: أن يعقل المخاطبون القرآن، وان يستبين لهم ما نزل إليهم، وان يكون ميسراً للذكر مبشراً للمتقين، ومنذراً لغيرهم، ويدل على ذلك:

١) قوله تعالى: ﴿**الر تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[٣] فذكر هنا العقل، وذكر البيان بقوله تعالى: ﴿**وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إلا بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**﴾[٤]، ويدل على الغاية الثالثة قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾[٥]، أي يسرناه لمن أراد التذكر لأنه (خالي من التعقيد والمجسّد لعناصر

١- ظ: د. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ٣٧/١ .
٢- سورة الزخرف، الآية: ١-٢ .
٣- سورة يوسف، الآية: ١-٣.
٤- سورة ابراهيم، الآية: ٤ .
٥- سورة القمر، الآية: ١٧ .

التأثير من حيث عذوبة ألفاظه وجاذبيتها، وحيوية عباراته وصراحتها في عرض المطالب ترغيباً وتهديداً، ..)[١].

٢) يستخدم العرب في كلامهم الحقيقة والمجاز، والتصريح والكناية، والإيجاز والإطناب، والبديع اللغوي بأصنافه، والتشبيه...، والقرآن الكريم جاء على هذه الأساليب العربية إلا أنه فتنهم باستعمال ذلك استعمالاً يفوق بلاغتهم من حيث التصوير اللفظي، أو المحتوى المعنوي، فلم يجد عندها معارضوه شيئاً يعارضونه به إلا ان وصفوه وصفاً محسوباً له لا عليه وهو قولهم: ﴿**إِنْ هذا إلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ**﴾[٢].

٣) حفظ النبي(ﷺ) ألفاظ القرآن حتى يبلغها أمته، ثم تكون العصمة عن نسيان الألفاظ للأمة في المجموع بعد تبليغهم، كما فهم(ﷺ) معانيه حيث ضمن الله له ذلك بقوله: ﴿**وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِليهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[٣] وفهمه المخاطبون به أهل البيت (عليهم السلام)، ومن ثم فُهم به الصحابة جملة، (أما فهمه تفصيلاً ومعرفة دقائق باطنه بحيث لا يغيب عنهم شاردة ولا واردة، فهذا غير ميسور لهم بمجرد معرفتهم للغة القرآن بل لا بد لهم من البحث والنظر والرجوع)[٤] إلى النبي(ﷺ) وأهل بيته الكرام فيما يشكل عليهم فهمه.

٤) ومن هنا نشأ علم التفسير، وهو يواكب نشأة علم أصول التفسير، إذ استبان منذ العصر الأول أن من أهم مصادر التفسير: النبي(ﷺ) وفي ذلك قال تعالى: ﴿**وَما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ إلا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[٥]،

١- ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢٣٢/١٧.، ظ: سورة مريم، الآية: ٩٧، سورة الدخان: ٥٨.
٢- سورة المدثر، الآية: ٢٤. راجع تفصيل ذلك: د. عبد السلام المجيدي، تلقي النبي (ﷺ) الفاظ القرآن الكريم، ص١١٣.
٣- سورة النحل، الآية: ٤٤ .
٤- ظ: التفسير والمفسرون، ٣٨/١.
٥- سورة النحل، الآية: ٦٤ .

وقال النبي(ﷺ): (ألا سالوا إذا لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال)[١]، وقد قال هذا زجراً لمن فسر آية التيمم على غير وجهها، ولم يضعها في مواضعها، واخبرهم(ﷺ) ان من مصادر التفسير الاجتهاد من العالمين المتمكنين في الفهم كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[٢]، و(لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) أي أهل البيت (عليهم السلام)، قال الإمام محمد الباقر (عليه السلام): (هم الأئمة المعصومون)[٣]، ولفت النبي(ﷺ) نظرهم إلى ان أول مصادر التفسير: القرآن ذاته كما في بيان معنى الظلم الوارد في آية الأمن سورة الأنعام... وهذا بقدر ما هو تفسير هو كذلك أصول تفسير... وقد أشار السيد الخوئي ان على المفسر ان يتبع الخطوات السليمة للتفسير فبعد تفسير القرآن على الظواهر اللغوية قال: (أو يتبع ما حكم به العقل الفطري الصحيح فإنه حجة من الداخل كما أن النبي حجة من الخارج، أو يتبع ما ثبت عن المعصومين عليهم السلام فإنهم المراجع في الدين، والذين أوصى النبي صلى الله عليه وآله بوجوب التمسك بهم فقال: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا)[٤].

٥) ظهر التفسير باعتباره علماً لّما بدأ يستقل عن سائر المشاغل التي لها صلة بالنص القرآني، فازدهر تدوين التفسير باعتباره علماً منذ القرن الرابع للهجرة، وهذا ما أشار إليه ابن النديم(ت:٣٨٧هـ) فجعل فصلاً في "الكتب المصنفة في تفسير القرآن"[٥]، فكانت الخطوات الأولى للتصنيف والتدوين في أواخر عهد بني أمية وأول عهد العباسيين، حيث دونت السنة النبوية وهي تضم بين جنباتها تفسير القرآن الكريم، ومناهج تفسيره، ثم سرعان ما اتجه العلماء إلى فصل العلوم بعضها عن بعض،

١- ابو داود، سنن ابي داوود، ١٥٤/١، ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ١٨٩/١.
٢- سورة النساء، الآية: ٨٣.
٣- الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٣٣٣/٢.
٤- البيان، ص٣٩٧ .
٥- ظ: الفهرست، ص٥٢ .

فأصبح للحديث علماؤه ومصنفاته، وللتفسير علماؤه مصنفاته، وللقراءات علماؤها ومصنفاتها، وللفقه علماؤه ومصنفاته، ثم أخذ العلماء يضعون قواعد وضوابط وأصولاً لإدراك تلك العلوم فوضع علم أصول الفقه للفقه، وقواعد النحو للغة العربية، وأصول مصطلح الحديث للحديث الشريف، وقواعد علم التفسير للتفسير، حيث كان المفسرون يضمون مقدمات تفاسيرهم أهم تلك القواعد والأصول..، إلا أن أهل العلم لم يفردوا أصول التفسير بالتأليف كمصطلح مباشر بالقدر الذي كان لأصول الفقه ولمصطلح الحديث، وسبب ذلك ان العلوم جميعها (الحديث ومصطلحه، والفقه وأصوله، وعلوم اللغة) تعد كالأصول للتفسير، فهي الأساس في فهم التفسير.

ويمكن ان يشار هنا إلى ان ما فعله الفقيه الشافعي في اخراجه كتاب "الرسالة" التي تعد أول اخراج علمي في علم أصول الفقه وقواعد التفسير، حيث تحدث فيها عن الكتاب والسنة، وعن مراتب البيان كما تحدث فيها عن الناسخ والمنسوخ والعموم والخصوص .. وهذ كلها علوم مشتركة بين أصول الفقه وأصول التفسير، ولم يسبق الشافعي أحد إلى ذلك[١]، وليس المقصود نفي وجود ملكة معرفة الأصول قبل الشافعي، بل ان هذه العلوم الأصولية كانت مفرقة مبعثرة حتى جاء الشافعي فجمع اشتاته وألف بين متفرقاتها ...

*** لماذا لم توضع أصول لتفسير القرآن في العهد الأول؟**

أولاً: لأنهم العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، وبسليقتهم العربية استغنوا عن وضع قواعد محددة للتفسير، فالأصول العامة للتفسير حاضرة في اذهانهم كمصادر التفسير، واساليب اللغة العربية، ولذا وصف الله آياته بانها بينات أي انها مبينة بذاتها.

١- ظ: الزركشي، البحر المحيط، ٧/١ .

ثانيا: وجود سنة رسول الله(ﷺ) المبينة عن الله تعالى ما أراد: ويدل على هذين السببين قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلى عَلَيْكُمْ آياتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾[١]، أي (أن الكفر الذي بعيد منكم وحاشاكم منه فان آيات الله تنزل على رسوله ليلاً ونهاراً وهو يتلوا عليكم ويبلغها اليكم)[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَما لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلى عَبْدِهِ آياتٍ بَيِّناتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلى النُّورِ وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾[٣]، وحديث صالح بن جبير انه قال: قدم علينا ابو جمعة الأنصاري صاحب رسول الله(ﷺ) ببيت المقدس ليصلي فيه ومعنا رجاء بن حيوة يومئذ، فلما انصرف خرجنا معه لنشيعه، فلما اردنا الانصراف قال: ان لكم عليَّ جائزة وحقاً ان احدثكم بحديث سمعته من رسول الله(ﷺ) فقلنا: هات يرحمك الله فقال: كنا مع رسول الله(ﷺ) معنا معاذ بن جبل عاشر عشرة فقلنا: يا رسول الله هل من قوم أعظم منا أجراً آمنا بك واتبعناك؟ قال: (ما يمنعكم من ذلك ورسول الله(ﷺ) بين أظهركم يأتيكم الوحي من السماء؟! بلى! قوم يأتيهم كتاب بين لوحين فيؤمنون به، ويعلمون بما فيه... أولئك أعظم منكم أجراً، أولئك أعظم منكم أجراً، أولئك أعظم منكم أجراً)[٤].

ثالثاً: معرفتهم لأسباب النزول وطبيعة الحال التي نزل فيها الوحي..

هل معنى قولنا نزل القرآن عربياً ان كل الناس يفهمونه على قدر متساوٍ؟

لا! بل يفهم العامة عناصر الإجمال في قضاياه، اما الدقائق والتفاصيل فقد بين الله تعالى ذكره انها لمن يستنبطه من أولي الذكر كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آياتٌ

١- سورة آل عمران، الآية: ١٠١ .
٢- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥١٤/١ .
٣- سورة الحديد، الآية: ٨ -٩ .
٤- احمد بن حنبل، مسند احمد ، ١٠٦/٤.

بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾[١]. (أي هذا القرآن آيات بينة واضحة في الدلالة على الحق أمراً ونهياً وخبراً يحفظه العلماء يسره الله عليهم حفظاً وتلاوة وتفسيراً)[٢]، وقرر ابن خلدون(ت:٨٠٨هـ) ذلك في قوله: (واما التفسير: فاعلم ان القرآن نزل بلغة العرب وعلى اساليب بلاغتهم فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه)[٣]، ومعنى هذا التقرير: (ان كل واحد من الصحابة كان عندما يقرأ القرآن يفهم ظاهره العربي ألفاظاً وتركيباً، أما ما حوله من العلوم والمعارف وقضايا الحلال والحرام، وأسباب النزول، وما وراء الألفاظ والمعاني من الاستنباطات الدقيقة، فهذا لم يكن يعرفه إلا العلماء من الصحابة الذين اشتهروا بالتفسير والفتيا ومعرفة السنة الشريفة)[٤]، ومما يدل على ان ابن خلدون لم يقصد الإطلاق في كلامه السابق قوله: (فكان النبي(ﷺ) يبين المجمل ويميز الناسخ من المنسوخ ويعرفه أصحابه فعرفوه وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال منها منقولاً عنه)[٥]. فقد كان الصحابة يفهمون القرآن إجمالاً اما عند التفصيل والتدقيق فهذا اختصاص النبي ﷺ وأولي الذكر من أهل العلم كما في قوله تعالى: **﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إلا رِجالاً نُوحِي إليهمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّناتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إليهمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾**[٦]، ففي الآية (دلالة على حجية قول النبي ﷺ في بيان الآيات القرآنية، وأما ما ذكره بعضهم أن ذلك في غير النص والظاهر من المتشابهات أو فيما يرجع إلى أسرار كلام الله وما فيه من التأويل لا ينبغي أن يصغى إليه.

١- سورة العنكبوت، الآية: ٤٩.
٢- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥٥٢/٣ .
٣- مقدمة ابن خلدون، ٥٥١/١ .
٤- تطور تفسير القرآن، ص٢٣، وهذا بخلاف ما ذهب إليه الذهبي في التفسير والمفسرون، ٣٠/١، ان ابن خلدون مال في كلامه هذا إلى معرفة الصحابة للتفاصيل والدقائق.. فكلامه واضح في انهم فهموا الفهم العام، فلا يوجد ما يقتضي نقد كلامه أو الاستدراك عليه، والدليل على ذلك سماع المسلمين والكفار له دون ان يقول احد منهم ان الكلام الذي ذكرته مستغلق.
٥- مقدمة ابن خلدون، ٥٥١/١ .
٦- سورة النحل، الآية: ٤٣- ٤٤ .

هذا في نفس بيانه ﷺ ويلحق به بيان أهل بيته لحديث الثقلين المتواتر وغيره وأما سائر الأمة من الصحابة أو التابعين أو العلماء فلا حجية لبيانهم لعدم شمول الآية وعدم نص معتمد عليه يعطي حجية بيانهم على الإطلاق)[١] ولذا فالصحابة مخاطبون للرجوع للنبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام فتتفاوت أفهام الصحابة (رض) في إدراك النص القرآني بحسب إمكانية الصحابي وقدراته في التلقي والاستيعاب كما سيتضح في أدناه.

تفاوت الصحابة في فهم القرآن:

ف(قد يظهر لبعضهم ما لم يظهر لبعض آخر في تفسير القرآن الكريم وهذا يرجع إلى تفاوتهم في القوة العقلية، وتفاوتهم في معرفة ما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات، وأكثر من هذا: أنهم كانوا لا يتساوون في معرفة المعاني التي وُضعت لها المفردات، فمن مفردات القرآن ما خفى معناه على بعض الصحابة، ولا ضَيْر في هذا، فإن اللغة لا يحيط بها إلا معصوم، ولم يدَّع أحد أن كل فرد من أُمَّة يعرف جميع ألفاظ لغتها)[٢] ومن امثلة ذلك:

١) ما تقدم عن عدي بن حاتم .

٢) وما ذلك ما جاء عن أنس: (ان عمر بن الخطاب قرأ على المنبر: ﴿وَفاكِهَةً وَأَبًّا﴾[٣]... فقال هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: ان هذا لهو التكلف يا عمر)[٤].

٣) عن ابن عباس قال: ان الشُرَّاب كانوا يضربون على عهد رسول الله(ﷺ) بالأيدي والنعال والعصي حتى توفي رسول الله(ﷺ) وكانوا في خلافة أبي بكر أكثر منهم في عهد رسول الله (ﷺ) فقال أبو بكر: لو فرضنا لهم حداً فتوخى نحوا مما

١- محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٢٢٢/١٢ - ٢٢٣ .
٢- التفسير والمفسرون، ٣٩/١ .
٣- سورة عبس، الآية: ٣١.
٤- الحاكم، المستدرك، ٥٥٩/٢، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٢٣/١٩.

كانوا يضربون في عهد رسول الله(ﷺ)، فكان أبو بكر يجلدهم أربعين حتى توفي، ثم قام من بعده عمر فجلدهم كذلك أربعين حتى أتى برجل من المهاجرين الأولين وقد كان شرب فأمر به أن يجلد، فقال: لم تجلدني؟ بيني وبينك كتاب الله عز وجل، فقال عمر: في أي كتاب الله تجد أني لا أجلدك؟ فقال: إن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾[١] فأنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ثم اتقوا وآمنوا، ثم اتقوا وأحسنوا، شهدت مع رسول الله(ﷺ) بدراً والحديبية والخندق والمشاهد، فقال عمر: إلا تردون عليه ما يقول؟ فقال ابن عباس: إن هذه الآيات أنزلت عذرا للماضين وحجة على الباقين لأن الله عز وجل، يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾[٢] ثم قرأ حتى أنفذ الآية الأخرى: ﴿وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾ فإن الله عز وجل قد نهى أن يشرب الخمر، فقال عمر: صدقت فماذا ترون؟ فقال الإمام علي(عليه السلام): (نرى أنه إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى افترى، وعلى المفتري ثمانون جلدة)، فأمر عمر فجلد ثمانين)[٣].

٤) ويبين هذا التفاوت ما جاء عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدرٍ فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم. قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم قال: وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال ما تقولون في قوله تعالى: ﴿إِذا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْواجاً﴾[٤] حتى ختم السورة؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا

١- سورة المائدة، الآية: ٩٣ .
٢- سورة المائدة، الآية: ٩٠ .
٣- الحاكم، المستدرك، ٤١٧/٤، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، ١٦٦/٣. وهذا الصحابي الذي تأول هذا التأويل للآية ولم يضعها في موضعها هو قدامة بن مظعون.
٤- سورة النصر، الآية: ١-٢.

نصرنا، وفتح علينا. وقال بعضهم: لا ندري أو لم يقل بعضهم شيئاً. فقال لي: يا ابن عباس أكذلك قولك؟ قلت: لا! قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول اللهﷺ أعلمه الله له: ﴿إِذا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾ فتح مكة فذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ..﴾ قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم[١].

٥) والأمثلة كثيرة ومنها المذكورة في مبحث غريب القرآن – الآتية – توضح ذلك وتبينه، غير ان مسروقاً الأجدع يوضح طبيعة تفاوت فهم الصحابة في قوله: (جالست أصحاب محمد(ﷺ) فوجدتهم كالإخاذ – يعني الغدير– فالإخاذ يروي الرجل، والإخاذ يروي الرجلين، والإخاذ يروي العشرة، والإخاذ يروي المائة، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم)[٢].

١- ظ: البخاري، صحيح البخاري، ٥٦٣/٤.
٢- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣٤٣/٢.

المبحث الثالث: شروط المفسر وآدابه:

البحث العلمي النزيه أساس المعرفة الحقة التي تعود على طلابها بالنفع، لذلك فإن تهيؤ أسبابه لأي باحث أمر له اعتباره في نضج ثماره ودنو قطوفه، والبحث في العلوم الشرعية عامة وفي التفسير خاصة من أهم ما يجب الاعتناء به والتعرف على شروطه وآدابه، حتى يصفو مشربه، ويحفظ روعة الوحي وجلاله.

فالمتصدي لتفسير كلام الله تعالى يجب ان يكون أهلاً لهذا التصدي الخطر، فهو لا يفسر كلام أحد من البشر، فيجب ان تتوافر فيه جملة من الشروط وتتحقق فيه جملة من الآداب، وقد عقدت كثير من المؤلفات والمصادر في طياتها لهذا المبحث حتى أفرد لها كتب مختصة، ونذكر ههنا باختصار شديد بعض من الآداب والشروط التي يجب ان تكون في المفسِّر، ولمن رام الاستزادة يراجعها في مضانها[1]:

نستطيع أن نقسم شروط المفسِّر وآدابه على ثلاثة أقسام، هي:

المطلب الأول : شروط عملية

تتلخص بإتقان المفسر قدراً جيداً من العلوم التي ذكرناها آنفاً.

١- للتوسعة ظ: أحمد قشيري سهيل، المفسر، شروطه، آدابه، مصادره دراسة تأصيلية، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٩هـ، د. محمد حسين الصغير، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، ص٣٥، د. محمد لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن، ص١٩٤، محمد علي التسخيري، محاضرات في علوم القرآن، ص١٥٧، د. علي سليمان العبيد، تفسير القرآن أصوله وضوابطه، ص١٤١، د. محمد كاظم الفتلاوي، مناهج المفسرين/ دراسة في النظرية والتطبيق، ص٤٣، د. فهد عبد الرحمن الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، ص١٨٣، عبد الله يوسف الجديع، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ص٢٧٦ .

المطلب الثاني : شروط عقلية

وهي أن يكون المفسر موهوباً ذا قدرات عقلية ممتازة، قوي الاستدلال حسن الاستنباط، قادراً على الترجيح إن تعارضت الأدلة، عارفاً اختلاف الأقوال على حقيقته، إذ كثيراً ما يكون الاختلاف اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد.

المطلب الثالث : شروط دينية وآداب خلقية

وهي أن يكون صحيح العقيدة، مؤدياً للواجبات الدينية، ملتزماً الآداب والأخلاق الإسلامية التي دعا إليها الإسلام وأن يكون محرراً من سلطان الهوى، شديد الخشية لله تعالى.

الفصل الثالث

مصادر أصول التفسير

الفصل الثالث: مصادر أصول التفسير

أهم مصادر أصول التفسير:

معلوم ان معرفة أي علم من العلوم لا تتم إلا عن طريق مصادره التي تستقى منها مادته العلمية. والمراد بمصادر التفسير: "المراجع الأولية التي يرجع إليها المفسر عند تفسيره لكتاب الله، وإنما قيل: "المراجع الأولية" لئلا تدخل كتب التفسير؛ لأنها تعد مصادر، ولكن الحديث هنا ليس عنها"[١].

فمصادر تفسير القرآن الكريم يشرف أن تكون مصادره القرآن نفسه، ثم من نزل عليه القرآن، ثم من أخذ عن من نزل عليه، ثم من أخذ عنهم، ثم بلغة هذا القرآن. وبعض الباحثين من زاد على هذه المصادر، ومنهم من انتقى مصادر متقاربة، ولعلهم ناظرين في ذلك الى الأهمية والأولوية وكذلك لتداخل العلوم والمعارف ولعدم وجود ضابطة متفق عليها[٢].

ولكن للمتأمل في هذه المصادر يلحظها لا تخرج عن المصادر الثلاث التي سنذكرها، فهي داخلة ضمناً أو على شاكلة ضوابطها وشروطها. لهذا آثرنا عدم ذكرها فيما نذكره من المصادر.

١- د. مساعد سليمان الطيار، التحرير في أصول التفسير، ص٣٩.

٢- فقد عدّ بعض الباحثين من مصادر التفسير: (ظواهر الكتاب) في حين عدها آخر من قواعد التفسير، وعدّ آخر (الاسرائيليات) من مصادر التفسير، وآخر لم يذكر مصادر التفسير في مؤلفه، ظ: الشيخ محمد الفاضل اللنكراني، ص١٥٩، محمد فاكر المبيدي، قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، ص١٧٥، د. مساعد الطيار، التحرير في أصول التفسير، ص١٤٣، د. فهد الرومي، أصول التفسير ومناهجه!.

ويمكن أن نرصد بإيجاز أهم مصادر أصول التفسير الكلية الأولية، وعلى النحو الآتي:

المبحث الأول: الأصل (المصدر) الأول: النقلي

المبحث الثاني: الأصل (المصدر) الثاني: العقلي

المبحث الثالث: الأصل (المصدر) الثالث: اللغوي

المبحث الأول: الأصل الأول: المصدر النقلي

تعريفه: هو بيان معنى الآية بما ورد في الكتاب العزيز وسنة المعصوم عليه السلام أو أقوال الصحابة والتابعين، ويعتمد في حجيته على الصحيح المنقول.

وبهذا فهو مصدر أساس لكل مفسر وأصلاً رئيس في فهم مراد الله تعالى في كتابه الكريم، وهو على النحو الآتي:

المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن:

أولاً: سبب تفسير القرآن بالقرآن:

النقل عن القرآن الكريم أي تفسير القرآن بالقرآن، ولكن: لماذا يفسر القرآن بالقرآن؟ والجواب عن ذلك:

أولاً: لأن القرآن يصدق بعضه بعضاً: فليس فيه اضطراب ولا تناقص ولا اختلاف؛ إذ هو من عند الله ﴿**وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً**﴾[١].

١) فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: لقد جلست أنا وأخي مجلساً ما أحب أن لي به حمر النعم... أقبلت أنا وأخي وإذا مشيخة من أصحاب رسول الله(ﷺ) على باب من أبوابه فكرهنا ان نفرق بينهم فجلسنا حجرة – أي منعزلين في ناحية – إذ ذكروا آية من القرآن فتماروا فيها [وهم يختصمون في القدر]، حتى ارتفعت أصواتهم فخرج رسول الله(ﷺ) مغضباً قد احمر وجهه [كأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب] يرميهم بالتراب ويقول: (مهلاً يا قوم بهذا أهلكت الأمم من قبلكم: باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتب بعضها ببعض... إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضا، إنما نزل يصدق بعضه بعضا فما عرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه) فقال عبدالله بن عمرو: ما اغبطت نفسي بمجلس تخلفت فيه عن رسول الله(ﷺ) ما غبطت نفسي بذلك المجلس وتخلفي[٢].

٢) وعن مجاهد في قوله تعالى: ﴿**مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ**﴾ [٣]، ما فيه من الحلال والحرام وما سوى ذلك فهو متشابه يصدق بعضه بعضاً" وهو مثل قوله تعالى: ﴿**وَما يُضِلُّ بِهِ إلا الْفاسِقِينَ**﴾[٤]، ومثل قوله تعالى: ﴿**كَذلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى**

١- سورة النساء، الآية: ٨٢ .
٢- احمد بن حنبل، مسند احمد، ٢/ ١٨١.
٣- سورة آل عمران، الآية: ٧ .
٤- سورة البقرة، الآية: ٢٦ .

الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾[١]، ومثل قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً وَآتاهُمْ تَقْواهُمْ﴾**[٢][٣].

ثانياً: وتفسير القرآن بالقرآن لأن صاحب الكلام ادرى بمعاني كلامه، واعرف له من غيره، والناظر في القرآن يجد انه قد اشتمل على اساليب الكلام العربي: "ولهذا كان لا بد لمن يعترض لتفسير كتاب الله تعالى أن ينظر في القرآن أولاً، فيجمع ما تكرر منه في موضوع واحد، ويقابل الآيات بعضها ببعض، ليستعين بما جاء مسهبَاً على معرفة ما جاء موجَزاً، وبما جاء مُبيَّناً على فهم ما جاء مُجمْلاً، وليحمل المُطْلَق على المقيَّد، والعام على الخاص، وبهذا يكون قد فسرَّ القرآن بالقرآن، وفهم مراد الله بما جاء عن الله"[٤].

ثالثاً: لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً: وهذا هو الواضح من قول الإمام علي عليه السلام: (كتاب الله يصدق بعضه بعضا، ولا ينقض بعضه بعضا)[٥]، ويؤكد هذا المضمون الشيخ محمد عبده بقوله: "والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه بأن يجمع ما تكرر في مواضع منه وينظر فيه فربما استعمل بمعان مختلفة كلفظ الهداية وغيره ويحقق كيف يتفق معناه مع جملته من الآية فيعرف المعنى المطلوب من بين معانيه"[٦].

١- سورة الأنعام، الآية: ١٢٥ .
٢- سورة محمد، الآية: ١٧ .
٣- الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، ٣/ ١٧٣ .
٤- د. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ٤٢/١.
٥- المجلسي، بحار الأنوار، ١٢٢/١٠ .
٦- الزرقاني، مناهل العرفان، ٢/ ٣٩ .

لماذا كان هذا النوع من التفسير هو أول أنواع مصادر التفاسير؟: لأن صاحب الكلام ادرى بمعاني كلامه، واعرف به من غيره، فنبحث عن النصوص التي تدل على إرادته المعنى، أو القرائن التي تدل على المعنى الذي يريده.

ثانياً: من صور تفسير القرآن بالقرآن: صور تفسير القرآن بالقرآن كثيرة نذكر منها صور ثمان؛ هي:

الصورة الأولى: (المقابلة بين الإيجاز والإطناب):

١) كقصة آدم (عليه السلام) وإبليس، فقد جاءت مختصرة في بعض المواضع كما في سورة الكهف، وجاءت مُسْهَبَة مطوَّلة في مواضع أخرى، كما في سورة البقرة، وسورة الأعراف، وسورة الحجر، وسورة طه، وسورة ص.

٢) قصة موسى (عليه السلام) وفرعون، جاءت مُوجَزة في (سورة المؤمنون) مثلاً، وجاءت مُسْهبَة مُفصَّلة في مواضع اخرى كما في سورة البقرة، وسورة الأعراف، وسورة طه، وسورة القصص، وسورة غافر على تفاوت بينها يميز كل موضع...

٣) وقد يتعلق ذلك بالمفاهيم كمفهوم البعث فقد بين الله سبحانه وتعالى الأدلة العقلية عليه في سورة متعددة كسورة يس، وسورة الحج، وسورة الأحقاف، وسورة البقرة.

٤) يذكر شيء في موضع، ثم يقع عنه سؤال وجواب في موضع آخر، مما يزيده وضوحاً وتفصيلاً: كما في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1]، فقد وقع

١- سورة الفاتحة، الآية: ١ .

عنه سؤال وجواب في موضع آخر، وذلك قوله تعالى: ﴿قالَ فِرْعَوْنُ وَما رَبُّ الْعالَمِينَ قالَ رَبُّ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَما بَيْنَهُمَا﴾[١]، فبين المراد في العالمين هنا.

٥) يذكر وقوع شيء في القرآن، ثم يذكر في محل آخر كيفية وقوعه: ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ واعَدْنا مُوسى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾[٢]. ولم يبين في هذا الموضع هل كانت مجتمعة أو متفرقة، لكنه بينها في موضع آخر بقوله: ﴿وَواعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْناها بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[٣].

٦) يقع في أحد المواضع طلب لأمر، ويبين في موضع آخر المقصود من ذلك المطلوب: كما في قوله تعالى: ﴿وَقالُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾[٤]. وقد بين في موضع آخر ان مرادهم بالملك المقترح انزاله ان يكون نذيراً آخر مع النبي (ﷺ) وذلك قوله تعالى: ﴿لَوْ لا أُنْزِلَ إليه مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً﴾[٥].

الصورة الثانية: ان يحمل المجمل على المبين ليفسر به: والمبين نوعان[٦]:

الأول: متصل: اي يقع البيان في المكان ذاته، كما في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾[٧] بين المقصود بالخيطين

١- سورة الشعراء، الآية: ٢٣ – ٢٤.
٢- سورة البقرة، الآية: ٥١ .
٣- سورة الأعراف، الآية: ١٤٢.
٤- سورة الأنعام، الآية: ٨ .
٥- سورة الفرقان، الآية: ٧ .
٦- ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٢١٥/٢، الذهبي، التفسير والمفسرون، ٢٧/١، الزرقاني، مناهل العرفان، ٢/ ١١، د. خالد بن عثمان السبت، قواعد التفسير، ١١٠/١.
٧- سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

بقوله تعالى: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾، وكما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾، بين وجه المشابهة بقوله: ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[١].

الثاني: المنفصل؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكُ كاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾[٢] فسر في موضع آخر هذا الذي تكلم عليه بأنه العذاب الأدنى المعجل في الدنيا لقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أو نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنا يُرْجَعُونَ﴾[٣]. ومنه بيان العهد المأخوذ على بني اسرائيل المذكور في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿يا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[٤]. حيث بينه في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ وَبَعَثْنا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً لأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ﴾[٥]. وقد بين ذلك الطبري عند الكلام على آية سورة البقرة[٦].

والمجمل أنواع منها:

الإجمال من حيث الاشتراك في الاسم: كقوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[٧]، فان العتيق مشترك بين ثلاثة معانٍ: القديم، أو المعتق من الجبابرة، أو

١- سورة آل عمران، الآية: ٥٩ .
٢- سورة غافر، الآية: ٢٨.
-٣ سورة غافر، الآية: ٧٧ .
٤- سورة البقرة، الآية: ٤٠ .
٥- سورة المائدة، الآية: ١٢ .
٦- الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، ١/ ٢٨٦.
٧- سورة الحج، الآية: ٢٩ .

العتيق بمعنى الكريم وبين قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبارَكاً﴾[١] ان المراد الأول مع ان المعنيين الأخريين كلاهما حق.

والإجمال من حيث الاشتراك في الفعل: كما في قوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذا عَسْعَسَ﴾[٢] مشترك بين إقبال الليل وإدباره، وبين الله أن المعنيين مرادان في قوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾[٣]، وكما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذا يَغْشى﴾[٤]، ﴿وَاللَّيْلِ إِذا سَجى﴾[٥].

والإجمال من حيث الاشتراك في الحرف: كما في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَعَلى سَمْعِهِمْ وَعَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ وَلَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾[٦]، فإن الواو في قوله: ﴿وَعَلى سَمْعِهِمْ وَعَلى أَبْصارِهِمْ﴾ محتملة في الحرفين أن تكون عاطفة على ما قبلها، وأن تكون استئنافية. وبين في قوله تعالى: ﴿وَعَلى سَمْعِهِمْ﴾، معطوف على قوله: ﴿عَلى قُلُوبِهِمْ﴾، وأن قوله تعالى: ﴿وَعَلى أَبْصارِهِمْ﴾ استئناف، والجار والمجرور خبر المبتدأ الذي هو ﴿غِشاوَةٌ﴾ وسوغ الابتداء بالنكرة فيه اعتمادها على الجار والمجرور قبلها، وهو الذي سوغ الابتداء بالمبتدأ كما قال ابن مالك:

ونحو عندي درهم ولي وطر ملتزم فيه تقدم الخبر

وذلك في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَواهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلى بَصَرِهِ غِشاوَةً﴾[٧][٨].

١- سورة آل عمران، الآية: ٩٦ .
٢- سورة التكوير: الآية: ١٧ .
٣- سورة المدثر، الآية: ٣٢ .
٤- سورة الليل، الآية: ١ .
٥- سورة الضحى، الآية: ٢.
٦- سورة البقرة، الآية: ٧ .
٧- سورة الجاثية، الآية: ٢٣ .
٨- ظ: الشنقيطي، اضواء البيان، ٤٧/١ .

الصورة الثالثة: حمل المطلق على المقيد:

١) كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ ثُمَّ ازْدادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾[١] فإنها مقيدة بقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ حَتَّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولئِكَ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً﴾[٢].

٢) وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾[٣] مقيدة بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كافِرٌ فَأُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾[٤].

٣) ومن امثلته أيضاً عند بعض العلماء: آية الظهار مع آية القتل، ففي كفارة الظهار يقول الله تعالى في سورة المجادلة الآية: ٣: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ .... وفي كفارة القتل يقول في سورة النساء: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾[٥]... فيحمل المطلق في الآية الأولى على المقيد في الآية الثانية، بمجرد ورود اللفظ المقيد من غير حاجة إلى جامع عند هذا البعض من العلماء، يقول البيضاوي (ت:٧٩١هـ): (والرقبة مقيدة بالإيمان عندنا قياساً على كفارة القتل)[٦]، وان كان يبدو للباحث عدم الحمل لعدم اتحاد الحكمين، ولأن في ذلك حثاً على اطلاق الرقاب ولو لم تكن مسلمة، وهو مقصد شرعي.

١- سورة آل عمران، الآية: ٩٠ .
٢- سورة النساء، الآية: ١٨ .
٣- سورة المائدة، الآية: ٥.
٤- سورة البقرة، الآية: ٢١٧ .
٥- سورة النساء، الآية: ٩٢ .
٦- أنوار التنزيل واسرار التأويل، ١٩٣/٥ .

الصورة الرابعة: حمل العام على الخاص:

١) مثل نفي الخلة والشفاعة على جهة العموم في قوله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفاعَةٌ وَالْكافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[١]... وقد استثنى الله المتقين من نفي الخلة في قوله تعالى: ﴿**الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إلا الْمُتَّقِينَ**﴾[٢]... واستثنى ما اذن فيه من الشفاعة بقوله تعالى: ﴿**وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّماواتِ لا تُغْنِي شَفاعَتُهُمْ شَيْئاً إلا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشاءُ وَيَرْضى**﴾[٣].

٢) وكما في قوله تعالى: ﴿**وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما**﴾[٤] فهذا عموم يشمل كل أب: مسلم وكافر، وقد خصه قوله تعالى: ﴿**ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كانُوا أُولِي قُرْبى**﴾[٥] فخرج بهذا الاستغفار للأبوين الكافرين، وظهر ان المراد بها الأبوان المؤمنان[٦].

١- سورة البقرة، الآية: ٢٥٤ .
٢- سورة الزخرف، الآية: ٧٦.
٣- سورة النجم، الآية: ٢٦ .
٤- سورة الإسراء، الآية: ٢٤.
٥- سورة التوبة، الآية: ١١٣ .
٦- ظ: الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، ٦١/٨، الطبرسي، مجمع البيان، ١٨١/٦، البغوي، تفسير معالم التنزيل، ٢٥/٥.

الصورة الخامسة: البيان بمنطوق أو بمفهوم: وله أربعة مظاهر:

١) **بيان المنطوق بمثله:** كما في قوله تعالى: ﴿**أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعامِ إلا ما يُتْلى عَلَيْكُمْ**﴾[١].. فسرت الآية اخرى ما هو الذي يتلى علينا وهي قوله تعالى: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ....**﴾[٢] الآية(٣) من السورة نفسها.

٢) **بيان المنطوق بمفهوم:** كما في قوله تعالى: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ ...**﴾[٣] في سورة المائدة بين الله بمفهوم قوله في الأنعام: ﴿**أَوْ دَماً مَسْفُوحاً**﴾[٤] ان غير المسفوح ليس بمحرم، دون ما كان منه غير مسفوح، لأن الله جل ثناؤه قال: ﴿**قُلْ لا أَجِدُ فِي ما أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلى طاعِمٍ يَطْعَمُهُ إلا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أو دَماً مَسْفُوحاً أو لَحْمَ خِنزِيرٍ**﴾[٥] فأما ما كان قد صار في معنى اللحم كالكبد، أو ما تبقى في عروق الذبيحة الشعرية الدقيقة، فإن ذلك غير حرام[٦] .

٣) **بيان المفهوم بمنطوق:** كما في قوله تعالى: ﴿**هُدىً لِلْمُتَّقِينَ**﴾[٧] بين مفهومه وهو انه ليس كذلك لغيرهم بقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى**﴾[٨] ونحوها من الآيات.

١- سورة المائدة، الآية: ١.
٢- سورة المائدة، الآية: ٣ .
٣- سورة المائدة، الآية: ٣.
٤- سورة الأنعام، الآية: ١٤٥ .
٥- سورة الأنعام، الآية: ١٤٥ .
٦- ظ: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٣٣٦/٤ .
٧- سورة البقرة، الآية: ٢ .
٨- سورة فصلت، الآية: ٤٤ .

٤) **بيان مفهوم بمفهوم:** ﴿وَالْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكتاب﴾[١] يدل على تحريم الأمة الكتابية في النكاح، ويدل عليه مفهوم: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَناتِ الْمُؤْمِناتِ فَمِنْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ مِنْ فَتَياتِكُمُ الْمُؤْمِناتِ﴾[٢].

الصورة السادسة: تفسير لفظة غريبة ويتم هذا التفسير إما:

بلفظة اشهر منها: كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنا عَلَيْها حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾[٣] فسره بالطين في قوله تعالى: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ طِينٍ﴾[٤].

أو بآية تبين المراد أو بعض المراد: ﴿فَفَتَقْناهُما﴾[٥] فمما فسرها قوله تعالى: ﴿وَالسَّماءِ ذاتِ الرَّجْعِ﴾[٦] وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسانُ إِلى طَعامِهِ...﴾[٧].

والظاهر أن كثيراً من ذلك يجد الباحث تميزاً لاستخدام كلمة مكان كلمة دلالة على الإعجاز البياني... فالمراد من البيان هنا البيان العام وليس الدقيق.

الصورة السابعة: تفسير معنى بمعنى:

ففي قوله تعالى: ﴿يومئذ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثاً﴾[١]. بين هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْكافِرُ يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُراباً﴾[٢]. والأنواع والصور الداخلة في هذا الباب كثيرة[٣].

١- سورة المائدة، الآية: ٥.
٢- سورة النساء، الآية: ٢٥ .
٣- سورة الحجر، الآية: ٧٤ .
٤- سورة الذاريات، الآية: ٣٣ .
٥- سورة الأنبياء، الآية: ٣٠ .
٦- سورة الطارق، الآية: ١١-١٢ .
٧- سورة عبس، الآية: ٢٤ .

الصورة الثامنة: ومن ابرز صور تفسير القرآن بالقرآن: تفسير القراءات الثابتة ببعضها:

إذ من واجبات المفسر كما يقرر ابن عاشور: أن يبين اختلاف القراءات المتواترة لأن في اختلافها توفيراً لمعاني الآية غالباً فيقوم تعدد القراءات مقام تعدد كلمات القرآن[٤]، فالقراءات تقوم مقام تعدد الآيات أو الكلمات وقرر الشنقيطي ذلك فقال: (اعلم أولاً أن القراءتين إذا ظهر تعارضهما في آية واحدة لهما حكم الآيتين، كما هو معروف عند العلماء)[٥]، ومن امثلة ذلك قوله تعالى: ﴿**ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ**﴾[٦] برفع المجيد قراءة الجمهور وصفاً لله تعالى، وبخفضه قراءة حمزة والكسائي وصفاً للعرش، وكما في قراءتي ﴿**يكذبون**﴾[٧] في أول البقرة، و﴿**كذبوا**﴾[٨] في أواخر سورة يوسف عليه السلام وبهذا الاعتبار يمكن وضع القاعدة الآتية:

قاعدة: القراءات الثابتة المتغايرة توضح احداها الأخرى في المعنى، أو تؤسس معنى جديداً فهي تقوم مقام الآيات المتعددة: كما في الأمثلة السابقة وكما في قوله تعالى: ﴿**إِذْ قالَ الْحَوارِيُّونَ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ**﴾[٩] فهل يمكن ان يشك الحواريون في قدرة الله الذي يومئ تعبيرهم: هل يستطيع؟ بينت لنا قراءة الكسائي المتواترة ان المراد من سؤالهم ليس الشك في قدرة

١- سورة النساء، الآية: ٤٢.
٢- سورة النبأ، الآية: ٤٠.
٣- للتوسعة ظ: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ٢٩/١.
٤- التحرير والتنوير، ٣٠/١ .
٥- اضواء البيان، ٨٠/٢ .
٦- سورة البروج، الآية: ١٥ .
٧- سورة البقرة، الآية: ١٠ .
٨- سورة يوسف، الآية: ١١٠ .
٩- سورة المائدة، الآية: ١١٢.

الله، بل طلب الإذن من الله ان يصنع لهم ذلك ففي قراءة الكسائي: (هل تستطيعُ ربك) اي هل تستطيع ان تسأل ربك؟ بمعنى هل يمكنك فعل ذلك دون حرج .... فيكون المعنى في القراءتين جميعاً: هل تستطيع أن تسأل ربك المائدة؟....

وكما في قراءاتي ﴿يَطْهُرْنَ﴾[١]، وقراءتي [حامية وحَمِئَةٍ][٢]، وهذه من القراءات المتواترة.

ويذكر بعض العلماء هنا عدداً آخر من القراءات غير المتواترة مثل قراءة ابن مسعود: (أو يكون لك بيت من ذهب) تفسير لفظ الزخرف في القراءات المشهورة: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ﴾[٣]، ومثل قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْاْ إِلى ذِكْرِ اللّهِ﴾[٤] يقولون فيها فسرتها القراءة الأخرى: "فامضوا إلى ذكر الله"، لأنَ المراد بالسعَي مجرد الذهاب[٥]، ويمكن ان يوجه التعبير عن ذلك بالسعي اي ليسرع الناس في الإقلاع عن تجارتهم وأشغالهم ...

ولكن الباحث يرى ان هذا التمثيل لا يستقيم ان يكون من باب القراءات بل من باب التفسير ما دام غير متواتر هو تفسير لا قراءة، كالقراءة المنسوبة لأبن عباس: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾[٦] زاد ابن عباس: (في مواسم الحج)[٧] فالزيادة هنا تفسير لا قراءة.

١- سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.
٢- سورة الكهف، الآية: ٨٦ .
٣- سورة الإسراء، الآية: ٩٣ .
٤- سورة الجمعة، الآية: ٩ .
٥- انظر مثلاً: د. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ٤٥/١ .
٦- سورة البقرة، الآية: ١٩٨ .
٧- ظ: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣٨٣/٢ .

قاعدة: القراءة الشاذة حال صحة سندها تنزل منزلة خبر الأحاد، وتعد مفسرة للقرآن:

وفي هذا النوع يقول ابو عبيد في كتاب فضائل القرآن: "فأما ما جاء من هذه الحروف التي لم يؤخذ علمها إلا بالإسناد والروايات التي يعرفها الخاصة من العلماء دون عوام الناس، فإنما أراد أهل العلم منها ان يستشهدوا بها على تأويل ما بين اللوحين، وتكون دلائل على معرفة معانيه وعلم وجوهه، وذلك كقراءة حفصة وعائشة: (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) (صلاة العصر) – وعدد من هذه الأمثلة إلى ان قال – فهذه الحروف واشباه لها كثيرة قد صارت مفسرة للقرآن... وادنى ما يستنبط من علم هذه الحروف معرفة صحة التأويل على انها من العلم الذي لا تعرف العامة فضله"[١].

فالقراءة الشاذة تعامل معاملة التفسير ولا تعامل معاملة القراءات ولا الحديث إلا ان تكون القراءات التفسيرية ثابتة عن النبي(ﷺ) فتعامل معاملة الحديث اي هي تفسير نبوي[٢] وهذا ما ذهب إليه الشافعي فهو "لا يرى الاستدلال بالقراءة الشاذة لا من حيث إنها كتاب ولا من حيث إنها خبر"[٣]. وقرر الرازي ان القراءة الشاذة لا يمكن اعتبارها في القرآن لأن تصحيحها يقدح في كون القرآن متواتراً[٤].

قاعدة: الاستشهاد بالقراءة الشاذة: لا يستشهد بالقراءة الشاذة على انها قرآن، وانما هي تفسير لها حكم التفسير فان صحت عن النبي(ﷺ) فهي تفسير نبوي، وان صحت عن غيره نسبت إلى غيره: وقرر الشنقيطي عدم صحة بيان القرآن بقراءة شاذة، ولكن قد تذكر القراءة الشاذة استئناساً لتأييد معنى قراءة سبعية كقوله

١- أبي عبيده، فضائل القرآن، ص ١٤٩ .
٢- ظ: المصدر نفسه، ص ١٤٩ .
٣- الآلوسي، تفسير روح المعاني، ١٣٩/٥ .
٤- الرازي، مفاتيح الغيب، ٤٥٩/٢.

تعالى: ﴿فَإِنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إِكْراهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١]. ففي قراءة شاذة بزيادة لفظة لهن بعد كلمة غفور فالموعود بالمغفرة والرحمة، هو المعذور بالإكراه دون المكره، لأنه غير معذور في فعله القبيح، وبين الله ذلك بقوله: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمانِ﴾[٢][٣]. ومن ابرز انواع التفسير القرآني الجمع بين ما يتوهم انه مختلف، ويأتي ذكره إن شاء الله في موهم التناقض والاختلاف في فن التوجيه في القسم الثاني.

ملحوظة: ذهب بعض الباحثين إلى ان المفسرين تسامحوا في ادراج كثير من الأمثلة السابقة تحت هذا البند: تفسير القرآن بالقرآن، مع ان الحقيقة ان أكثر ذلك هو من اجتهاد العقل الذي جمع بين الآيتين أو الآيات وليس هو تطبيقاً دقيقاً لمصطلح تفسير القرآن بالقرآن، إذ ذلك يقتضي وجود الكلمة ذاتها وبيانها في الآية المبينة كما في مثال تفسير الظلم[٤]، وعند التأمل فإننا إذا اخذنا بهذا الاعتبار سنلغي حتى المثال المذكور لأننا نحتاج معه إلى النص بان الظلم المقصود في سورة الأنعام هو الذي ذكر في سورة لقمان، واين هذا النص في القرآن لولا ان النبي ﷺ هو الذي نص على ذلك وكلامه وحي يوحى، وإلا لقلنا حتى هذا المثال استنباطاً ايضاً لأن للظلم معاني كثيرة وردت في القرآن الكريم فإن حددنا احدها ليفسر احدها نكون قد أعملنا العقل والاستنباط إلا أن يكون النص على التحديد هو من المعصوم عليه السلام[٥]، وعلى هذا فالاستدراك المذكور محل نظر.

١- سورة النور، الآية: ٣٣.
٢- سورة النحل، الآية: ١٠٦ .
٣- ظ: الرازي، تفسير مفاتيح الغيب، ٤٥٩/٢.
٤- ظ، مساعد الطيار، مصادر التفسير، مقال منشور في شبكة التفسير والدراسات القرآنية.
٥- ظ: د. محمد كاظم الفتلاوي، مناهج المفسرين، هامش ص٤٨ .

ثالثاً: الكتب التي اعتنت بهذا المصدر، ومدى حجيته:

أولاً: كتب التفسير التي اعتنت بهذا المصدر: كثيرة منها:

١) تفسير ابن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ): جامع البيان عن تأويل آي القرآن: فمن البداية يقول في تفسير: ﴿مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[١] "لله المُلْك يوم الدين خالصًا دون جميع خلقه، الذين كانوا قبل ذلك في الدنيا ملوكًا جبابرة ينازعونه الملك، ويدافعونه الانفرادَ بالكبرياء والعظمة والسلطان والجبرية، فأيقنوا بلقاء الله يوم الدين أنهم الصَّغَرة الأذِلّة وأنّ له من دُونهم، ودون غيرهم المُلك والكبرياء والعزة والبهاء، كما قال جلّ ذكره في تنزيله: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[٢][٣].

٢) ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) في كتابه: (تفسير القرآن العظيم) .

٣) إبراهيم بن محمد بن اسماعيل الأمير (ت:١٢١٣هـ): (مفاتيح الرضوان في تفسير القرآن بالقرآن)[٤].

٤) الشيخ محمد جواد البلاغي (ت:١٣٥٢هـ)، كتابه: آلاء الرحمن في تفسير القرآن.

٥) الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) في كتابه: (أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن).

٦) العلامة محمد حسين الطباطبائي(ت:١٤٠٢هـ)، الميزان في تفسير القرآن[٥].

١- سورة الفاتحة، الآية: ٢ .

٢- سورة غافر، الآية: ١٦ .

٣- ظ: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١/ ٩٤.

٤- ظ:اسماعيل باشا البغدادي(ت:١٣٣٩هـ)، هداية العارفين، ٤٠/١ ولعل الدكتور مساعد الطيار وهم فعزاه إلى أبيه الأمير الصنعاني (ت:١١٨٢هـ) بتسمية مقاربة .

٥- يقول الطباطبائي: (ونستوضح معنى الآية من نظيرتها، بالتدبر المندوب إليه في نفس القرآن، ونشخص المصاديق ونتعرفها بالخواص التي تعطيها الآيات، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾). الميزان في تفسير القرآن، ١٠/١.

وعند التأمل فإننا قد نستطيع تعميم معظم التفاسير تحت هذا البند؛ إذ لا يخلوا منها من يستشهد على معنى للفظة بآية أخرى.

ثانياً: مدى حجية هذا المصدر:

تفسير القرآن بالقرآن لا يخلوا من ان يكون يثبت بأحد طريقتين: أما أن يكون طريقه النقل، وإما ان يكون طريقه الاستدلال:

والأول: يطلق عليه (التفسير المأثور) .

والثاني: يطلق عليه (التفسير بالرأي).

ومن هنا فان تصنيف (تفسر القرآن بالقرآن)، في احدهما يكون بالنظر إلى القائل به أولاً[1] أي فان ثبت عن المعصوم فهو حجة، وإلا فيكون استنباطاً ممن اضيف إليه من الصحابة فمن بعدهم، وعلى هذا فلا يكون هذا النوع من التفسير حجة مطلقاً بل يكون حجة إذا كان صادراً عن المعصوم، وترجح حجيته إذا كان صادراً عن مفسر امتلك مؤهلات عظيمة ممن اسبر غور التفسير كالمعصومين، وتتضاءل حجيته فيكون رأياً كغيره من الآراء إذا ثبت عن غيرهم.

المطلب الثاني: (الأصل) المصدر الثاني: تفسير القرآن بسنة المعصوم

وهذا الأصل هو تفسير القرآن بالرواية، وطريقه، إما أن يكون الروايات الصادرة عن النبي ﷺ بما ورد تفسيره عنه، كأن يقرر القرآن أصلاً ويكون التفريع عليه بالسنة، أو يجمل أمراً يكون تبيينه في السنة قولاً أو فعلاً أو تقريراً.

أما أهل البيت عليهم السلام فعند بعض المسلمين لا سيما الإمامية منهم أن روايتهم هي رواية النبي وهم أدرى بالقرآن من غيرهم.

١- د. مساعد الطيار، مصادر التفسير، مقال منشور في شبكة التفسير والدراسات القرآنية .

وأما الصحابة فقد اختلف في حجية تفسيرهم؛ إلا أن تفسير الصحابي عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبي ﷺ على رأي الحاكم في التفسير. وقد نازعه فيه ابن الصلاح وغيره من المتأخرين: بأن ذلك مخصوص بما فيه سبب النزول أو نحوه.

وهذا ما سنلحظه فيما يلي:

أولاً: تفسير النبي ﷺ للقرآن الكريم:

١. **نشأة وحجية التفسير الروائي:** وأما نشأة وحجية التفسير بسنة المعصوم عليه السلام فإنها كانت مُقارنةً للوحي، لأن النبي ﷺ هو أول مُفسِّر ومبيِّن للقرآن، وقد جاء الأمر الإلهي بهذا الخصوص في قوله تعالى: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾[١]، والمعنى ذاته نلحظه في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**﴾[٢]، وكذلك في قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[٣] ، فوظيفة الرسول ﷺ هي إيضاح آيات القرآن الكريم، فلا يمكن بحال من الاحوال الاستغناء عن المنهج الروائي في تفسير القرآن الكريم كما نبّه على ذلك النبي ﷺ، إذ قال: (الا اني أوتيت الكتاب ومثله معه، الا اني أوتيت القرآن ومثله معه، الا يوشك رجل ينثني شبعاناً على أريكته، يقول عليكم بالقرآن فما وجدتم من حلال فأحلوه وما وجدتم من حرام فحرموه..)[٤].

فتصدى النبي ﷺ لتفصيل ما أُجمل في القرآن، وبيان ما أُبهم منه إمّا بياناً في أحاديثه الشريفة وسيرته الكريمة، أو تفصيلاً جاء في جُلّ تشريعاته من فرائض

---

[١] سورة النحل، الآية ٤٤.
[٢] سورة ابراهيم، الآية ٤.
[٣] سورة البقرة، الآية ١٢٩.
[٤] احمد بن حنبل، مسند احمد، ١٣١/٤.

وسنن وأحكام وآداب، كانت سنته ﷺ قولاً وعملاً وتقريراً، كان كلها بياناً وتفسيراً لمجملات الكتاب العزيز وحلّ مبهماته في التشريع والتسنين، فالسنة كلها بيان وتفسير للقرآن الكريم، قال الفقيه الشافعي: (وسنة رسول الله مبينة عن الله معنى ما أراد دليلاً على خاصه وعامه، ثم قرن الحكمة بها بكتابه فاتبعها اياه،..)[١].

٢. وهنا يبرز لنا سؤال: هل فسر النبي ﷺ القرآن كلّه؟!

انقسم العلماء في الإجابة على هذا السؤال الى فِرق:

الفريق الأول: يرى ان النبي ﷺ قد بيّن لأصحابه معاني القرآن كلّه إفراداً وتركيباً، مستدلين بقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٢]، فهذا (شامل لتبيين ألفاظه وتبيين معانيه)[٣].

الفريق الثاني: يرون ان النبي ﷺ لم يبيّن سوى البعض القليل، وسكت عن البعض الآخر، ثمّ فرض لهم دلائل، مستدلين ما اخرجه البزار عن عائشة إذ قالت: (ما كان رسول الله ﷺ يفسر شيئاً من القرآن إلا آياً بعدد، علمه أياهن جبريل)[٤]، ويؤيد هذا المعنى السيوطي (ت٩١١هـ) بقوله: (الذي صحَّ من ذلك قليل جداً؛ بل أصل المرفوع منه في غاية القلة)[٥].

الفريق الثالث: فقد جاء برأي محاول فيه الوسطية بين الإفراط والتفريط، وهو ان النبي ﷺ بيّن الكثير من آيات القرآن دون الجميع، وترك ما استأثر الله بعلمه،

---

[١] الرسالة، ص٧٩.
[٢] سورة النحل، الآية ٤٤.
[٣] ظ: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٤٦٩.
[٤] الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٢٩/١، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣١/١.
[٥] الإتقان في علوم القرآن، ٤٧٣/٢.

كقيام الساعة، وحقيقة الروح، وما يعلمه العلماء، وتعرفه العرب بلغاتها، مما لا يُعذر أحد في جهالته[١].

ويمكن ان ندعم هذا الرأي بالقول: ان تفسير النبي ﷺ للقرآن الكريم لم يقتصر على السنة القولية وحسب، بل التقريرية والفعلية كان لها الدور الأكبر في بيان آيات القرآن، وبهذا لا يمكن ان (يعتقد من لا علم له بالسنة النبوية، ان تفسير الرسول ﷺ للقرآن أقل من القليل، ظناً منه أن الموضوع ينحصر في الاحاديث القولية المفسرة المباشرة وهي قليلة)[٢].

ولكن مع هذا يبقى التفسير الوارد عن النبي ﷺ لا يفي بالحاجة الفعلية لفهم آيات القرآن الكريم وبيانها، لا سيما في مدرسة الصحابة، ولا يمكن القول ان النبيﷺ لم يؤدي وظيفته التبليغية في تفسير القرآن الكريم!

وأما القول بما لم يبينه النبي ﷺ من القرآن: هو ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة، وحقيقة الروح، وما يجري مجرى ذلك من الغيوب التي لم يطّلع الله عليها نبيّه.. فشئ غريب! إذ لم نجد في معاني القرآن ما استأثر الله بعلمه، ولو كان لكان الأجدر عدم إنزاله، والكفّ عن جعله في متناول الناس عامة، وقد تعرّض المفسرون لتفسير آي القرآن جميعاً حتى الحروف المقطعة، فكيف يا ترى خفِيَ عليهم أن لا يتعرّضوا لما لا يريد الله بيانه للناس؟!

إذن فالصحيح من الرأي هو: ان النبي ﷺ قد بيّن لأمته – ولأصحابه بالخصوص – جميع معاني القرآن الكريم، وشرح لهم جُلّ مراميه ومقاصده الكريمة، إما بياناً بالنص، أو ببيان تفاصيل أصول الشريعة وفروعها، ولا سيّما إذا ضممنا

---

[١] د. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ٥٣/١.
[٢] د. محسن عبد الحميد، تطور تفسير القرآن، ص١٦، ظ: علوم القرآن والتفسير، ص٨١.

إليه ما أودعه النبي ﷺ عند العترة الطاهرة وما ورد منهم في بيان تفاصيل الشريعة ومعاني القرآن[١].

ويدعم هذا الرأي في كون ان المروي عن النبي ﷺ في تفسير القرآن شامل لجميع القرآن الكريم – إذا ما اضفنا المروي عن العترة الطاهرة عليهم السلام – ما يراه السيد محمد باقر الصدر، إذ يرى أن النبي ﷺ قد فسَّر القرآن على مستويين[٢]:

١. تفسير عام وهو ما اختص به الصحابة حينما يسألونه عن معنى مفردة ما أو دلالة آية لا يعرفون مضمونها ، تفصيلاً فيقتصر على قدر الحاجة الفعلية.

٢. تفسير خاص للعترة الطاهرة عليهم السلام شامل للتفصيلات، تلقوها عن النبي ﷺ في مجالات التفسير والفقه وغيرها، وهذا الحل المنطقي وضعه النبي ﷺ لمبدأ مرجعية أهل البيت عليهم السلام في مختلف الجوانب الفكرية للرسالة، وقد صرح الإمام علي عليه السلام بهذه الخصوصية في اختصاصه بالتفسير الشامل من لدن النبي ﷺ في قوله: (فما نزلت على رسول الله ﷺ آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها علي فكتبتها بخطي، وعلمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها، ودعا الله لي أن يؤتيني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله، ولا علماً أملاه علي وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك شيئاً علمه الله من حلال ولا حرام [ولا] أمر ولا نهي كان أو يكون، ولا كتاب منزل على أحد قبله في أمر بطاعة أو نهي عن معصية إلا علمنيه وحفظته فلم أنس حرفاً واحداً)[٣].

---

[١] ظ: محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ١٦٢/١.
[٢] ظ: موسوعة الإمام الشهيد محمد باقر الصدر، بحوث في علوم القرآن، ٣٢٣/١٩.
[٣] الصدوق، الخصال، ص٢٥٧.

٣- أنواع تفسير سنة المعصوم للقرآن:

على ان معظم بيان رسول الله ﷺ يكون في أمور الأحكام ومسائل الحلال والحرام، إذ السنة في هذا الجانب تقوم بدور تشريعي كبير يمكن اجماله في:

١- تفصيل المجمل، ففي القرآن الكريم آيات مجملة في الأمر بالصلاة والزكاة والحج وغيرها.. وأتت السنة بتفصيل ذلك من تحديد أوقات الصلاة وعدد ركعاتها وما يقرأ فيها، وتعيين مقادير الزكاة ومناسك الحج وغيرها من العبادات والاحكام وهذا من البيان الثابت، فهذا المجمل يجب طلب تفاصيله من السنة.

٢- تخصيص العام، جاء العامّ في القرآن وكانت موارد تخصيصه في السنّة، مثاله في قوله تعالى: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾[١]. حيث وردت الآية عامة في أن كل والد يرث ولده، وكل ولد يرث والده، حتى جاءت السنة وخصصت ذلك باتفاق الدين بين الوالدين والولدين، أو ان يكون الوارث مسلماً والمورث منه كافر، وهذا واضح في جواب المعصوم لمن سأله: (المسلم هل يرث المشرك؟ فقال: نعم، فأما المشرك فلا يرث المسلم)[٢].

٣- إذا ورد عنوان خاص في القرآن، وكان متعلقاً لتكليف، أو قيداً في عبادة مثلاً، ولكنه كان مصطلحاً شرعيّاً من غير أن يكون مفهومه العامّ مراداً، فهذا مما يجب تبيينه من السنّة، وهذا كما في الصلاة والزكاة والحج والجهاد..، إنها مصطلحات شرعية خاصة، فالحج ليس مطلق القصد، والجهاد ليس مطلق الاجتهاد والسعي، وهكذا..

---

[١] سورة النساء، الآية ١١.

[٢] الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٢٣٥/٤. وذهب فقهاء مدرسة الصحابة الى تخصيص أكثر اذ ان لا توارث بين المسلم والكافر اطلاقاً، وذلك استناداً على حديث: (لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم). البخاري، صحيح البخاري، ١١/٨.

٤- موضوعات تكليفيّة تعرض لها القرآن من غير استيعاب ولا شمول؛ إذ لم يكن الاستقصاء مقصوداً بالكلام، وإنما بيان أصل التشريع وذكر جانب منه، والاستقصاء والشمول فالسنة الشريفة موردها، ففيها البيان والكمال، كما لم تأت في القرآن شريعة "رجم المحصن" وإنما فصلته السنة مطلق حكم الزاني الوارد في القرآن.

٥- بيان الناسخ والمنسوخ في أحكام القرآن؛ إذ في القرآن أحكام أوّلية منسوخة، وأحكام أُخرى هي منسوخة، فلتمييز الناسخ من المنسوخ لا بد من مراجعة السنة، أما القرآن ذاته فلا تمييز فيه بين ناسخه ومنسوخه، ولا سيما والترتيب الراهن بين الآيات والسور قد تغير عمّا كان عليه النزول في البعض على الأقلّ، إذن لم يبق لمعرفة وجه التمايز بين الحكم المنسوخ والحكم الناسخ إلا مراجعة نصوص الشرعية.

٦- تقييد المطلق؛ وردت آيات قرآنية مطلقة جاءت السنة الشريفة وقييدتها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا**﴾[١]، فقطع اليد في الآية مطلق، وقيدت السنة ذلك بتحديد موضع القطع.

٧- بيان معنى ألفاظ وعبارات القرآن، كما في قوله تعالى:﴿ **فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا**﴾[٢] حيث بين النبي ﷺ معنى (محسوراً)، إذ قال ﷺ: الاحسار هو: (الإقتار)[٣].

ما يجب أن يُلحظ على الأحاديث النبوية: معلوم ان كل رواية منقولة عن المعصوم تحتاج الى التثبّت منها، فقد يدخل الوضع عليها، عن الإمام علي (عليه السلام) أنه قال: (وقد كذب على رسول الله (ﷺ) على عهده حتى قام خطيباً، فقال: أيها

---

[١] سورة المائدة، الآية ٣٨.
[٢] سورة الإسراء، الآية ٢٩.
[٣] العياشي، تفسير العياشي، ٢٩٨/٢.

الناس، قد كثرت علي الكذابة فمن كذب علي متعمداً، فليتبوّأ مقعده من النار، ثم كذب عليه من بعده..)[١].

ثانياً: تفسير أهل البيت عليهم السلام للقرآن الكريم (المرجعية الفكرية):

استمرت طريقة التفسير الروائي الى عصر الأئمة عليهم السلام من آل بيت النبي صلى الله عليه وآله، فكانوا المرجعية الفكرية للأمة بأمر النبي الخاتم صلى الله عليه وآله، والامتداد الطبيعي لعلم النبي وورثته، إذ كان الإمام علي عليه السلام – تلميذ الرسول صلى الله عليه وآله في التفسير – يسمع ما يقوله النبي صلى الله عليه وآله في تبيين آيات القرآن ويقوم بنقله وروايته، وقد اتّبع أهل البيت عليهم السلام هذا المنهج أيضاً، فكانوا ينقلون الأحاديث للناس عن النبي صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام، ويستدّلون بها، وقد وصل عدد الروايات المروية عنهم عليهم السلام الى بضعة آلاف[٢].

١. **تميز أهل البيت** عليهم السلام: للنبوغ الفكري للعترة الطاهرة وملازمتهم للنبي صلى الله عليه وآله وحرصهم على فهم القرآن الكريم جعل منهم مائزاً على غيرهم، قال الإمام علي عليه السلام: (وليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من كان يسأله ويستفهمه حتى أن كانوا ليحبون أن يجئ الأعرابي والطارئ فيسأله عليه السلام حتى يسمعوا. وكان لا يمر بي من ذلك شئ إلا سألت عنه وحفظته..)[٣]. وهذا القول فيه تصريح ان غير أهل البيت عليهم السلام لم يستجمع عندهم شرائط الاستنباط ولم يستحكم عندهم أصول التفسير في مرتبة العلوم الخاصة

---

[١] الكليني، الكافي، ٦٢/١.
[٢] ظ: محمد علي الرضائي، مناهج التفسير واتجاهاته، ص٩٨.
[٣] نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ١٩١/٢٠.

وهذا عبد الله بن عباس من أكثر الصحابة رواية في التفسير ومن المعروفين في سلوك هذا المنهج بعد عهد الرسالة يقول: (ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب عليه السلام)[١].

وقد نهض أهل البيت عليهم السلام (بهذا الدور الريادي بأمانة واخلاص وصمدوا أمام الأعاصير، ولا سيما أمام تيار التحريف الجارف الذي كان أشد نازلة نزلت بالإسلام وبكتابه بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله، فكانوا السبّاقين في الدفاع عن رمز وحدة المسلمين وسرّ عظمتهم ودليل مجدهم وأساس أصالتهم)[٢]، إذ كان تصديهم لتفسير القرآن لاطلاعهم على العلوم الإلهية، ولذا اعتُبرت سنتهم (قولهم وفعلهم وتقريرهم) من مصادر التفسير، وجزءاً من التفسير الروائي؛ لما احاطوا به من علم وفهم قرآني، يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (والله إني لأعلم كتاب الله من أوله إلى آخره كأنه في كفي فيه خبر السماء وخبر الأرض، وخبر ما كان، وخبر ما هو كائن)[٣].

وفي هذا المعنى ذاته، سأل رجل الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام فقال: (إنك لتفسِّر من كتاب الله ما لم يُسمع، فقال عليه السلام: علينا نزل قبل الناس ولنا فُسِّر قبل أن يُفسّرُ في الناس، فنحن نعلم حلاله وحرامه، وناسخه ومنسوخه..)[٤].

أما النصوص التي تمثل مرجعية أهل البيت عليهم السلام في الجوانب الفكرية للرسالة فقد فاقت الحد عند محدثي الفرق الإسلامية، وهي من الكثرة بمكان[٥]، نختصر على مجملها؛ والمتبين في رجوع المعاصرين إليهم عليهم السلام بالسؤال، فقد روى جماعة من المحدثين منهم المتقي في كنز العمال، وابن سعد في طبقاته، وابن جرير في

---

[١] الزرقاني، مناهل العرفان، ٤٦٨/١، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣٥/١.
[٢] الكليني، الكافي، ٢٢٩/١.
[٣] محمد علي التسخيري، محاضرات في علوم القرآن، ص١١.
[٤] الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١٤٦/١٨.
[٥] للتوسعة ظ: محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، ص٢٥٥.

تفسيره، وابن حجر في تهذيب التهذيب، وابن عبد البر في الاستيعاب وغيرهم بألفاظ مختلفة أن علي ابن أبي طالب (واللفظ للمتقي في كنز العمال)، قال: (سلوني فوالله لا تسألوني عن شئ يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم، سلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا أنا اعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل نزلت أم في جبل...)[١].

إضافة إلى هذه الأحاديث وأمثالها الكثيرة، نجد أن الصحابة في عصر الخلافة الأولى كانوا يرجعون إلى علي (عليه السلام) في مختلف القضايا المهمة والمستعصية، وخصوصاً في مجال تفسير القرآن والقضاء ومعرفة الشريعة، حيث وردت النصوص الكثيرة والتي صححها أصحاب الحديث تؤكد هذا الموقف العملي من الصحابة وهذه الحقيقة الناصعة.

فقد روى البخاري في كتاب التفسير من صحيحه في باب قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا..﴾[٢] بسنده عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، حديثاً قال فيه: قال عمر (وأقضانا علي...) ورواه بقية رجال الحديث مثل الحاكم في المستدرك، وأحمد بن حنبل في مسنده و... [٣].

كما روى ابن ماجة في صحيحه حديثاً بسندين عن انس بن مالك قال فيه: إن النبي قال: (وأقضاهم علي بن أبي طالب)، وفي رواية أخرى للحاكم صحيحة على شرط الشيخين، أن ابن مسعود كان يقول: (إن اقضي أهل المدينة علي بن أبي طالب) .

---

[١] كنز العمال، ٢٨٨/١.
[٢] سورة البقرة، الآية: ١٠٦.
[٣] ظ: مرتضى الحسيني الفيروزآبادي(ت: ١٤١٠هـ)، فضائل الخمسة، ٢٩٦/٢ - ٢٩٨.

وقد روى ابن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: (أنزل القرآن على سبعة أحرف ما منها حرف إلا وله بطن وظهر وأما علي فعنده منه علم الظاهر والباطن)[١].

وقال ابن مسعود أيضاً: (كنت عند النبي (ﷺ) فسئل عن علي (كرم الله وجهه) فقال: قسمت الحكمة عشرة أجزاء فأعطي علي تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً)[٢].

وقد كان يعترف بهذه الحقيقة حتى أعداء علي (عليه السلام)، أمثال الطاغية الحجاج بن يوسف الثقفي، حيث يقول: (إننا لم ننقم على علي قضاءه، قد علمنا أن علياً كان أقضاهم)[٣].

وقد رجع أبو بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وحتى معاوية بن أبي سفيان بالرغم من العداء القائم بينهما، وكذلك الكثير من كبار الصحابة، مثل عائشة زوج النبي (ﷺ) وعبد الله بن عمر وغيرهما ممن كان يرجعون – أو يدلون الناس على الرجوع إلى علي (عليه السلام) – في عدد كبير من القضايا ذكرها كبار رجال أهل الحديث والتأريخ، أمثال البخاري وأحمد بن حنبل ومالك بن أنس وابن داود والحاكم والبيهقي وغيرهم، وخصوصا في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب[٤].

لقد كانت هذه المرجعية حقيقة قائمة على مستوى الواقع العملي لدى الخلفاء وبعض أهل المعرفة من الصحابة، ولكنها كانت عند الضرورة ومواطن الاحراج والاشكال، ولم يتم الاعتراف بها – مع الأسف الشديد – على المستوى الرسمي

---

[١] المناوي (ت: ١٠٣١هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٦٠/٣.
[٢] المصدر نفسه.
[٣] ظ: الفيروز آبادي، فضائل الخمسة، ٢٩٦/٢.
[٤] المصدر السابق، ٣٠٦/٢.

للخلافة والحكم، لأسباب متعددة لا مجال لذكرها في هذا البحث[١]، الامر الذي جعل الباب مفتوحاً أمام الصحابة والتابعين أو غيرهم – حتى الأدعياء – أن يمارسوا العملية التفسيرية للقرآن الكريم، من خلال المستوى العام لفهم القرآن الكريم.

وقد ظهرت معالم الخلل في هذا الانفتاح الواسع على مرجعية الصحابة، دون التمييز بين هذه الخصائص الفريدة التي كان يختص بها أهل البيت عليهم السلام ، وفي مقدمتهم علي عليه السلام وبين بقية الصحابة الذين تناولوا القليل من العلم، فضلاً عن أولئك الاشخاص الذين لم يكونوا في الحقيقة من أصحاب النبي، وإنما كانوا من (الأدعياء) الذين حاولوا أن يتسلقوا هذا الموقع الروحي المقدس بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله فألصقوا أنفسهم به.

٢. حجية سنة أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن:

هناك أدلة كثيرة على حجية سنة العترة الطاهرة في تفسير القرآن الكريم، نقتصرها هنا بدليلين:

الدليل الأول: من الكتاب العزيز: نقتصر على آية التطهير في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٢].

وتقريب الاستدلال بها على عصمة أهل البيت ما ورد فيها من حصر إرادة إذهاب الرجس أي الذنوب عنهم بكلمة (إِنَّمَا)، وهي من أقوى أدوات الحصر واستحالة تخلف المراد عن الإرادة بالنسبة له تعالى من البديهيات لمن آمن بالله عز

---

[١] لقد حاول الأمويون أعداء أهل البيت (عليهم السلام) بعد ذلك أن يعمقوا حالة الانحراف في الأمة، من خلال إصرارهم على طرح الأدعياء من الصحابة كمرجع للأمة في الشؤون الدينية، في الوقت الذي أخذوا يطاردون كل من يذكر عليا، أو يذكر الاخذ من علي (عليه السلام)، كما تشير إلى ذلك الوقائع والاحداث والنصوص التأريخية، واستجاب لهذا الخط الانحرافي العباسيون، بسبب الشعور بالخوف من غلبة وظهور أبناء علي (عليه السلام) على الساحة السياسية، إذا ارتبطت الأمة بهم فكرياً ومذهبياً ..

[٢] سورة الاحزاب، الآية ٣٣.

وجل، وقرأ في كتابه العزيز: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[١]، وتخريجها على أساس فلسفي من البديهيات أيضاً لمن يدرك أن إرادته هي العلة التامة أو آخر أجزائها بالنسبة لجميع مخلوقاته، واستحالة تخلف المعلول عن العلة من القضايا الأولية، ولا أقل من كونها من القضايا المسلمة لدى الطرفين كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وليس معنى العصمة إلا استحالة صدور الذنب عن صاحبها عادة.

الدليل الثاني: ومن سنة رسول الله ﷺ نقتصر على حديث الثقلين، قال النبي ﷺ: (إني مخلف فيكم الثقلين، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، أيها الناس لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم)[٢].

وقد استفيد من هذا الحديث عدة أمور نعرضها بإيجاز[٣]:

١. دلالته على عصمة أهل البيت عليهم السلام.

٢. لزوم التمسك بهما معاً لا بواحد منهما منعاً من الضلالة.

٣. بقاء العترة إلى جانب الكتاب إلى يوم القيامة، أي لا يخلو منهما زمان من الأزمنة ما داما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض، وهي كناية عن بقائهما إلى يوم القيامة. يقول ابن حجر: (وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشارة على عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة، كما إن الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض كما يأتي، ويشهد لذلك الخبر السابق: في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي)[٤].

---

[١] سورة يس، الآية ٨٢.
[٢] الصدوق، الامالي، ص٦١٦، ظ: احمد بن حنبل، مسند أحمد، ١٧/٣، وطرق حديث الثقلين كثيره في المدرستين.
[٣] للتوسعة ظ: محمد تقي الحكيم، سنة أهل البيت ع، ص٤٨ .
[٤] الصواعق المحرقة، ص١٤٩ .

٤. دلالته على تميزهم بالعلم بكل ما يتصل بالشريعة وغيره، كما يدل على ذلك اقترانهم بالكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، ولقوله ﷺ: (ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم)[١].

وبناءً على ما تقدم فإن عدل القرآن الكريم هم الامتداد الطبيعي والتشريعي للسنة النبوية والتي نعبر عنها بسنة المعصوم، وان حديثهم القطعي الصدور حجة كحجة حديث النبي ﷺ القطعي الصدور، يقول الشيخ الطوسي (ت:٤٦٠هـ): (واعلم أن الرواية ظاهرة في اخبار أصحابنا بأن تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح عن النبي ﷺ، وعن الأئمة عليهم السلام، الذين قولهم حجة كقول النبي ﷺ وأن القول بالرأي لا يجوز)[٢].

وعلى هذا، قام أهل البيت عليهم السلام بدورهم في تبيين مسائل متنوعة في مجال الأمور الكلّية التي وردت في القرآن وآيات الأحكام، المخصِّصات، المقيِّدات، الناسخ والمنسوخ، وكذلك تبيين باطن الآيات وتأويلها ومصاديقها.

مما يجب أن يُلحظ ما تعرض له حديث أهل البيت عليهم السلام من مشكلات، وهي:

١. الدس والوضع والتزوير في حديثهم، حيث تعرض حديثهم لذلك في زمن الأئمة فضلاً عن العصور المتأخرة عنهم، وقد نبه الأئمة عليهم السلام لهذا الخطر، قال هشام بن الحكم أنه سمع أبا عبد الله جعفر الصادق (عليه السلام) يقول: (لا تقبلوا علينا حديثاً إلا ما وافق القرآن والسنة أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدمة، فإن المغيرة بن سعيد لعنه الله دس في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدث بها أبي،

---

[١] الكليني، الكافي، ٢٠٩/١.
[٢] التبيان في تفسير القرآن، ٧٨/١.

فاتقوا الله ولا تقولوا علينا ما خالف قول ربنا تعالى وسنة نبينا محمد (ﷺ) فانا إذا حدثنا قلنا: قال الله عز وجل وقال رسول الله (ﷺ))[١].

٢. الغلو والتطرف في حب أهل البيت (عليهم السلام) والاعتقاد بهم، حيث كان لهذه الحركة السياسية والعقائدية أسبابها وظروفها المختلفة السياسية والاجتماعية والنفسية والثقافية، وانعكست على الاخبار في فهمها أو تزويرها وتحريفها. وكتب رجال الحديث فيها عدد من تراجم من كان يرمى بالغلو، أو ممن طردهم أئمة أهل البيت من حوزتهم ومصاحبتهم وأعلنوا البراءة منهم .

٣. الانحرافات والانشقاقات التي كانت تحصل في جماعة أتباع أهل البيت، بسبب الظروف السياسية أو الأخلاقية والاجتماعية، كما حصل في ظهور الزيدية والإسماعيلية والواقفية وغيرهم، حيث استمرت هذه الظاهرة إلى زمن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) وبعده.

٤. ظروف الاضطهاد والمطاردة والسرية في العمل والحركة، الامر الذي كان سبباً مهما لاختفاء البيانات الواقعية أو للدس والتزوير تحت شعار (التقية)[٢].

حيث استغل أعداء أهل البيت أو الفاسدون من الاشخاص الذين يتظاهرون بالارتباط بهم هذه الظروف، لتمرير الكثير من الأحاديث أو تشويهها وتزويرها .

٥. التعصب والنصب والعداء وعمليات كتمان الحقائق أو التشويه وإلصاق التهم الباطلة ونشر الإشاعات، حيث كان كل ذلك سببا لنشر الكثير من الأحاديث ووضعها وتضليل البسطاء من المسلمين بها، وقد أشرنا سابقا إلى أن هذا العداء والتعصب كان سببا لكتمان الكثير من أسباب النزول المرتبطة بأهل البيت (عليهم السلام).

---

[١] المجلسي، بحار الانوار، ٢/٢٥٠.
[٢] ظ: محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، ص٣٢٩.

٦. عدم الدقة النقل أو سوء الفهم والتلقي والاخذ عن الأئمة، ولذلك نجد (عليهم السلام) يؤكدون الضبط وأهميته من ناحية وأن في أحاديثهم المحكم والمتشابه من ناحية أخرى، كما سوف نوضح ذلك .

٧. الجمود على نصوص الألفاظ وفصلها بعضها عن بعض .

٨. ضياع الكثير من القرائن الحالية والمقالية التي كانت تقترن بالروايات وتوضح المقصود منها.

ومن الجدير بالذكر: ان وضعت ضوابط وقواعد لتمييز الاحاديث الصحيحة من السقيمة، وقام أئمة أهل البيت عليهم السلام بدورهم التشريعي في التصدي للكذب والكذابين، وكذلك انبرى العلماء الأتقياء الأبرار، الذين تصدوا للوضاعين، ورصدوا الكذابين، وعرفوا الناس بهم، وبينوا عبر القرون المتمادية من الجهود المشكورة صحيح الحديث، من ضعيفه، وميزوا الأصيل من الدخيل.

فكانت القاعدة هي عرض الأحاديث على نصوص القرآن الكريم ومضامينه؛ وكانت هناك أحاديث مستفيضة في هذا المعنى، قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (إذا جاءكم عني حديث، فاعرضوه على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فاقبلوه، وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط)[١]. وقال عليه السلام أيضاً: (فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه)[٢].

فأعطى أهل البيت عليهم السلام ميزاناً كلياً يوزن به المعارف المنقولة منه ومن أوليائه، وبالجملة فبالقرآن يدفع الباطل عن ساحة الحق.

---

[١] الحر العاملي، الوسائل، ٧٨/١٨ .
[٢] الكليني، الكافي، ٦٩/١ .

وجميع هذه الأحاديث تنطلق في اتجاه واحد، وتمتلك مضامين مشتركة وعامة وهي لزوم عرض الخبر على الكتاب أو جعل القرآن بصفة الميزان والمقياس لتمييز ومعرفة الصحيح والفاسد من الاخبار، وأن الرسول والأئمة الميامين (عليهم السلام) لم يتفوّهوا بما يخالف الكتاب السماوي، ولم يحكموا بما يناقضه أبداً، وكان لسان حالهم: نحن أهل بيت لا نقول بما يخالف قول الرب، وكلّ ما يخالف القرآن فهو باطل وزخرف.

ثالثاً: أقوال الصحابة والتابعين في التفسير:

١. حجية قول الصحابي والتابعي: أُختلف في حجية الرواية التفسيرية للصحابي والتابعي، فذهب بعض أهل العلم إلى أن تفسير الصحابة في حكم المرفوع، قال الحاكم في مستدركه: (إن تفسير الصحابي الذي شاهد التنزيل له حكم المرفوع الى رسول الله صلى الله عليه وآله)[١]، ومراده أنه في حكمه في الاستدلال به والاحتجاج، لا أنه إذا قال الصحابي في الآية قولاً فلنا أن نقول هذا القول قول رسول الله صلى الله عليه وآله، أو قال رسول الله صلى الله عليه وآله، وله وجه آخر.

وهذا توجيه ابن الصلاح لعبارة الحاكم، إذ قال: (ما قيل من ان تفسير الصحابي حديث مسند، فإنما ذلك في تفسير يتعلق بسبب نزول آية يخبر به الصحابي أو نحو ذلك)[٢].

ولا ريب أن أقوال الصحابة في التفسير أصوب من أقوال من بعدهم، كما ان أقوال التابعين أصوب من بعدهم، وبهذا تكون حجية الصحابي والتابعي (في التفسير بعد النبي وآله، فما كان موافقاً لكتاب الله وسنة نبيه أُخذ به من قوليهما،

---

[١] السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ص٥٧٦.
[٢] علوم الحديث، ص٤٥.

وأقوال أخيارهم، وما كان مجانباً لهما ضرب به عرض الحائط وهذا لا يقدح بمنزلتهما)[١].

إذن ليس كل قول وارد من الصحابي أو التابعي يؤخذ به، وإنما (الرواية الثابتة عن الصحابة أولاً، وعن التابعين ثانياً، وليس المراد هنا أقوالهم المجردة على أصح الآراء، فإنه لا يجوز التفسير بمظنون الرأي، ومجرد الاعتقاد)[٢].

٢. تفاوت الصحابة في فهم النص القرآني: يتباين الصحابة في مقدرتهم على فهم النص القرآني، فـ(الباحث في تاريخ الصحابة يجد تفاوتاً بين هذا الصحابي وذاك في فهم معاني القرآن)[٣]، وذلك عائد الى امكانياتهم البشرية والاستيعابية، فكانوا يختلفون فيما بينهم، وهذا أمر لا مناص من الاعتراف به وواقعاً عمليّاً وتأريخيّاً[٤]، والسبب العلمي أن الصحابي الواحد قد تغيب عنه مفردة من مفردات العربية الكثيرة العدد، وبهذا لا نوافق الرأي في ان كل الصحابة في اللغة العربية (كانوا عارفين بمعاني الفاظها لفظة لفظة)[٥]، ويُبرهن على هذا دليلاً أن منهم مَن لم يستطع بلوغ معنى لفظة من آية في القرآن الكريم كما حدث في لفظة (أباً) مع الصحابيين أبي بكر وعمر في قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾[٦]، فقال عمر: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبّ؟ ثم رجع الى نفسه فقال: إن هذا لهو الكلَف ياعمر)[٧]، وأن منهم مَن لم يتمكن من بلوغ معنى لفظة (فاطر) في قوله تعالى:

---

[١] د. محمد حسين الصغير، المبادئ العامة لتفسير القرآن، ص٩٦.
[٢] المصدر نفسه، ص٩٥.
[٣] عبد القادر محمد صالح، التفسير والمفسرون في العصر الحديث، ص٨٤.
[٤] ظ: د. سيروان عبد الزهرة الجنابي، مناهج تفسير النص القرآني، ص٥٣.
[٥] ذهب الى هذا الرأي: د. محسن عبد الحميد، تطور تفسير القرآن، ص١٧.
[٦] سورة عبس، الآية ٣١.
[٧] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص١٧٢.

﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[١]، حتى تخاصم أَعرابيان في بئر، فقال أَحدهما: أنا فَطَرْتُها، أي ابتدأتُها، فاستبان منها معنى هذه اللفظة[٢].

وقد روي عن أبي حنيفة في مدى حجية مرويات الصحابة والتابعين التفسيرية، قوله: (ما جاء عن الرسول ﷺ، فعلى الرأس والعين، وما جاء عن الصحابة اخترنا، وما كان من غير ذلك، فهم رجال ونحن رجال)[٣].

وكتب العلامة محمد حسين الطباطبائي في هذا الخصوص عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٤]، قال: (وفي هذه الآية دلالة على حجية قول النبي ﷺ... ويلحق به بيان أهل بيته لحديث الثقلين المتواتر وغيره، وأما سائر الأمة من الصحابة والتابعين والعلماء فلا حجة لبيانهم؛ لعدم شمول الآية وعدم {وجود} نصّ معتمد عليه يعطي حجية بيانهم على الاطلاق)[٥].

وذلك ان التفسير بالمأثور قد يكون بالرأي، وينسب إلى من فسره، سواء كان من الصحابة أو من التابعين، أو من بعدهم.

فالمسألة اصطلاحية فحسب، أراد العلماء أن ييسروا التقسيمات على طلاب العلم، لدراسة تاريخ التفسير، وكيف تطور.

---

[١] سورة ابراهيم، الآية ١٠.
[٢] ظ: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص١٧٢.
[٣] الذهبي، اعلام النبلاء، ٤٠١/٦.
[٤] سورة النحل، الآية ٤٤.
[٥] الميزان في تفسير القرآن، ٢٢٣/١٢.

٣. ما يجب ان يُلحظ في رواية الصحابي: وللتفصيل في الرواية التفسيرية الواردة عن الصحابي، نرى ان هناك أمور يجب ان تُراعا[١]:

١. إن المسائل المنقولة عنهم بالنسبة الى المعاني اللغوية تكون معتبرة مع افتراض اطلاعهم على لغة العرب، وتقبل أقوالهم حينئذ بعنوان قول اللغوي مع شرائطها الخاصة. فإن ما يقوله ابن عباس في مثل ذلك أقوى مما يُذْكَرُ عن الخليل بن أحمد أو الفراء أو غيرهم من علماء اللغة.

٢. المسائل المنقولة عن الصحابي في بيان شأن نزول الآيات تكون معتبرة إذا أخبر الصحابي عن واقعة يومئذ وكان ثقة، وهو طريق جيد لتوضيح أسباب نزول الآيات. والمثال لشيء وقع يومئذٍ، فكحديث عائشة، في قوله تعالى: ﴿**إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ**﴾[٢]، قالت: (كان ذلك يوم الخندق)[٣].

٣. يُقبل قولهم في روايتهم عن النبي ﷺ قولاً أو فعلاً أو تقريراً إذا كانوا ثقاتاً.

٤. التثبت من رواياتهم ومصدرها إذ كان قسم من الصحابة يعتمد النظر الى ما يقوله أهل الكتاب من اليهود والنصارى، لا سيما في قصص الأنبياء، وأخبار بني اسرائيل، وما يتصل ببدء الخَلق وذكر الجنة والنار. مثل قول أبي هريرة في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا**﴾[٤]، قال: (نودي أن: يا أُمَّة مُحمد، أعطيتُكم قبل أن تسألوني، وأجبتكم قبل أن تدعوني)[٥].

---

[١] ظ: محمد علي الرضائي، دروس في مناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، ص٨٦، د. محمد حسين الصغير، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، ص٩٦.
[٢] سورة الأحزاب، الآية ١٠.
[٣] مسلم، صحيح مسلم، ٣٤١/٨، السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ١٨٥/٥.
[٤] سورة القصص، الآية ٤٦.
[٥] الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٠٠/٢٠.

٥. المسائل التي وردت عنهم في فهم آيات القرآن عن طريق الاجتهاد الشخصي، لا يختلف حالهم فيها عن حال بقيّة المفسرين؛ أي أنها تخضع للمناقشة والنقد، ذلك أن اجتهادهم ليس حجة علينا لعدم وجود دليل من القرآن أو السنة، ولا يوجد إجماع في هذا المورد أيضاً، وعلى هذا فإن قول الصحابي والتابعين هنا (ليس بحجَّة ملزمةٍ على القول الراجح لأهل العلم)[١] في التفسير.

٤. **اختلاف آراء الصحابة التفسيرية:** أما في حالة تعارض أقوال الصحابة مع بعضهم في تفسير بعض الألفاظ أو اختلافهم في ذلك اختلاف تنوع، فإن أمكن الجمع فذاك، وإن تعذر ذلك ينظر في دليل كل واحد منهم، ويؤخذ بأقوى الأدلة في حدود ضوابط الترجيح المعروفة عند العلماء[٢].

أخيراً:

ما يطلب من المفسر في تفسير القرآن بالسنة:

من أهم الأمور التي تطلب من المفسر عند تفسيره للقرآن بسنة المعصوم ما يلي:

١- أن يكون المفسر عارفاً بسنة المعصوم رواية ودراية مع التحرز من الضعيف والموضوع.

٢- أن يكون لديه القدرة في الرجوع إلى كتب الحديث والمحدثين والتعرف على آرائهم، وبخاصة من لهم خبرة في الجرح والتعديل في علم الرجال.

---

[١] عبد الله بن يوسف الجديع، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ص٢٨٩.
[٢] ظ: د. محسن عبد الحميد، دراسات في أصول التفسير، ص١٣٤.

٣- أن يكون ملماً إلماماً جيداً بما ورد في السنة مما يتعلق بالتفسير[١].

٤- أن يكون لديه ملكة وقدرة على حسن الجمع بين الروايات المختلفة ومن ثم الترجيح العلمي.

٥- أن يكون متتبعاً للحديث من حيث كونه ناسخاً أو منسوخاً[٢].

٦- أن يكون عارفاً في أسلوب التبليغ نصاً أو تعليماً أو إفتاءً أو مداراة.

[١] ظ: د. خالد السبت، أصول التفسير وقواعده، ص١٣١.
[٢] ظ: د. محمد حسين الصغير، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، ص٧٠.

المبحث الثاني: الأصل الثاني: المصدر العقلي الاجتهادي

المطلب الأول: مدخل في المصطلح والمفهوم:

أولاً: العقل في اللغة والاصطلاح: العقل لغة: هو الإمساك والاستمساك، وحَبْسَةٌ في الشيء؛ كَـ: عَقَلَ البعيرَ بالعقال، وعَقَلَ الدواءُ البطنَ، وعَقَلَتِ المرأةُ شعرَها، وعَقَلَ لسانَه: كَفَّه[١]، وعرَّفه الأنصاري بالمنع[٢].

واصطلاحاً: أوضح تعريفاته، وأقربها إلى هذا السياق أنه: (ما يقع به التمييز، ويمكن الاستدلال به على ما وراء المحسوس)[٣]؛ فهذا التعريف روعي فيه الدور الوظيفي للعقل في الاستفادة من معطيات الحواس والبناء عليها؛ لتحصيل العلم بالمجهول.

والعقلي: ما كان منسجماً مع العقل، متفقاً مع نتائجه، تَقْبَله النفس عن قناعة بِحَقِّيَّتِهِ، لاعتماده على مسلمات العقول، وأوليات البدائه.

والبرهان: النظر المفضي بصاحبه إلى عين مطلوبه[٤].

ثانياً: الانسجام والمواءمة بين الإسلام والعلم:

استُهِلَّ القرآن الكريم بالأمر بالقراءة، معلنًا بعثة خاتم الأنبياء، المؤيد بالعقل الصريح، المدعوم بالنقل الصحيح؛ ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾[٥]، جاء

---

[١] ظ: الزمخشري، أساس البلاغة، ص٦٤٧.
[٢] ظ: الغنية في الكلام، ص٩٨.
[٣] ظ: القرطبي، جامع أحكام القرآن، ٤١١/١.
[٤] ظ: البرهان في أصول الفقه، ١٢٢/١.
[٥] سورة العلق، الآية: ١ - ٥.

الإسلام ليبعث العقل من سُباته، ويصيح فيه: إن الإنسان لم يُخلق ليُقيد بالأغلال، ولا ليقاد بالزمام، بل فُطِرَ الإنسانُ على أن يَهتدِيَ بالعلم، ويستنير بنور العقل، وآيات الكون، فأطلق الإسلام بهذه الدعوى سلطان العقل من قيوده، وردَّه إلى دوره الذي نِيط به، إنه تصفح كتاب الكون، وتأمل آيات التدبير والإحكام.

ومن لطائف السياق القرآني في مادة العقل أن القرآن الكريم لم يستعمل "العقل" بصيغة الاسم الجامد، وإنما استعمل مشتقاتِهِ الفعليةَ: (**تَعْقِلُونَ** ٢٣ مرة، **يَعْقِلُونَ** ٢٢ مرة، **عَقَلُوهُ** مرة واحدة، **يَعْقِلُهَا** مرة واحدة، **نَعْقِلُ** مرة واحدة)، وكل ذلك في سياقات الإشادة بفاعلية العقل البشري في النظر والتدبر، والتمييز بين الأضداد؛ كالحق والباطل، والصحيح والزائف، والخير والشر، إن في هذا المسلك القرآني ما يلفت النظر، ويسترعي الانتباه؛ فإن هذا الإغفال للفظ العقل، والاقتصارَ على مشتقاته الفعلية يُلمِح إلى أن القرآن ناظر إلى العقل باعتباره قوة نفسية، ووظيفة حيوية، ينبغي أن تستثمر في محلها، لتؤدي دورها المنوط بها، والذي اعتبره الإسلام حَكَمًا عدلاً، ومرجعًا لا يُخْتَلَفُ في حجيته، ولا يستراب في نتائجه[١].

ثالثاً: ظواهر احتفاء الإسلام بالعلم:

ومن تأمل نصوص الإسلام؛ الكتاب والسنة، لحظ مظاهر الاحتفاء بالعلم، ومن هذه الظواهر[٢]:

• التكليف بشرائع الإسلام متوقف على العقل المميِّز: فالتكليف مرفوع عن الصبي حتى يبلغ، وعن المجنون حتى يفيق، وعن النائم حتى يستيقظ. قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (ان الله عز وجل لما خلق العقل قال له أقبل فأقبل، ثم قال

[١] ظ: الكتاني، جدل العقل والنقل، ٤٦٧/١.
[٢] للتوسعة: ظ: د. محمد كاظم الفتلاوي، العلم في المفهوم القرآني، ص٥٩.

له أدبر فأدبر، فقال تعالى: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا هو أكرم علي منك، بك أثيب وبك أعاقب، وبك آخذ وبك أعطي)[١].

• الحث على النظر والتأمل: ورد القرآن الكريم بالأمر بالتعقل والتدبر، وإطلاق عنان تأمل الآيات الكونية، في أكثر من سبعمائة وخمسين آية، في حين أن آيات الأحكام الصريحة لا تزيد على مائة وخمسين آية[٢]، ولم يأمر الله تعالى عباده في كتابه ولا في آية واحدة أن يؤمنوا به، أو بشيء مما هو عنده، أو يسلكوا سبيلاً على العمياء وهم لا يشعرون، حتى إنه علل الشرائع والأحكام التي جعلها لهم[٣].

ولو تفكرنا قليلاً في القرآن الكريم، ونظرنا فيه نظرة تأمل – ولو عَجْلَى – لم نجد في القرآن الكريم سورة طويلة متفردة بذكر الأحكام، في حين نجد سورًا كثيرة – خصوصًا المكية – ليس فيها إلا المباحث العقلية، وتقرير حقائق الأشياء، والكلام على الفطرة والنواميس الكونية، وخلق العالم، وإثبات الخالق، والحديث عن النفس، والإرادة، والاختيار، وعن الرسالة والوحي، والبعث، والخلود.

يقول الدكتور عبد الهادي أبو ريدة: (ولم يكن هنالك محيص عن البحث النظري بين المسلمين، لأن القرآن نفسه يوجب النظر العقلي، وهو بثروته الهائلة من الناحية الدينية والروحية والفكرية والفلسفية والإنسانية العميقة، وهي ثروة تفوق بما لا يقاس كل ما يوجد في الكتب المقدسة السابقة من حيث نوعها وتركيزها واتجاهها نحو الموضوع مباشرة وخصوصاً بما ينبه عليه آثار الخلق على تنوعه من مظاهر الطبيعة الكبرى ومظاهر نظام الكائنات الحية كلها خصوصاً الإنسان، يستحث العقل على التفكير استحثاثاً شديداً، هذا الى أن القرآن بكلامه عن الخلق

---

[١] المجلسي، بحار الأنوار، ٩٧/١.
[٢] ظ: طنطاوي جوهري، تفسير جواهر القرآن، ٢/١.
[٣] ظ: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٢٦٠/٥.

والمخلوق، من وجهات نظر متنوعة يجعل البحث النظري ضرورة دينية وفلسفية معاً، والإسلام في إقامة الدليل على صحة أصوله وفي الدفاع عنها وفي التنبيه على ما في مذاهب المخالفين من ضعف يعول على النظر العقلي، وعلى الدليل والبرهان لا على الاخبار والمعجزات)[١].

ولو درسنا سيرة المعصوم وفقهناها بتفاصيلها لقطعنا الرأي في أن المعصوم قد حول التوجيهات القرآنية الى واقع ملموس وعلم صحابته كيفية الاجتهاد العقلي في فهم النصوص الشرعية سواء أكان ذلك في القرآن أم في السنة.

واستمر الصحابة الكرام يجتهدون في بعض معاني القرآن الكريم كلما ظهرت الحاجة الى ذلك، غير أنهم كما ذكرنا من قبل لم يتوسعوا كثيرا في استعماله لعدم تغير الحياة كثيرا، على ما كانت عليه في عهد رسول الله ﷺ وتورعا عن الوقوع في الخطأ في بعض الاحيان.

ومع ذلك فإننا نجد أن ابن عباس يفسر (الكرسي) من قوله تعالى: ﴿**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ**﴾[٢] بالعلم، قال الطبري: اختلف أهل التأويل في معنى الكرسي الذي أخبر الله تعالى في هذه الآية أنه وسع السماوات والأرض، ثم روى بسنده الى ابن عباس أنه قال: علمه[٣].

وأما التابعون فقد بدأوا تدريجياً بتوجيه بعض الآيات الكريمة توجيهاً عقلياً بتحكيم عقولهم في فهمها أو ايجاد نوع من الربط والتوازن بينها، فهذا مجاهد بن

---

[١] رسائل الكندي – المقدمة -، ص٣٤.
[٢] سورة البقرة، الآية ٢٥٥.
[٣] ظ: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٧/٣.

جبر يفسر قوله تعالى: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[١] فيقول: مسخت قلوبهم، ولم يمسخوا قردة، وإنما هو مثل ضربه الله: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾[٣] يقول: هم في قبضته[٤]، وفي قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾[٥] قال: بقوة[٦].

إذن يحظى مصدر الاجتهاد العقلي الذي عُرف بتعاريف كثيرة بمنزلة خاصة بين المصادر التفسيرية، وقد اتخذت الفِرق الكلامية بإزاء هذا المصدر مواقف مختلفة تبعاً لتعريفهم للمصدر العقلي.

وبعض الباحثين عدّه نفس المنهج الاجتهادي في التفسير، وعدّه بعضهم من أقسام التفسير بالرأي، وقد ينظر له بنظرة مساوية للتفسير الفلسفي للقرآن.

---

[١] سورة البقرة، الآية ٦٥.
[٢] سورة الجمعة، الآية ٥.
[٣] سورة الاسراء، الآية ٦٠.
[٤] ظ: الطبرسي، مجمع البيان، ١٩٩/٦.
[٥] سورة الذاريات، الآية ٤٧.
[٦] ظ: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٥٠/٧.

المطلب الثاني

اتجاهات الفِرق الإسلامية وآراء علماء التفسير في الأصل العقلي

أولاً: اتجاهات الفِرق الإسلامية:

معلوم ان لكل فِرقة إسلامية أصول هي الأساس في منطلقاتها المعرفية، ولكل منها دليل تستند عليه، ومن ثم يكون التباين في التعامل مع النصوص الشرعية، ومنها مفهوم كل فرقة عن العقل، والذي انعكس بصورة مباشرة على المفسرين وبتجلي واضح في تفاسيرهم، وبعيداً عن أدلتهم العقدية واحتجاجهم على مفهوم العقل وادراكاته، نوجز الكلام هنا على اتجاه كل فرقة بما ينسجم مع مضمون بحثنا[١]، وعلى النحو الآتي:

الاتجاه الأول: نُسب الى المعتزلة[٢] بأنهم يرون العقل هو الحاكم، وهم بهذا يقدمون حكم العقل على حكم الشرع، إلا أن التحقيق بخلاف هذا، فلم يرد عنهم استقلال العقل بالحكم من دون الشرع بل الأولى عندهم – كما نسب لهم – أن العقل طريق الى العلم[٣]. وذلك بإعتبار التكليف منوطاً بالعقل.

---

[١] ظ: د. محمد كاظم الفتلاوي، الفرق الإسلامية الكبرى – دراسة مدخليه مقارنة في النشأة والإصول العقائدية -، مكتبة اقلام، النجف، ٢٠١٦م.

[٢] المعتزلة: فرقة إسلامية تنتسب إلى واصل بن عطاء الغزال، تميزت بتقديم العقل على النقل، وبالأصول الخمسة التي تعتبر قاسماً مشتركاً بين جميع فرقها، من أسمائها القدرية والوعيدية والعدلية، سموا معتزلة لاعتزال مؤسسها مجلس الحسن البصري بعد خلافه معه حول حكم الفاسق.

[٣] ظ: محمد سلام مدكور، مباحث الحكم عند الأصوليين، ١٦٢/١، استاذنا الدكتور محمد حسين الصغير، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، ص٧٠ وما بعدها.

ومن هنا يتبين أن منهج التفسير العقلي عند المعتزلة هو منهج يتحرك في داخل اطار المنهج الاصولي الذي يعتمد على تفسير القرآن بالقرآن في رد المتشابهه الى المحكم والى السنة النبوية الصحيحة في استنباط الأحكام، أو تأويلها في رد بعضها بسنة أخرى عند ظهور الاشكال أو رد بعض ما يصطدم منها في نظرهم مع القطعيات العقلية، وكذلك يعتمد منهجهم على اللغة ودلالاتها وعدم الخروج على قواعدها المعروفة، من منطلق أن القرآن كتاب نزل بلسان عربي مبين.

الاتجاه الثاني: وقد إعتبر الإمامية[١] العقل طريقاً موصلاً الى العلم القطعي، فلذلك لا يصح عندهم أن يكون شاملاً للظنون[٢].

وقد عدّ الشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ) العقل هو السبيل الى معرفة حجية القرآن، ودلائل الأخبار[٣].

إذن.. اعتبر المعتزلة والإمامية العقل بما هو طريق موصل الى العلم القطعي، مدركاً للحكم وطريقاً له، ولكن لا يذهبان الى تحكيم العقل مطلقاً[٤].

الاتجاه الثالث: وقد ذهب الأشاعرة[١] بأن التكليف مهما كان فمنشؤه حكم الشارع لا العقل، والعقل لا يعتمد عليه في إدراكاته لحكم الشارع[٢].

---

[١] أبرز المذاهب الشيعية ويطلق عليهم اسم الإمامية لقولهم بالإمامة بعد النبوة، ويسمون بالاثني عشرية لجعلهم الإمامة في اثني عشر إماماً، ويسمون كذلك بالجعفرية نسبة إلى أبرز أئمتهم الفقهاء الإمام السادس جعفر بن محمد.
ومن الناحية الواقعية إذا ما أطلق اسم الشيعة فإنه ينصرف إليهم، والمراد أنهم شيعة صاحب النبي وابن عمه وزوج ابنته علي بن أبي طالب في حقه بخلافة النبي في السلطة السياسية والدينية..

[٢] ظ: محمد رضا المظفر، أصول الفقه، ١٢٥/٣.

[٣] ظ: الكراكجي، كنز الفوائد، ص١٨٦.

[٤] ظ: محمد علي ايازي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، ٤١/١، محمد رضا المظفر، أصول الفقه، ٢١٦/٢.

ووافقهم جمع من الاخباريين من الإمامية؛ وذهبوا الى القول بعدم جواز الاعتماد على شئ من الادراكات العقلية[٣].

ولكن ان راجعنا تفاسير الاشاعرة نجدهم لا يخرجون عن الاحتياج الى العقل في فهم النص القرآني على وفق القواعد التفسيرية، يقول الدكتور محسن عبد الحميد: (إذا راجعنا تفسير الاشاعرة رأيناهم لم يخرجوا على منهج التفسير الاصولي القائم على أساس التأويل في ضوء قواعد اللغة وتفسير القرآن بالقرآن والسنة وبقوانين العقل)[٤].

ثانياً: آراء العلماء في معنى التفسير العقلي:

وعند تتبع الأقوال في هذا الأصل واستعماله في التفسير نلحظ هناك آراء، وهي على النحو الآتي:

١- التفسير بالعقل: هو الاستفادة من القرائن العقلية كأداة في التفسير:

قال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: المقصود من التفسير بالعقل هو الاستفادة من القرائن العقلية الواضحة التي تكون مورد قبول جميع العقلاء لفهم معاني الالفاظ والجمل، ومن جملتها القرآن والحديث. فمثلاً عندما يقال: [يد الله فوق أيديهم] فالعقل يقول: انه ليس المقصود من اليد هنا هو هذه الجارحة التي تحتوي على

---

(١) الأشاعرة: فرقة إسلامية تنتسب إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري وتنتهج أسلوب أهل الكلام في تقرير العقائد والرد على المخالفين ..

(٢) ظ: محمد رضا المظفر، أصول الفقه، ١٢٥/٣.

(٣) إلا ان الاخباريين والأصوليين (فانهم اتفقوا على منع ان يكون للعقل على نحو الإستقلال رتبة في تحريم شئ أو تحليله بناء على ما يدركه فيه من حسن أو قبح)، د. محمد عبد الحسن الغراوي، مصادر الإستنباط بين الأصوليين والإخباريين، ص٢٨٩، للتوسعة في مفهوم الاخبارية؛ ظ: السيد محمد سعيد الحكيم (مرجع ديني معاصر)، الأصولية والإخبارية بين الأسماء والواقع، دار الهلال، قم، ٢٠١٣م..

(٤) تطور تفسير القرآن – قراءة جديدة -، ص١٢٠.

خمسة أصابع، لان الله سبحانه وتعالى ليس بجسم اذ ان كل جسم محدود وفانٍ، والله ليس محدوداً ولا يفنى وإنما هو ازلي ابدي. فالمقصود من ذلك هو قدرة الله سبحانه التي فوق قدرة الجميع. فاطلاق اليد على القدرة اطلاق مجازي، لأن قدرة الإنسان عادة ما تكون في اليد وعن طريق اليد[١].

٢- التفسير العقلي: هو بعينه التفسير الاجتهادي:

قال الشيخ محمد هادي معرفة: (التفسير الاجتهادي يعتمد العقل والنظر اكثر ما يعتمد النقل والاثر ليكون المناط في النقل والتمحيص هو دلالة العقل الرشيد والرأي السديد)[٢].

وقد اعتبر الشيخ معرفة ان المنهج العقلي احد خصائص تفسير التابعين فقال: فاعملوا النظر في كثير من مسائل الدين ومنها مسائل قرآنية كانت تعود الى معاني الصفات واسرار الخليقة واحوال الأنبياء والرسل وما شاكل. فكانوا يعرضونها على شريعة العقل ويحاكمونها وفق حكمها الرشيد وربما يؤولونها الى ما يتوافق مع الفطرة السليمة[٣].

ثم ذكر ابن عباس من مدرسة مكة وابن مسعود من مدرسة الكوفة بوصفهما شيوخ هذا المنهج في التفسير وفي الختام قال: وقد راج التفسير العقلي في ما بعد ولاسيما عند المعتزلة ومن حذا حذوهم في تقديم العقل على ظاهر النقل[٤].

والفخر الرازي يقول حول الاهتمام بالعقل والمنهج الاجتهادي في التفسير: (وقد ثبت في أصول الفقه أن المتقدمين إذا ذكروا وجها في تفسير الآية فذلك لا يمنع

---

[١] ظ: التفسير بالراي: ص ٣٨.
[٢] التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ٢٤٩/٢.
[٣] ظ: المصدر نفسه، ٤٣٥/١.
[٤] ظ: المصدر نفسه.

المتأخرين من استخراج وجه آخر في تفسيرها، ولولا جواز ذلك وإلا لصارت الدقائق التي استنبطها المتأخرون في تفسير كلام الله مردودة باطلة، ومعلوم أن ذلك لا يقوله إلا مقلد خلف)[١].

وقال الأستاذ محمد علي ايازي في هذا الشأن: وهذا مصطلح في قبال التفسير بالرأي – المذموم – الناتج من هوى النفس والبدع والمراد منه المنهج الاجتهادي القائم على القواعد العقلية القطعية في شرح معاني القرآن والتدبر في مضامينه والتأمل في ملازمات بيانه[٢].

٣- التفسير العقلي: نوع من أنواع التفسير بالرأي:

كتب الشيخ خالد عبد الرحمن العك: التفسير العقلي هو ما يقابل التفسير النقلي وهو يعتمد على الفهم العميق والمركز لمعاني الالفاظ القرآنية التي تنتظم في سلكها تلك الالفاظ وفهم دلالاتها وللعلماء تسمية للتفسير العقلي هي التفسير بالرأي[٣].

كما كتب الدكتور الذهبي في مبحث التفسير بالرأي فقال: والمراد بالرأي هو الاجتهاد وعليه فالتفسير بالرأي عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد[٤].

إذن هناك مفهومان للتفسير بالرأي، الأول هو التفسير بالرأي المذموم المنهي عنه والمحرم شرعاً، ومفهوم آخر ممدوح وهو التفسير بالرأي على وفق آليات الاجتهاد العقلي البعيد عن الهوى والاستحسان[٥].

---

[١] مفاتيح الغيب، ١٧٧/٩.
[٢] ظ: المفسرون حياتهم ومنهجهم، ص٤٠.
[٣] ظ: أصول التفسير وقواعده: ص ١٦٧.
[٤] ظ: التفسير والمفسرون، ١/ ٢٥٥..
[٥] ظ: د. محمد كاظم الفتلاوي، مناهج المفسرين، منهج التفسير بالرأي، ص٩١..

والاجتهاد العقلي المقصود هو دليل العقل القطعي في تفسير آية من الآيات القرآنية، والعقل المقصود هنا هو ليس العقل الفردي وإنما هو العقل المنطقي البرهاني الذي هو الحد المشترك بين العقول، كالمبادئ الأولية التي لا يتخلف فيها العقلاء.

وفي المفهوم الراجح الممدوح أيضاً اختلف العلماء حول حجية تفسير القرآن بالعقل، وانقسموا إلى قسمين أو صنفين؛ مانعين ومجيزين[١].

ولكن ورغم اختلافهم فللعقل قيمته ومكانته في التشريع الإسلامي شريطة أن يضبط استعماله في ظل القواعد الأصولية للتفسير المتمثلة في الأصول النقلية واللغوية والضوابط المنهجية، حتى لا يضل وينحرف.

بالإضافة إلى الاطلاع على العلوم القرآنية والمباحث الأصولية الكلامية والفقهية المتعلقة بمعاني الآي، مع اجتناب إخضاع القرآن لمذاهب أو أفكار معينة بالتحريف والإهمال[٢].

[١] للتوسعة في أدلة المانعين من القدماء والمحدثين وأدلة المجيزين من القدماء والمحدثين والتوافق بينهما ظ: د. محمد كاظم الفتلاوي، الإعجاز في القرآن الكريم – دراسة في التفسير العلمي للآيات الكونية -، ص١٠٥.

[٢] ظ: د. محسن عبد الحميد، دراسات في أصول تفسير القرآن الكريم، ص٣٢.

المطلب الثالث:

ضوابط في منهجية المصدر العقلي عند تفسير القرآن الكريم، وفيه:

ولكي يحصن المفسر تفسيره من الزيغ والانحراف في فهم النص القرآني وتجنب اتباع الهوى والاستحسان تحت ذريعة التفسير بالعقل، فهناك ضوابط منهجية (عامة وخاصة) هامة جُعلت لمصدر (أصل) التفسير العقلي الاجتهادي، وهي:

أولاً: ضوابط عامة، وهي كما يأتي:

الضابط الأول: معرفة أحسن طرق التفسير، وسلوك ذلك وتطبيقه عملياً.

الضابط الثاني: معرفة موضوع القرآن، وأهدافه، ومقاصده قبل البدء في تفسيره.

الضابط الثالث: معرفة عُرف القرآن ومعهوده من معانيه.

الضابط الرابع: حمل معاني الآيات على ظاهرها، ولا تؤول إلى خلاف الظاهر إلا بدليل.

الضابط الخامس: حمل معاني الآيات على حقيقتها الشرعية، ولا تحمل على خلافها إلا بدليل صحيح.

الضابط السادس: مراعاة دلالة السياق القرآني.

الضابط السابع: ضرورة الرجوع إلى النصوص المحكمة البينة، ورد المتشابهات إليها.

الضابط الثامن: عدم الخوض في المتشابهات، وفيما استأثر الله بعلمه.

الضابط التاسع: القدرة والتمكن من الجمع والترجيح بين معاني الآيات عندما يتوهم التعارض بينها.

ثانياً: ضوابط خاصة، وهي على النحو الآتي:

أولاً: ضوابط قرآنية:

الضابط الأول: لا تصح دعوى النسخ في آية آن إلا بدليل قاطع يثبت ذلك أو كانت معارضة لغيرها من الآيات، ولا يمكن الجمع بينها، وعُلِم المتأخر منها.

الضابط الثاني: العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب.

ثانياً: ضوابط حديثية: الضابط: إذا صحَّ التفسير من جهة المعصوم عليه السلام فلا حاجة إلى قول من بعده.

ثالثاً: ضوابط لغوية:

الضابط الأول: كل تفسير ليس مأخوذاً من دلالة ألفاظ الآية وسياقها فهو مردود.

الضابط الثاني: يحمل كلام الله تعالى على المعروف والأشهر من كلام العرب دون الشاذ والقليل.

رابعاً: ضوابط أصولية:

الضابط الأول: كل عام يبقى على عمومه حتى يأتي ما يخصص.

الضابط الثاني: الأصل بقاء المطلق على إطلاقه حتى يرد ما يقيده.

وبكلمة.. احتياج مناهج المفسرين الى الأصل العقلي:

إنَّ تفسير القرآن الكريم بالنظر العقلي لا يختلف عما يعبر عنه البعض بالتفسير بالرأي أو بالاجتهاد ونحو ذلك مما يذكر من أنواع التفسير: كالتفسير العلمي أو التفسير الاجتماعي أو الفقهي ونحوها، فكلها مصطلحات متقاربة لمدلول واحد؛ إذ إن تفسيرك للقرآن يكون على حالين:

إما أن تنقل رأي غيرك ممن سبقك في التفسير فهذا يحكم عليه بأنه تفسير نقلي، أو تأخذ برأيك واجتهادك وهذا هو التفسير العقلي. ثم المقام ومجال اهتمامك يحدد طريقة التفسير ونوعه، فإن كان أهتمامك في تفسير آيات الأحكام فيطلق على تفسيرك بأنه تفسير فقهي وهكذا، وكل تلك الاهتمامات التفسيرية مهما اختلفت طرائقها لا تخرج عن وصفها بأنه تفسير عقلي.

وفيما سبق حاولت أن أجد فرقاً بين التفسير العقلي وغيره من مجالات التفسير كالتفسير العلمي التجريبي والاجتماعي ونحوهما، وكنت أيضاً أزعم أن ضوابط النظر العقلي في التفسير هي في التفسير العقلي خاصة، لكنني توصلت بعد ذلك إلى عدم وجود فرق بينها[١]، وأن ضوابط النظر العقلي في التفسير عامة في كل مجال من مجالات التفسير، وكلها مندرجة تحته، لكن قد تضاف ضوابط أخرى خاصة مما يحتاجه ذلك المجال المعين. أي ان كل مناهج المفسرين من غير استثناء محتاجة الى الأصل العقلي حتى التفسير بالمأثور منها، فيحتاجه المفسر في الترجيح بين الروايات وغيره.

[١] ظ: د. محمد كاظم الفتلاوي، مناهج المفسرين، منهج التفسير بالرأي، ص٩١..

المبحث الثالث: الأصل الثالث: المصدر اللغوي

المطلب الأول: مدخل في مفهوم الأصل اللغوي

هو المصدر الذي يعتمد على استخلاص معاني الآيات الكريمة عن طريق اللغة؛ حيث يرون في النص القرآني إضافة الى كونه نصاً دينياً هو نص أدبي، معجز في لغته وبلاغته وفصاحته .

وقد شكل أصحاب هذا المصدر مدرسة خاصة بهم، تميزت أبعادها في البحث عن لغة القرآن، وعن مجازات القرآن، وعن غريب القرآن، و عن معاني القرآن، وعن مفردات القرآن ولعل عبد الله بن عباس هو أول من اعتمد هذا المصدر اللغوي في التفسير.

ثم جاءت طائفة حملت هذا اللواء؛ كأبان بن تغلب أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام الذي ألف في غريب القرآن ومعاني القرآن والقراءات، والفراء، وأبو عبيدة، وثعلب ألفوا في معاني القرآن، والجاحظ في نظم القرآن، ثم جاء عبد القاهر الجرجاني الذي ألف كتابين في "دلائل الإعجاز، وأسرار"، وممن برع في هذا المنهج جار الله الزمخشري في تفسير "الكشاف".

أولاً: معنى تفسير القرآن باللغة: هو بيان معاني القرآن الكريم بمدلول مفرداته وتراكيبه في لغة العرب.

فالقرآن نزل بلغة العرب ليفهموه أولاً، ثم يبلغوه للناس، ولما كان نازلاً بهذه اللغة الشريفة التي اختارها الله واصطفاها من بين اللغات، كانت من المصادر اللازمة لمن أراد أن يفهم القرآن.

ثانياً: وجه اعتبار اللغة مصدراً للتفسير:

١- لا يخلو تفسير آية من الآيات من الحاجة إلى معرفة اللغة، وغالب ما يحتاج إليها في التفسير ما يتعلق بدلالة الكلمة؛ لأن دلالة الكلمة يعرف بها التفسير، ويتأثر بها المعنى، فالجهل بدلالة الكلمة أو تفسيرها بغير ما عرف عن العرب مدعاة للخطأ في فهم كلام الله تعالى.

٢- واللغة سد منيع يحول دون حمل ألفاظ القرآن العربية على المصطلحات والرموز الخاصة؛ كالموجود عند الصوفية والباطنية وغيرهم، فمن أسباب بطلان هذه التفسيرات أنها مما لا تعرفه العرب من كلامها.

ثالثاً: أهميته:

يقتضي الرجوع إلى اللسان العربي فهم ألفاظ القرآن مفردة وجملة مجتمعة في ضوء قواعد اللغة التي لا يجوز أن يحكم فيها المفسر أي فهم أو قواعد أو اصطلاحات طارئة بعد عصر التنزيل، ولهذا تظافرت آيات القرآن الكريم تشير الى أهمية اللغة العربية في فهم مرادها، وكذلك ما ورد عن المعصوم عليه السلام في الحث على تعلمها لأهميتها في ادراك معاني القرآن ومراميه.

قال تعالى: **(نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)**[١]. أي: هذا القرآن الذي أنزلناه إليك أنزلناه بلسانك العربي الفصيح الكامل الشامل، ليكون بيناً واضحاً ظاهراً، قاطعاً للعذر، مقيماً للحجة، دليلاً إلى المحجة[٢]. ويقول تعالى: **(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)**[٣]. أي: إنا أنزلنا هذا

---

[١] سورة الشعراء، الآية: ١٩٣ – ١٩٥.
[٢] ظ: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٦٢/٦.
[٣] سورة يوسف، الآية: ٢.

الكتاب المبين، قرآناً عربيّاً على العرب، لأن لسانهم وكلامهم عربي، فأنزلنا هذا الكتاب بلسانهم ليعقلوه ويفقهوا منه.

وكذلك ما ورد أن الجهد الأبرز لصيانة اللغة العربية هو جهد الإمام علي (عليه السلام) في وضعه علم النحو وسن قواعد اللغة العربية، وكان حافز الإمام علي (عليه السلام) في ذلك هو المحافظة على قراءة القرآن بصورة صحيحة وصيانة اللغة العربية، وذلك عندما سمع أعرابياً يقرأ: (لا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئِينَ) بينما الصحيح هو قوله تعالى: ﴿**لا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِؤُونَ**﴾[١][٢].

تُعد معرفة اللغة العربية من أهم الأدوات لفهم القرآن الكريم وتفسيره، إذ القرآن نزل باللسان العربي، فلا شك أنه لا يصح فهمه وتفسيره إلا عن طريق ذات اللسان الذي نزل به الروح الأمين على قلب النبي صلى الله عليه وآله. ولقد حث الأئمة عليهم السلام على تعلم اللغة العربية، يقول الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): (تعلموا العربية فإنها كلام الله الذي كلم به خلقه)[٣].

كما أدرك العلماء أهمية اللغة العربية في فهم القرآن وتفسيره، وحذروا من تفسير كتاب الله من غير علم بالعربية، قال مجاهد(ت:١٠٤هـ): (لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب)[٤].

وروي عن الفقيه مالك (ت: ١٧٩هـ) قوله: (لا أوتي برجل غير عالم بلغات العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً)[١].

---

[١] سورة الحاقة، الآية: ٧.
[٢] ظ: ابن الانباري أبي البركات كمال الدين(ت ٥٧٧هـ)، نزهة الألباب في طبقات الأدباء، ص٢٩.
[٣] الصدوق، الخصال، ص٢٥٨.
[٤] ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٢٩٢/١.

وفي أهمية اللغة في بيان معاني الألفاظ نُقل عن أبن عباس قوله: (كنت ما أدري ما ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٢] حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، والآخر يقول: أنا ابتدأتها)[٣].

ويهم مفسر القرآن معرفة القدر الذي يحتاجه من الغريب والنحو والاشتقاق والتصريف حتى يستطيع إدراك معاني الآيات؛ وتختلف الحاجة الى هذه العلوم (باختلاف الجوانب التي يريد المفسر معالجتها من القرآن الكريم، فحين يريد ان يدرس فقه القرآن مثلاً، لا يحتاج الى التعمق في أسرار اللغة العربية بالدرجة التي يحتاجها المفسر إذا درس الفن القصصي في القرآن، أو المجاز في القرآن)[٤].

نعم ولا يُطلب منه الإلمام باللسان العربي فذلك لن يكون في مكنته، لأن العربية التي نزل بها القرآن من أوسع اللغات من حيث المفردات، وقد قال الشافعي: (لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها ألفاظاً، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها حتى لا يكون فيها من يعرفه)[٥].

وذلك ان آيات القرآن الكريم ليس فيها ما لا يدركه العربي من ألفاظها المبينة، يقول السيد محمد حسين الطباطبائي: (ليس بين آيات القرآن آية واحدة ذات إغلاق وتعقيد في مفهومها بحيث يتحيّر الذهن في فهم معناها، وكيف! وهو أفصح الكلام، ومن شرط الفصاحة خلوّ الكلام عن الإغلاق والتعقيد..)[٦].

---

[١] ظ: المصدر نفسه، ١٦٠/١.
[٢] سورة فاطر، الآية: ١.
[٣] ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٢٩٦/١.
[٤] محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية/ الموسوعة، ص٣١٢ .
[٥] الرسالة، ص٤٢.
[٦] الميزان في تفسير القرآن، ٩/١.

يقول استاذنا الدكتور محمد حسين الصغير: (نعم. المصدر اللغوي يحتاجه المفسر لرفع التدافع في الألفاظ المشتركة، أو المختلفة الدلالة، أو الغربية مما ألّف به العلماء في الغريب، أو مما لم يؤلف إستعماله، أو من جهة النقل المنقلب، وهكذا...)[١].

وحاجة المفسر إلى معرفة علوم البلاغة يستوجبه أمران:

الأول: تضمن القرآن الكريم لأساليب التشبيه والاستعارة والكناية إلى غير ذلك.
الثاني: ارتباط إعجاز القرآن الذي هو شهادة ربانيته بعلم البلاغة.

قال الزركشي: (وهذا العلم أعظم أركان المفسر، فإنه لا بد من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز من الحقيقة والمجاز، وتآليف النظم، وأن يواخى بين الموارد، ويعتمد ما سيق له الكلام حتى لا يتنافر وغير ذلك...)[٢].

رابعاً: مراحل التفسير باللغة:

التفسير باللغة مر بثلاث مراحل:
الأولى: عند المتقدمين.
الثانية: عند أهل العربية.
الثالث: بعد تدوين كتب اللغة.

---

[١] المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، ص٨١.
[٢] البرهان في علوم القرآن، ٣١١/١.

المرحلة الأولى: التفسير باللغة عند المتقدمين في طبقاتهم الثلاث:

كان التفسير باللغة أغلب تفسير المتقدمين، وكان ذلك قبل بروز علماء العربية، واعتنائهم بتدوين اللغة؛ لذا فالحاجة للرجوع إلى تفسيراتهم اللغوية أصل مقدَّم على الرجوع إلى أهل اللغة.

والرعيل الأول ممن عاصر النبي ﷺ من أهل اللسان الذي نزل به القرآن، وتفسيرهم بلسانهم معتبر غير معترض عليه من جهة اللغة.

وأما التابعون، فكان فيهم من هو عربي محض، وهو في اللسان كالصحابة، وكان فيهم من هو من الموالي، وهؤلاء ممن تعلم العربية من مخاطبات أهل البيت عليهم السلام والصحابة الذين علموهم؛ ومن ثم فإدراك الموالي المباشر للغة العرب أعلى من إدراك من أخذها من الكتب، إذن ما ينقل عنهم من التفسير المعتمد على اللغة حجة من جهة اللغة.

المرحلة الثانية: التفسير اللغوي عند علماء العربية (وقت التدوين اللغوي):

ظهر الاهتمام بجمع كلام العرب وتدوينه في النصف الثاني من القرن الثاني، وأول مدون ظهر مرتباً على الحروف كتاب العين المنسوب للخيل بن احمد الفراهيدي (ت: ١٧٥هـ)، وقد ظهر فيه بيان كثير من المفردات القرآنية التي يمكن أن تخرج في كتاب مستقل، وقد توالت بعده المصنفات على هذا النحو.

وكتب بعض علماء العربية من هذه الطبقة كتباً في غريب القرآن ومعاني القرآن، وهي تتضمن جملة كبيرة من التفسير باللغة.

وصار هؤلاء مرجعاً لمن جاء بعدهم من اللغويين والمفسرين، وصارت أقوالهم تحكى مقابل أقوال المتقدمين الذين ينعتون بأهل التفسير، أو بالمفسرين، بينما ينعت اللغويون بأهل المعاني أو أصحاب المعاني.

وليس في هذا الأمر – من حيث التقسيم – ما يشكل عليه، لكن يُخشى أن يقع المشكل في ذلك حين تتعارض أقوال اللغويين مع أقوال المتقدمين، ثم تقدم على أقوال المتقدمين بدعوى أنهم أهل التخصص، أو بأي دعوى كانت.

ومع علمنا أن مفسري الأمة المتقدمين قد سبقوا اللغويين في التفسير عموماً، وهذه النتيجة مع يسرها وسهولتها، تجد من يغفل عنها عند بحثه عن معاني ألفاظ القرآن، أو ألفاظ اللغة، ويعمد إلى أقوال اللغويين الذين تأخروا عنهم وجاءوا بعدهم، وهذا فيه من القصور في البحث ما فيه.

المرحلة الثالثة: مرحلة ما بعد تدوين اللغة:

وهذه المرحلة تعتمد على النقل والاستفادة مما دون علماء اللغة المتقدمون، وهؤلاء النقلة قد يكونون ممن اشتهر بالتفسير، وقد يكونون ممن اشتهر بعلم العربية، وعمل هؤلاء على النقل أو الاختيار، كما هو الحال في تفاسير المتأخرين، كالواحدي (ت:٤٦٨هـ) وابن عطية (ت: ٥٤٢هـ) وغيرهم.

وكل من جاء بعد الطبقتين السابقتين يستفيد من هذه النقول اللغوية، ولا يخرج في اعتمادها في التفسير عن حالين:

الأولى: أن يستفيد منها لترجيح قول من الأقوال.

ثانياً: أن يستفيد منها في إضافة قول جديد، وهذا لا يقبل إذا أبطل قول المتقدمين.

المطلب الثاني: ضوابط التفسير باللغة:

لا شك أن للغة حضورها الكبير في التفسير، وهي من الدعائم الرئيسة في ذلك، فلا يمكن فهم النص القرآني فهماً سليماً وتذوقه تذوقاً صحيحاً إلا من خلال الإلمام بحلته اللغوية التي نزل بها كون القرآن نص لغوي بالمقام الأول – دون إغفال المصادر الرئيسة التي لابد للمفسر من تفعيلها في بيان كلام الله– ورغم ذلك فلا يترك أمر اللغة دون ضوابط وحدود معينة، بل يجب أن يتم الاستعانة بها وفق ضوابط تحد من استغلال سعتها ودلالاتها المتنوعة، وحتى لا يأتي الجاهل بأسرارها، وتنوع أساليبها، ويتصرف فيها بجهله أو مكره، ومن ثم فقد وضع العلماء حدوداً وقواعد ضابطة، تُبقي اللغة على معهود العرب في الاستخدام وقت تنزل القرآن.

وقد ارتأينا تقسيم الضوابط على ثلاث تقسيمات، ضوابط خارجة عن مضمون اللغة، وهي ذات علاقة بالنقل، وضوابط اللسان العربي وهي ذات صلة بعلوم اللغة العربية وقواعدها، وضوابط تتصل بمحل بحثنا وهي ذات صلة بالمصدر اللغوي بكونه أصلاً للتفسير، وعلى النحو الآتي:

أولاً: ضوابط خارجية: وبما أن التفسير اللغوي للقرآن لا يخرج عن مفهوم التفسير النقلي – أي: بما نُقل عن العرب من لغة – فإن ضوابطه من حيث النقل تكاد تكون مطابقة لضوابط المصدر النقلي المارة الذكر.

ثانياً: ضوابط داخلية (قواعد علوم اللسان العربي): لمّا كان القرآن كلاماً عربياً، كانت قواعد العربية طريقاً لفهم معانيه، وليس المقصود بقواعد اللغة قواعد علم النحو والصرف فقط كما هو المتبادر للأذهان، والمتسرع للأفهام، بل هي أوسع من ذلك.

فنعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي، وهي: متن اللغة، والتصريف، والنحو، والمعاني والبيان، ومن وراء ذلك استعمالات العرب في كلامها ووجوه مخاطباتها، ولعلمي البيان والمعاني مزيد اختصاص بعلم التفسير؛ لأنهما وسيلة لإظهار خصائص البلاغة القرآنية، وما تشتمل عليه الآيات من تفاصيل المعاني وإظهار وجه الإعجاز[١].

وعلى هذا تُعد علوم اللسان العربي بجميع أنواعها من المصادر الأساسية لأصول التفسير؛ لصلتها الوثيقة بالنص القرآني، كما يمكن اعتبارها مادة صالحة لبناء القواعد وتأصيل الضوابط التي تُعين على فهم القرآن، مع الآخذ بنظر الاعتبار ان لغة القرآن الكريم أرقى وأقدس من ان تكون محكومة بأقوال الرجال المتأخرين والكتب المؤلفة بعد نزوله، فهو أقدم منها زمناً وأقدس منها مضموناً[٢]. أي أن الاعتماد على مجرد اللغة في التفسير خطأ فاحش كما ان الجهل بقواعد هذه اللغة خطأ خطير في باب التفسير.

ثالثاً: ضوابط تفسير المصدر اللغوي: وأما من حيث المضمون للأصل اللغوي فمن الصعوبة بمكان التحديد الدقيق لهذه الضوابط، كون (الإشكال الحقيقي في عملية التفسير: هو في تحديد الضوابط التي تحكم توظيف جوانب المعنى المختلفة.. (إعمالاً وإهمالاً) ونظمها في قواعد متسقة، تكون ميزاناً نميز به بين التفسير الصحيح لكتاب الله، والتفسير الباطل..)[٣]، ولكنها محاولة لجمع ما لقيته

---

[١] ظ: الفصل الثاني: ضوابط التفسير من هذا الكتاب، ص.
[٢] ظ: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٨/١ - ١٩.
[٣] د. فريد الانصاري، .

مشتتاً، وما اصطلح عليه بضوابط التفسير اللغوي والذي استفدت في جمعها من عدة مصادر ومراجع[١]، موجزاً إياها في النقاط الآتية:

١. أن تُفَسَرَ الآيات بالمعاني التي كانت معروفة عند العرب وقت نزول القرآن، حقائق كانت أو مجازات، قال القرطبي: (فمن لم يُحكم ظاهر التفسير، وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطة، ودخل في زمرة من فسر القرآن بالرأي. والنقل والسماع لا بد له منه في ظاهر التفسير أولاً ليُتَّقَى به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط)[٢].
٢. كل تفسير ليس له أصل في لغة العرب فهو مردود، فيجب ان يكون المفسر عالماً بحقائق اللغة وموضوعاتها، وما يتعلق بها من العلوم، قال الزركشي: (واعلم أنه ليس لغير العالم بحقائق اللغة وموضوعاتها تفسير شئ من كلام الله، ولا يكفي في حقِّه تَعَلُّم اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركاً، وهو يعلم أحد المعنيين، والمراد المعنى الآخر)[٣].
٣. كل تفسير لغوي وارد عن المتقدمين يُحكم بعربيته، وهو مقدم على قول اللغويين.
٤. وجوب حَمْلِ كلام الله على الأشهر والأفصح من كلام العرب، ويحترز من صرف الآية الى معان يدل عليها القليل من كلام العرب، أو المجهول منه والشاذ، بمعنى أنه قد يكون للكلمة في لغة العرب أكثر من معنى فيختار المفسر المعروف والأغلب دون الشاذ أو النادر، قال الطبري: (وتوجيه تأويل

---

[١] ظ: محمد عمر الضرير، نت، د. مساعد بن سليمان الطيار، منهج التفسير اللغوي، ص٥٥٩، د. خليل الكبيسي، علم التفسير أصوله وقواعده، ص٦٧، د. علي بن سليمان العبيدي، تفسير القرآن الكريم – أصوله وضوابطه -، ص٨١ ..
[٢] الجامع لأحكام القرآن، ٣٤/١.
[٣] البرهان في علوم القرآن، ٢٩٥/١.

القرآن الى الأشهر من اللغات أولى من توجيهه إلى الأنكر ما وجد إلى ذلك سبيلا)[١] .

٥. وجوب مراعاة السياق، والمقصود بـ"السياق": الجو العام الذي يحيط بالكلمة وما يكتنفها من قرائن وعلامات. وقد أدرك العلماء قوة الترابط بين اللفظ والمعنى ومراعاة السياق. قال الزركشي: (من الأمور التي تعين على المعنى عند الإشكال دلالة السياق فإنها ترشد إلى تبيين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظيره وغالط في مناظراته)[٢].

٦. أن يكون الاعتناء بالمعاني المبثوثة في الخطاب هو المقصود الأعظم، بناء على أنَّ العرب إنَّما كانت عنايتها بالمعاني وإنَّما أصلحت الألفاظ من أجلها، قال الشاطبي: (وهذا الأصل معلوم عند أهل العربية، فاللفظ إنما هو وسيلة الى تحصيل المعنى المراد، والمعنى هو المقصود.. وكثيراً ما يغفل هذا النظر بالنسبة للكتاب والسنة، فتلتمس غرائبه ومعانيه على غير الوجه الذي ينبغي، فتستبهم على الملتمس، وتستعجم على من لم يفهم مقاصد العرب، فيكون علمه في غير معمل، ومشيه عللا غير طريق)[٣].

---

[١] جامع البيان في تأويل آي القرآن، ٣٣٧/٥ .

[٢] البرهان في علوم القرآن، ٢٠٠/٢. وعليه فقد يستخدم القرآن صيغة الأمر ويقصد بها مدلولها الظاهر عندما يقول: ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ وقد يقصد بها الإباحة عندما يقول: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ﴾ عقيب الحظر في قوله: ﴿لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾، وقد يقصد التهديد عندما يقول: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ﴾، وقد يقصد التعجيز والتحدي عندما يقول: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِأ﴾ وعندما يقول على لسان هود ع: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ﴾، وهكذا.
لقد استخدمت هذه الآيات جميعاً في صيغة الأمر: "أقم"، "فاصطادوا"، "فاعبدوا"، "فأتوا"، "فكيدوني" فما الذي جعلها تعطي مدلولات مختلفة بل ومتناقضة أيضا؟ إنه السياق القرآني والقرائن الخارجية.

[٣] الموافقات، ٦٦/٢.

٧. عدم القول بالزيادة في القرآن، فغير جائز أن يكون في كتاب الله حرف لا معنى له، ولذا فرَّ بعض المعربين من التعبير بالزائد إلى التعبير بالتأكيد، والصلة، والمقحم، ومرادهم أن الكلام لا يختل معناه بحذفها، لا أنه لا فائدة فيه أصلاً، فإن ذلك لا يحتمل من متكلم فضلاً عن كلام الحكيم[١].

٨. عدم اعتقاد معنى ما وحمل ألفاظ القرآن الكريم عليه .

٩. وجوب مراعاة أصل الوضع في التركيب، ولا يخرج من ذلك إلا بحجة واضحة.

١٠. إذا وَرَدَ أكثر من معنى لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد، جاز تفسير الآية به.

١١. ليس كل ما ورد في اللغة يلزم وجوده في القرآن.

١٢. إذا كان الكلام يحتمل الحقيقة والمجاز، قُدِمَتْ الحقيقة.

١٣. لا يجوز العدول عن الظاهر إلا بقرينة .

١٤. الوقوف على الأغراض البلاغية، وملاحظة التنوع في النظم والتأمل في سرّ تراكيب الجملة القرآنية.

١٥. إدراك ارتباط الفاصلة بما قبلها في الآية القرآنية والجزم بكونها مقصودة من حيث لفظها وجرسها.

١٦. ضرورة التنبه إلى خلود معاني اللفظ القرآني وتجدد فهم معانيها بتجدد الزمن.

أخيراً.. أن التفسير اللغوي جزء من علم التفسير، ولذا لا يمكن أن يخلو منه كتاب في التفسير، إلا أن يكون من التفاسير المنحرفة التي لا تعتمد على لغة العرب في بيان القرآن، كتفاسير الباطنية والصوفية والفلاسفة وغيرها.

---

[١] ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٣٠٢/١.

وأنه من أكبر مصادر التفسير، وهذا ظاهر لمن يقرأ مدونات التفسير، كتفسير الطبري (ت:٣١٠هـ)، وتفسير ابن عطية (ت: ٥٤٢هـ) وغيرهما.

وقد أشرنا في صفحات هذا الكتاب الى جملة من الشواهد التفسيرية باللغة، ونذكر ههنا شاهدين في التفسير اللغوي:

– يرى بعض الناس أن المحرم من الخنزير إنما هو اللحم، وأما الشحم والجلد فحلال؛ لأن القرآن إنما حرّم اللحم دون الشحم والجلد، وذلك في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾[١]، فلم يحرم شيئاً غير لحمه. هذا سوء فهم للنص القرآني نشأ من الجهل اللغوي بأن كلمة (اللحم) في اللغة العربية تطلق على الشحم ولا العكس، ولو عرف أن لفظ اللحم يتناول الشحم وغيره بخلاف العكس لم يقل ما قال[٢].

– اختلف المفسرون في معنى: ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾[٣] على عدّة أقوال نذكر منها[٤]:

فقال بعضهم: معناه انبجس الماء من وجه الأرض، والعرب تسمي وجه الأرض "تنور الأرض".

وقال آخرون: هو تنور الصبح بمعنى طلوع الفجر وظهوره، من قولهم: (نوّر الصبحُ تنويراً).

---

[١] سورة المائدة، الآية: ٣.

[٢] ظ: الشاطبي، الموافقات، ٢٢٨/٤. يقول الشيخ الفاضل المقداد السيوري: (خص اللحم وإن كان شحمه وكل أجزاءه محرماً لأنه المقصود بالأكل وغيره تابع له)، كنز العرفان في فقه القرآن، ص٦١٥.

[٣] سورة هود، الآية: ٤٠.

[٤] ظ: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٣٨/٧، الطبرسي، مجمع البيان، ٢٠٩/٥، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٤/٩، ابو حيان، البحر المحيط، ٢٢٢/٥.

وقال آخرون: معنى ذلك: وفار أعلى الأرض وأشرف مكانٍ فيها بالماء. وقال: التنور: أشرف الأرض.

وقال آخرون: هو التنور الذي يُختبز فيه.

وقيل: أن فار التنور معناه: اشتد غضب الله عليهم، ووقعت نقمته بهم، كما تقول العرب: حَمِي الوطيس، إذا اشتد الحرب، وفارت قِدْر القوم، إذا اشتد حربهم.

قال الطبري بعد ذكره هذه الأقوال: (وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله: (التنور)، قول من قال: "هو التنور الذي يخبز فيه"، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله لا يوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب، إلا أن تقوم حجَّة على شيء منه بخلاف ذلك فيسلم لها. وذلك أنه جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم به، لإفهامهم معنى مَا خاطبهم به)[١].

وبهذا أيضاً رد الشيخ الطبرسي على القول الأخير – وفارت قِدْر القوم، إذا اشتد حربهم – إذ قال: (وهذا أبعد الأقوال من الأثر، وحمل الكلام على الحقيقة التي تشهد بها الرواية أولى)[٢].

***القرآن الكريم حافظ للغة العربية وحاميها:**

ذكرنا فيما تقدم أهمية المصدر اللغوي كأصل يحتاجه المفسر في فهم كتاب الله، ونجد من الضرورة بمكان القول: ان القرآن هو مصدر اللغة العربية وحافظها وهو الذي حماها لغة من ان تذوب في لغات أخرى، ولم نعرف شيئاً حمى اللغة العربية من الضياع... غير هذا الكتاب الكريم ابتعدت ما ابتعدت الشعوب العربية عن الكلام بلغتها العربية وكان هو مردها إليها.

---

[١] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٤٠/٧.
[٢] ساق الطبرسي رواية عن أهل البيت ع تنص انه تنور الخابزة، ظ: مجمع البيان، ٢١٠/٥.

كلما أوشكت أن تنفصم صلتها به ربطها هو بها وهكذا عاشت الأمة العربية بعيدة بكل ما فيها عن لغتها قريبة بهذا الكتاب وحده إلى لغتها وحين حمى هذا الكتاب اللغة لأهلها حمى هؤلاء من أن يتفرقوا[١]. ثم أن القرآن هو قاعدة اللغة العربية وأصلها والحكم عليها وهي تنتسب إليه وتحتمي به وتصان وفي رأى الدكتور صبحي الصالح: أننا نجعل القرآن حكماً على قواعد اللغة والنحو ولا نجعل تلك القواعد حكماً على القرآن[٢].

وفي رأى الدكتور الرافعي أن القرآن هو يدفع عن هذه اللغة العربية النسيان الذي لا يدفع عن شئ وهذا وحده إعجاز... تذكر به اللغة ولا يذكر هو بها وبذلك يحفظها[٣].

ويبدو واضحاً للعيان والتاريخ أن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي احتفظ بلغته الأصلية وحفظها على قيد الحياة وسيحفظها على مر الدهور وستموت اللغات الحية المنتشرة اليوم في العالم كما ماتت قبلها لغات حية كثيرة في سالف العصور إلا العربية فستبقى بمنجاة من هذا الموت وستبقى حية في كل زمان مخالفة لنواميس الطبيعة التي تسري على سائر لغات البشر ولا غرو فهي متصلة بالمعجزة القرآنية الأبدية[٤].

وبعد كل هذا ليس على اللغة العربية بعد القرآن أن تخاف على نفسها من الموت والفناء حتى لو فارقت الشفاه واللسان لأن المتكلم بها الله والكلام فيها هو كلام الله والملائكة وأهل الجنة الناجين ولو لم يكن القرآن حافظاً قواعدها ورابطاً مراسيها وحامي ألسنة الناطقين بها لأصابها ما أصاب غيرها من اللغات.

---

[١] ابراهيم الأبياري، تاريخ القرآن، ص ٤٥.
[٢] مباحث في علوم القرآن، ص ٢٥٨.
[٣] د. مصطفى الرافع، إعجاز القرآن، ص١٤.
[٤] انور الجندي، الإسلام والدعوات الهدامة، ص ٢٦٩.

كل لغات العالم يجري عليها قانون الموت والحياة ما عداها لأنها تعلو على سنة الموت بعد أن أفسحت لها الحياة مجال الدهور ومهما قرر علم اللغة من تطور اللغات في ألسنة البشر فالعربية منعمة بالسؤود والمجد في كلام الله السرمدي.

فلا اللهجات ولا اللكنات ولا التلحين والتصحيف والتحريف بجائز على لغة الله العلي وعلى الاستعمار ورجاله أن يعرفوا حدودهم وحدود علمهم عندما يواجهون لغة الله وأهل الجنة لأننا أمام معجزة ثانية خالدة بخلود القرآن[١]، وهكذا يكون القرآن معجزاً في نفسه من حيث هو كلام عربي[٢].

[١] ظ: ابراهيم الابياري، تاريخ القرآن، ص ٤٤.
[٢] ظ: د. مصطفى الرافعي، إعجاز القرآن، ص ١٥٧.

الفصل الرابع

ضوابط التفسير

الفصل الرابع: ضوابط التفسير

لكل علم من العلوم أو الفنون هناك ضوابط وتعليمات تكون اضاءات للعاملين في تلك العلوم والفنون، والتفسير فن من الفنون البشرية والانشغال به يحتاج الى ضوابط تعصم المفسر بقدر ما عن الانفلات عن فهم مراد الله تعالى في كتابه، فيكون المفسر على بينة في عمله.

وهذا بطبيعة الحال لا يعني ان هذه الضوابط التي تسالم عليها – على الاغلب – المفسرون في تفاسيرهم والعلماء في مؤلفاتهم عاصمة للمنشغلين بالتفسير، فمهما بدت أهميتها فهي لا تعدو ان تكون ضوابط بشرية من أول سماتها الخطأ، وقبل ذكر جملة من الضوابط التفسيرية يقتضى التنويه الى أمور اجدها من الأهمية بمكان، وهي:

– لا يعني عروبية القرآن أن ينحني لقواعد اللغة .. بل تنحني له قواعد اللغة .. وإذا كان يجوز للشاعر مع الفارق في التشبيه أن يتخطى قواعد اللغة في القصيدة ليجاري الوزن أو القافية .. أفلا يجوز لله أن يتخطى قواعد اللغة للإعجاز.. ثم الفتنة ..؟؟؟

– والله نفسه يقول: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾[1] فكيف نضع أنفسنا أوصياء أو مبررين لكلمات الله الواضحة المقصودة التي تحتوي على إعجاز ما..؟؟ لم ندركه بعد ويصدق القرآن وتكذب قواعد اللغة.

[1] سورة آل عمران، الآية ٨ .

– القرآن هو المهيمن على القواعد وليس العكس.. فلم يوجد في الجاهلية كتاب لقواعد اللغة .. وإنما وضع الكتاب بعد نزول القرآن .. والمفروض أن الأحدث هو الذي يخضع للأقدم .. هذا فضلاً عن الأقدس.. والمصحف هو الكتاب المدون الأقدم والأقدس.

الضابط الأول: معرفة موضوع القرآن وهدفه (المقاصد):

من أهمّ هذه القضايا التي تؤثر في فهم القرآن الكريم، معرفة الهدف من نزوله – اشارنا في الفصل الأول من هذا الكتاب الى مقاصد القرآن وعلاقتها بأصول التفسير –، لأنّ الهدف بطبيعة الحال يلقي بظلاله على المعنى القرآني، بحيث يكون إحدى القرائن العامّة المنفصلة التي تكتنف النص، فيقيم المفسر (بحوثه دائماً على أساس أن القرآن كتاب ألهي، أُنزل للهداية وبناء الإنسانية بأفضل طريقة ممكنة)[١].

فعندما يتحدّث القرآن الكريم عن الكتاب أنّه تبيان لكلِّ شيءٍ: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾[٢].

يمكن أن نفهم (كلّ شيءٍ) هنا على ضوء (الهدف من نزول القرآن)، فالمراد من التبيان هو التبيان الشامل لما يرتبط بهذا الهدف، وهكذا في الموارد الأُخرى.

إنّ معرفة الهدف القرآني سوف تساهم في تفسير مجموعةٍ من الظواهر القرآنيّة؛ حيث قد يختلف تفسير الظاهرة باختلاف تفسير الهدف من القرآن، كما في تكرار القصّة، الذي يتّجه بعضهم إلى تفسيره على أساسٍ بلاغي، بينما قد يكون الأساس التربوي هو التفسير الصحيح.

---

[١] محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية/ الموسوعة، ص٣٠٩ .
[٢] سورة النحل، الآية ٨٩ .

إذ ان موضوع القرآن هو الإنسان ذاته: هدايته الى الصلاح وإخراجه من الظلمات الى النور، قال تعالى: ﴿..يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ..﴾[١]، وقال تعالى: ﴿الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٣].

ففي هذه الآيات يشير القرآن الكريم إلى أنّ عمليّة التغير الجذري التي يعبّر عنها بعمليّة الخروج من أحد القطبين المتناقضين إلى القطب الآخر (النور والظلمات)، ليست فقط من الأهداف التي يحققها ويتّصف بها، بل هي الهدف من أصل نزول القرآن.

إن معرفة الموضوع والهدف لأي عمل هو الأساس لمعرفة الحقيقة والوصول الى المطلوب، فمعرفة موضوع القرآن أساس فهمه وإدراك معناه، وتجعل دارسة مدركاً لموضوعاته التي يتحدث عنها، وتكون عوناً له في تحقيق هدفه.

وخلاف ذلك يقع المفسر في الخطأ في فهم النص القرآني، فيقول أحدهم ممن يتمسك بظاهر النص: لو أن رجلاً أكل من مال اليتيم درهمين وجبت له النار؛ لأن الله تعالى أوعد على ذلك النار، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾[٤]، ولو قتل اليتيم أو بقر بطنه لم تجب له النار؛ لأن الله لم ينص على ذلك[٥].

---

[١] سورة البقرة، الآية ٢٥٧ .
[٢] سورة إبراهيم، الآية ١ .
[٣] سورة الحديد، الآية ٩ .
[٤] سورة النساء، الآية ١٠ .
[٥] ظ: د. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ٣٣٧/٢ .

وقال بعضهم: من قذف امرأة محصنة فعليه الحدّ، ومن قذف رجلاً محصناً فلا حدّ عليه؛ لأن الله تعالى نص على حد قاذف المحصنات في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾[١]، ولم ينص على حدّ قاذف المحصنين[٢].

ثانياً: دراسة القرآن قبل البدء في تفسيره:

لا بد للمفسر قبل البدء في التفسير من دراسة القرآن الكريم دراسة شاملة مفصلة يتعرف من خلالها على معاني القرآن كله، وتتكون لديه نظرة شاملة نحوه.

وهذه الضابطة شرط تفرضه طبيعة البحث العلمي، لأن المفهوم الذي (يكونه المفسِّر عن القرآن ككل يشكل القاعدة الأساسية لفهم تفصيلاته، ودرس مختلف جوانبه، فلا بد أن يُبنى التفسير على قاعدة سليمة ومفهوم صحيح عن القرآن، يتفق مع الاطار الإسلامي للتفكير، لكي يتجه اتجاهاً صحيحاً في الشرح والتحليل؛ وأما إذا أُقيم التفسير على أساس تقييم خاطئ للقرآن ومفهوم غير صحيح عنه، فسوف ينعكس انحراف القاعدة على التفصيلات)[٣] ومن ثم ينحرف في التحليل والاستنتاج.

فالذي يريد معرفة القرآن الكريم معرفة اجمالية لا تكفي قراءته ودراسته مرة أو مرتين فكيف بمن يريد ان يغوص في أعماقه، ويدرك أسراره، فلا شك انه بحاجة الى دراسته مرات ومرات، ويقبل عليه بلا ملل ولا كلل، وباعتناء وتدبر، بعيداً عن الصوارف والشواغل.

---

[١] سورة النساء، الآية ١٠ .
[٢] ظ: د. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ٣٣٨/٢ .
[٣] محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية/ الموسوعة، ص٣١٠ .

ثالثاً: الإلمام بعادات العرب في الجاهلية:

العادة في الاصطلاح: هي (ما استمر الناس عليه على حكم المعقول، وعادوا إليه مرَّة بعد أخرى)[١]. وأوضح منه مَن عرَّفها: بالسلوك المتكرر الذي تمارسه جماعة من الناس[٢].

إن على المفسر ان يكون ملماً بعادات العرب في الجاهلية مطلعاً على أقوالهم، متعرفاً على أفعالهم، واقفاً على أحوالهم الاجتماعية وحروبهم وتاريخهم وأديانهم. ذلك اننا نجد في القرآن الكريم آيات تتعرض الى بعض أمورهم، فإذا لم يكن المفسر عارفاً بأحوالهم حالة التنزيل لم يستطع ان يفهم معاني الآيات حق الفهم، ولا ان يدرك أثر القرآن العظيم في تغيير حياتهم، وما كانوا عليه من عادات فاسدة.

ويوضح ذلك الأمثلة الآتية:

أ) قول الله تعالى: ﴿**وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ**﴾[٣] حيث أمر الله بإتمام الحج دون الأمر بأصل الحج، لأنهم كانوا قبل الإسلام آخذين به، فهو من أشهر العبادات عندهم، وهو مما ورثوه عن شريعة إبراهيم عليه السلام كما حكى الله ذلك بقوله: ﴿**وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ**﴾[٤]، لكن بتغيير بعض الشعائر، فجاء الأمر بإتمام ذلك. فـ(العرب هم أقدم أمة عرفت عندها عادت الحج، وهم يعتقدون أن زيارة الكعبة سعي لله تعالى)[٥].

---

[١] الجرجاني، التعريفات، ص١٠٤ .
[٢] ظ: محمد ناصر الماجد، عادات أهل الجاهلية ـ دراسة موضوعية في ضوء القرآن الكريم ـ، ص١٤..
[٣] سورة البقرة، الآية ١٩٦ .
[٤] سورة الحج، الآية ٢٧ .
[٥] ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ٢١٤/٢ .

ب) قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ﴾[١] فعين هذا الكوكب لكون العرب عبدته، وهم خزاعة، ابتدع لهم ذلك أبو كبشة، ولم تتبع العرب من الكواكب غيرها، فلذلك عينت[٢].

ملحوظة: لا يعني إقرار القرآن الكريم لتلك العادات أن يُفسر القرآن بمقاييس غيره من منتجات البشر بل (نستطيع على أساس هذه القاعدة الصحيحة ان نفهم ذلك الاقرار من القرآن فهماً صحيحاً، إذ ليس من الضروري لكتاب هداية من هذا القبيل ان يشجب كل الوضع الذي كانت الإنسانية عليه قبله، لأن الإنسانية مهما تفسد وتنحرف عن طريق الفطرة والاهداف الحقيقية الكبرى فهي لا تفسد كلها)[٣].

رابعاً: معرفة عُرف القرآن والمعهود من معانيه:

إن للقرآن الكريم عُرف خاص ومعان وعهود، لا يناسبه تفسير بتغييرها، ولا يجوز تفسير بتغيير عرف والمعهود من معانيه. قال الطبري: (إنما يوجه الكلام الى الأغلب المعروف في استعمال الناس من معانيه دون الخفي، حتى تأتي بخلاف ذلك ما يوجب صرفه الى الخفي من معانيه، حجة يجب التسليم لها من الكتاب، أو خبر عن الرسول ﷺ أو اجماع من أهل التأويل)[٤].

فمعرفة عرف القرآن في ألفاظه أمر لا بد منه في تفسير كلام الله تعالى، فإن كثير من الألفاظ اشتهرت بمعان معينة، ولكنها جاءت في القرآن بمعنى آخر، ومن ذلك مثلاً لفظ (التأويل) اشتهر بمعنى التفسير مطلقاً أو على وجه مخصوص،

---

[١] سورة النجم، الآية ٤٩ .

[٢] ظ: الطبرسي، مجمع البيان، ٢٢٠/٩. وأبو كبشة أحد أجداد النبي ﷺ من قبل أمهاته، وكان المشركون يسمون ﷺ ابن أبي كبشة لمخالفته إياهم في الدين، كما خالف أبو كبشة غيره في عبادة الشعرى.

[٣] محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية / الموسوعة، ص٣١٠ .

[٤] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٥٠٩/٧ .

ولكن جاء في القرآن بمعنى آخر كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾[١] حيث معناه: عاقبة ما وعد الله في القرآن من خير وشر يوم القيامة[٢].

وأيضاً يوجد ألفاظ عرفت بالقرآن بمعنى معين، ولكن حدث بعد ذلك ان اصطلح على معنى جديد، فلا ينبغي حمل القرآن عليه، كلفظ (الولي) معناه في القرآن – غالباً –: الأمير والناصر، والموالي وأولياء الله: أنصار الدين من أهل الإيمان والتقوى. وقد اصطلح بعد ذلك على ان الأولياء صنف من الناس تظهر على ايديهم خوارق، ويتصرفون في الكون بما وراء الأسباب، ولم يعرف الصحابة هذا المعنى[٣].

ويدخل في هذا ما حوله بعض المعاصرين من تفسيرهم لبعض ألفاظه بما لم يكن معهوداً ومعروفاً في اللسان العربي، كتفسير محمد عبده للطير الابابيل الوارد في سورة الفيل: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾[٤] بأنه من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض[٥].

قال محمد حسين الذهبي راداً عليه: (وهذا ما لا نقره عليه، لأن هذه الجراثيم التي اكتشفها الطب الحديث لم يكن للعرب علم بها وقت نزول القرآن، والعربي إذا سمع لفظ حجارة في هذه السورة لا ينصرف ذهنه الى تلك الجراثيم بحال من الأحوال، وقد جاء القرآن باللغة العربية وخاطبهم بما يعهدون ويألفون)[٦].

---

[١] سورة الأعراف، الآية ٥٣.
[٢] ظ: البغوي، معالم التنزيل، ١٦٤/٢.
[٣] ظ: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ٢١/١.
[٤] سورة الفيل، الآية ٣.
[٥] ظ: تفسير جزء عم، ص١٦٢.
[٦] التفسير والمفسرون، ٥٦٩/٢.

فعلى هذا يجب على المفسر ان يفسر بحسب عرف القرآن ومعهوده، وما كان مستعملاً في عصر نزوله.

خامساً: مراعاة دلالات الألفاظ ولوازمها:

إن على المفسر ان يراعي ما دلت عليه الألفاظ، وما تضمنته المعاني، وما فيها من لوازم، ففي القرآن معان تضمنتها الآيات نصاً، وهناك معنى تلزم منها، وهناك معان تتقدمها وتتوقف عليها، ومراعاة ذلك توصل المفسر الى الدقة في فهم كتاب الله، وتؤدي به الى الشمول في فهم معناه، وعدم قصره على معنى واحد فقط.

ويوضح هذه القاعدة السعدي (ت:١٣٧٦هـ) بقوله: (كما ان المفسر للقرآن يراعي ما دلت عليه الألفاظ مطابقة، وما دخل في ضمنها، فعليه ان يراعي لوازم تلك المعاني وما تستدعيه من المعاني التي لم يعرج في اللفظ على ذكرها).. ثم يبين الطريق الموصلة الى ذلك بقوله: (والطريق الى سلوك هذا الأصل النافع: أن تفهم ما دل عليه اللفظ من المعاني، فإذا فهمتها فهماً جيداً ففكر في الأمور التي تتوقف عليها ولا تحصل بدونها، وما يشترط لها. وكذلك فكر فيما يترتب عليها، وما يتفرع عنها، وينبني عليها، وأكثر من هذا التفكير وداوم عليه حتى يصير لك ملكة جيدة في الغوص على المعاني الدقيقة، فإن القرآن حق، ولازم الحق حق، وما يتوقف على الحق حق، وما يتفرع عن الحق حق، ذلك كله حق ولا بد.

فمن وفق لهذه الطريقة، واعطاه الله توفيقاً ونوراً انفتحت له في القرآن العلوم النافعة، والمعارف الجليلة، والأخلاق السامية، والآداب الكريمة العالية)[١].

ويوضح ذلك المثال الآتي:

---

[١] القواعد الحسان لتفسير القرآن، ص٣١.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾[١]، قال ابن كثير في معناها: (أمر منه تعالى بالحكم بالعدل بين الناس)[٢]، وقال الشيخ السعدي: (وإذا فهمت ان الله أمر بالحكم بين الناس بالعدل استدللت بذلك على ان كل حاكم بين الناس في الأمور الكبار والصغار لا بد ان يكون عالماً بما يحكم به:

فإن كان حاكماً عاماً فلا بد ان يحصل من العلم ما يؤهله لذلك.

وان كان حاكماً ببعض الامور الجزئية كالشقاق بين الزوجين حيث أمر الله ان نبعث حكماً من أهله وحكماً من أهلها، فلا بد ان يكون عارفاً بهذه الأمور التي يريد ان يحكم فيها ويعرف الطريق التي توصله الى الصواب منها.

وبهذا بعينه تستدل على وجوب طلب العلم، وانه فرض عين في كل أمر يحتاجه العبد، فإن الله أمرنا بأوامر كثيرة، ونهانا عن أمور كثيرة، ومن المعلوم ان امتثال أمره واجتناب نهيه يتوقف على معرفة المأمور به والمنهي عنه وعلمه. فكيف يتصور ان يمتثل الجاهل الأمر الذي لا يعرفه؟ او يتجنب الأمر الذي لا يعرفه؟

وكذلك أمره لعباده ان يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر يتوقف على العلم بالمعروف والمنكر، ليأمروا بهذا وينهوا عن هذا، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وما لا يحصل ترك المنهي عنه إلا به فهو واجب.

فالعلم بالإيمان والعمل الصالح متقدم على القيام به، والعلم بضد ذلك متقدم على تركه، لاستحالة ترك ما لا يعرفه العبد قصداً وتقرباً وتعبداً حتى يعرفه ويميزه عن غيره)[٣].

---

[١] سورة النساء، الآية ٥٨.
[٢] تفسير القرآن العظيم، ٥١٦/١.
[٣] القواعد الحسان لتفسير القرآن، ص٣٣ - ٣٥.

وهكذا نلحظ كيف دلت هذه الآية على معنى لم يتضح من معناها الأول الظاهر. وحسبي ان هذا لا يؤتاه إلا من رزق حسن التدبر، وسعة الأفق، وسلامة الفكر وعمقه، وقبل هذا الفقه في الدين والبصيرة فيه.

سادساً: مراعاة معرفة معاني الافعال من خلال ما تتعدى به:

إن على المفسر أن يعرف معاني الأفعال لا من خلال أفرادها فحسب، بل من خلال ما تتعدى به، فالأفعال يختلف معناها بحسب ما تتعدى به.

مع الأخذ بنظر الاعتبار الآيات المتشابه واعادتها الى المحكم من الكتاب العزيز[١]، وكذلك ما تمت الاشارة إليه من ان القرآن حاكم على قواعد اللغة لا محكوم بها بالمطلق[٢].

ومن أمثلة هذه الضابطة مثلاً الفعل (نظر): إذا عدي بنفسه فمعناه التوقف والانتظار، قال تعالى: ﴿**انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ**﴾[٣].

وإذا عدي بـ(الى) فهو المشاهدة بالأبصار، قال تعالى: ﴿**انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ**﴾[٤].

---

[١] وهذه الضابطة غير عاملة في قوله تعالى: (**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**) آية ٢٢ – ٢٣ من سورة القيامة، وذلك كونها من الآيات المتشابهة ويجب ارجاعها الى المحكم في قوله تعالى: (**لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ**) آية ١٠٣ من سورة الانعام. وكذلك في قوله تعالى: (**ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ**) آية ٢ من سورة الرعد.

[٢] ظ: آخر الفصل الرابع من هذا الكتاب.

[٣] سورة الحديد، الآية ١٣.

[٤] سورة الانعام، الآية ٩٩.

وإذا عدي بـ(في) فهو التفكر والاعتبار، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[١].

وأيضاً الفعل (اسْتَوَىٰ): إذا لم يُعدَّ دل على الكمال كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ﴾[٢].

وإذا عدي بـ(عَلَى) فمعناها العلو والارتفاع، كقوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ﴾[٣].

وإذا عدي بـ(إلى) دل على القصد كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾[٤].

سابعاً: مراعاة سياق الآية والآيات قبلها وبعدها:

والسياق هو: (عبارة عن قرينة متّصلة بالكلام، تجعله كلاماً واحداً مترابطاً ومتناسباً، وتوجب الظهور فيما يراد به المعنى)[٥]؛ لذا على المفسر ان يراعي سياق الآية ويربطها ببعضها، كما عليه ان يربط الآية بالآيات قبلها وبعدها. فقطع الآية عن سياقها يوقع في الغلط والانحراف. فلا يجوز ان نقطع الآية عن ما قبلها أو ما بعدها ثم نشرحها، ان ذلك يؤدي الى اسوء النتائج في كثير من الاحيان، وكثيراً ما دخل الانحراف في التفسير من هذا الباب.

---

[١] سورة الاعراف، الآية ١٨٥ .
[٢] سورة القصص، الآية ١٤ .
[٣] سورة الزخرف، الآية ١٣ .
[٤] سورة البقرة، الآية ٢٩ .
[٥] محمد فاكر الميبدي، قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، ص٢٨٠ .

فمثلاً قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾[١]، لا يجوز ان نفسرها مقطوعة عن سياقها وما بعدها، إذ لا يتبين المعنى الحق فيها إلا بما بعدها.

وقال الزركشي: (ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له، وإن خالف لا أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز)[٢]. وقد اثنى على الراغب الاصفهاني في كتابه (مفردات القرآن) لاهتمامه بهذا الجانب، فقال عند حديثه عن القسم الذي لم يرد تفسيره نقلاً عمن يعتبر تفسيره: (وطريق التوصل الى فهمه: النظر الى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق، وهذا يعتني به الراغب كثيراً في كتاب (المفردات) فيذكر قيداً زائداً على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ، لأنه اقتنصه من السياق)[٣].

وقال عند حديثه عن كتب غريب القرآن: (ومن احسنها كتاب (المفردات) للراغب، وهو يتصيد المعاني من السياق، لأن مدلولات الألفاظ خاصة)[٤].

ثامناً: النظر في مجموع الآيات ذات الموضوع الواحد قبل البدء في تفسيرها:

إن على المفسر أن يستحضر الآيات ذات الموضوع الواحد ويدرسها مجتمعة، ويحدد دلالات الألفاظ القرآنية من خلال نظرة عامة جامعة. ذلك أن قطع الآية عن مثيلاتها أو نظيراتها يوقع في الغلط في التفسير.

لذا لا بد أن يقوم المفسر بتتبع الآيات التي تناولت موضوعاً ما من كل القرآن، ثم يفسر الآية محل بحثه، وهذا ما عرف لدى المفسرين بتفسير القرآن بالقرآن.

---

[١] سورة الماعون، الآية ٤ .
[٢] البرهان في علوم القرآن، ٣١٧/١ .
[٣] المصدر نفسه، ١٧٢/٢ .
[٤] المصدر نفسه، ٢٩١/١ .

ومثالنا في ذلك ما نلحظه في تفسير الشيخ الطوسي (ت:٤٦٠هـ) لكلمة الرب في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١]. قال: أما الرب فله معنان في اللغة، فيسمي السيد المطاع رباً، ومنه قوله تعالى: ﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾[٢] يعني سيده، ومنه قيل: رب ضيعة، إذا كان يحاول اتمامها، و﴿الرَّبَّانِيُّونَ﴾[٣] من هذا من حيث كانوا مدبرين لهم.

وقوله: (رَبِّ الْعَالَمِينَ) أي المالك لتدبيرهم والمالك للشيء يسمي ربه، ولا يطلق هذا الاسم إلا على الله، أما في غيره فيقيد، فيقال: رب الدار، وقيل: انه مشتق من التربية، ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ﴾[٤].

ومتي قيل في الله: إنه رب بمعني انه سيد فهو من صفات ذاته، وإذا قيل: بمعني انه مدبر مصلح، فهو من صفات الافعال[٥].

ومثالنا الآخر ما قاله محمد الأمين الشنقيطي[٦] في قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾[٧] لم يبين هنا هذا الذي سئل موسى من قبل ما هو؟ ولكنه بينه في موضع آخر، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً﴾[٨].

---

[١] سورة الفاتحة، الآية ٢ .
[٢] سورة يوسف، الآية ٤١.
[٣] سورة المائدة، الآية ٦٣.
[٤] سورة النساء، الآية ٢٣.
[٥] ظ: التبيان في تفسير القرآن، ١٠٢/١.
[٦] ظ: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ٧٣/١.
[٧] سورة البقرة، الآية ١٠٨.
[٨] سورة النساء، الآية ١٥٣.

تاسعاً: مراعاة الربط بين الآيات وخواتيمها:

إن خواتم الآيات مرتبطة بما جاءت به، وتدل على المراد بها. والمتتبع للآيات وما ختمت به يجد بينها ارتباطاً وتناسباً واضحاً، وهذا يدل على ان الشرع والأمر والخلق كله صادر عن اسماء الله وصفاته ومرتبط بها، ولهذا نجد ان آية الرحمة مختومة بصفات الرحمة، وآية العقوبة والعذاب مختومة بأسماء العزة والقدرة والحكمة والعلم والقهر[١].

لذا على المفسر ان يراعي الصلة والمناسبة بين موضع الآية وما تتحدث عنه وبين خاتمتها.

قال الزركشي متحدثاً عن أئتلاف الفواصل مع ما يدل عليه الكلام: (التمكين: وهو ان تمهد قبلها – أي الفاصلة – تمهيداً تأتي به الفاصلة ممكَّنة في مكانها، مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافذة ولا قلقة، متعلقاً معناها بمعنى الكلام كله تعلقاً تاماً، بحيث لو طرحت اختل المعنى واضطرب الفهم. وهذا الباب يطلعك على سر عظيم من اسرار القرآن، فشدد يديك به)[٢].

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[٣]. وقوله تعالى: ﴿ **وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[٤]، حيث ختمتا باسمين كريمين هما: السميع والعليم، فالتعقيب بهما دلّ على أن الاستعاذة باللسان فقط لا تكفي في دفع نزغ الشيطان، بل لا بد من تواطؤ القلب مع اللسان، لأن الله تعالى هو السميع لما تذكر بلسانك، العليم لما تضمر في

---

[١] ظ: القواعد الحسان لتفسير القرآن، ص٥٩ .
[٢] الزرقاني، البرهان في علوم القرآن، ٧٩/١ .
[٣] سورة الاعراف، الآية ٢٠٠ .
[٤] سورة فصلت، الآية ٣٦ .

قلبك. قال الرازي عند تفسيره للآية الأولى: (﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يدل على ان الاستعاذة باللسان لا تفيد إلا إذا حضر في القلب العلم بمعنى الاستعاذة، فكأنه تعالى قال: اذكر لفظ الاستعاذة بلسانك فإني سميع، واستحضر معاني الاستعاذة بعقلك وقلبك فإني عليم بما في ضميرك. وفي الحقيقة القول اللساني بدون المعارف القلبية عديم الفائدة والأثر)[١].

وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢] حيث ختمها باسمين كريمين هما: عزيز وحكيم، فالتعقيب بهما مناسب للآية أي: ان الله عز وحكم فقطع يد السارق، وعز وحكم فعاقب المعتدين شرعاً وقدراً وجزاءاً.

قال الاصمعي: (كنت أقرأ سورة المائدة وبجنبي أعرابي فقرأة هذه الآية فقلت: نكالاً من الله والله غفور رحيم – سهواً – فقال الاعرابي: كلام من هذا؟ قلت: كلام الله، قال: أعد، فأعدت: والله غفور رحيم. فقال: ليس هذا كلام الله، فتنبهت وقرأت (وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) فقال: أصبت هذا كلام الله، قلت له: اتقرأ القرآن؟ قال: لا. قلت: فمن أين علمت اني اخطأت؟ قال: يا هذا، عز فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع)[٣].

---

[١] مفاتيح الغيب، ١٠٣/١٥ .
[٢] سورة المائدة، الآية ٣٨ .
[٣] الواحدي، تفسير الوسيط، ١٨٥/٢ .

عاشراً: الأصل الحقيقة في كلام الله تعالى حتى ترد القرينة على المجاز:

يجب على المفسر ان يحمل نصوص القرآن الكريم على حقيقتها، وأن لا يعدل عنها وله فيها محمل صحيح، وذلك بناء على ان الأصل في الكلام حمله على الحقيقة.

قال ابن عباس في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾[١]: (هو ان يوضع الكلام على غير موضعه)[٢].

وقال ابن عبد البر(ت: ٤٦٣هـ): (وحمل كلام الله تعالى وكلام نبيه ﷺ على الحقيقة أولى بذوي الدين والحق؛ لأنه يقص الحق، وقوله الحق، تبارك وتعالى علواً كبيراً)[٣].

وقال الطبري: (وغير جائز إحالة ظاهر التنزيل الى باطن التأويل لا دلالة عليه من نص كتاب، ولا خبر لرسول الله ﷺ، ولا اجماع من الأمة، ولا دلالة من بعض هذه الوجوه)[٤].

وعند تعذر الحقيقة يمكن حمل الكلام على المجاز وحكى الرازي اجماع العلماء على عدم جواز صرف الكلام عن الحقيقة إلا بتعذره فقال: (وأجمع العلماء على انه لا يجوز صرف الكلام الى المجاز إلا بعد تعذر حمله على الحقيقة)[٥].

---

[١] سورة فصلت، الآية ٤٠ .
[٢] الطبري، جامع البيان في تفسير آي القرآن، ١٢٣/٢٤ .
[٣] التمهيد، ١٦/٥ .
[٤] المصدر نفسه، ١٢/١١.
[٥] مفاتيح الغيب، ٣-/٩٤ .

قال محمد رضا المظفر: (ما إذا شك في إرادة المعنى الحقيقي أو المجازي من اللفظ، بأن لم يعلم وجود القرينة على إرادة المجاز مع احتمال وجودها، فيقال حينئذ: "الأصل الحقيقة" أي الأصل أن نحمل الكلام على معناه الحقيقي، فيكون حجة فيه للمتكلم على السامع وحجة فيه للسامع على المتكلم)[١].

الحادي عشر: معرفة المشكل في القرآن:

يقصد بالمشكل: ما أشكل فهمه على الناس، وسمي بذلك؛ لأنه دخل شكل غيره فأشبهه وشاكله[٢]. وقد يسميه البعض: موهم الاختلاف والتعارض بين الآيات[٣].

ولا شك أن القرآن منزه عن ذلك، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾[٤]، ولكن قد يقع للناظر ابتداء ما يظنه اختلافاً بين الآيات وهو ليس كذلك، لذا وجب على المفسر ان يطيل النظر في الآيات، ويتعرف على المواضع التي أشكل فهمها على الناس، وعلى ما قد يظن أن فيها تعارضاً. قال الشيخ السعدي: (الآيات القرآنية التي يفهم منها قصار النظر التعارض: يجب حمل كل نوع منها على ما يليق ويناسب المقام كل بحسبه)[٥] ثم ضرب أمثلة لذلك.

١- أصول الفقه، ٣١/١.
[٢] ظ: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ١٩٢.
[٣] ظ: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ٨٨/٣.
[٤] سورة النساء، الآية ٨٢.
[٥] القواعد الحسان لتفسير القرآن، ص٣٧.

ومن أمثلة هذا ما حكاه الزركشي عن ابن سريج (ت: ٣٠٦هـ)[١] انه سأل رجل بعض العلماء عن قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾[٢]، فأخبر أنه لا يقسم بهذا البلد، ثم أقسم به في قوله تعالى: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾[٣]، فقال ابن سريج:

أي الأمرين أحب اليك؟ اجيبك ثم اقطعك، أو أقطعك ثم أجيبك؟

- فقال: بل أقطعني ثم أجبني.

- فقال: أعلم ان هذا القرآن نزل على رسول الله ﷺ بحضرة رجال وبين ظهراني قوم، وكانوا احرص الخلق على أن يجدوا فيه مغمزاً، وعليه مطعناً، فلو كان هذا عندهم مناقضه لتعلقوا به، واسرعوا بالرد عليه، ولكن القوم علموا وجهلت، فلم ينكروا منه ما انكرت. ثم قال له: ان العرب قد تدخل (لا) في اثناء كلامها وتلغي معناها، وانشد فيه أبياتاً[٤].

إن على المفسر أن يفهم ويقرر ابتداء بأنه لا تعارض بين آيات القرآن الكريم، وما قد يظن انه من ذلك فإنه ناتج عن سوء فهم وعجلة في الحكم، وتفسير للقرآن على غير أصوله.

حكى الزركشي عن القاضي أبي بكر في التقريب قوله: (لا يجوز تعارض آي القرآن، والآثار، وما توجبه أدلة العقل، فلذلك لم يجعل قوله تعالى: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[٥] معارضاً لقوله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ

---

[١] هو أبو العباس أحمد بن عمر بن سُريج البغدادي، القاضي الشافعي، إمام الشافعية في عصره، ولد سنة ٢٤٩هـ في بغداد، وتوفي فيها، ولحق أصحاب سفيان بن عيينة، ووكيع، درس الفقه علي يد أبى القاسم الأنماطي الشافعي، صاحب المزني.

[٢] سورة البلد، الآية ١.

[٣] سورة التين، الآية ٣.

[٤] البرهان في علوم القرآن، ٤٦/٢.

[٥] سورة الزمر، الآية ٦٢.

[٦] سورة العنكبوت، الآية ١٧.

الطِّينِ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[٢]، لقيام الدليل العقلي أنه لا خالق غير الله تعالى فيتعين تأويل ما عارضه. فيؤول قوله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ﴾ بمعنى (تكذبون)، لأن الافك نوع من الكذب، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ﴾ أي: (تصور)[٣].

ويفيد في معرفة هذا الموضوع ما خلفه لنا أصحاب الاختصاص من مؤلفات في هذا النوع مثل:

- إزالة الشبهات عن الآيات والأحاديث المتشابهات، ابن اللبان الاسعردي (ت:٧٤٩هـ)[٤].
- أضواء على متشابهات القرآن، لخليل ياسين[٥].
- البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، الكرماني (ت:٥٠٥٠هـ)[٦].
- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة (ت:٢٧٦هـ) [٧].
- مشكل القرآن الكريم؛ بحث حول استشكال المفسرين لآيات القرآن الكريم؛ أسبابه، وأنواعه، وطرق دفعه، تأليف: د. عبد الله بن حمد المنصور[٨].
- المشكل وأثره في فهم منهج القرآن الكريم، إعداد: رياض الشرعة[٩].

---

[١] سورة المائدة، الآية ١١٠.
[٢] سورة المؤمنون، الآية ١٤.
[٣] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٥١/٢.
[٤] تحقيق: فريد مصطفى سلمان، دار طويق، ١٩٩٥م..
[٥] من منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط الثانية، ١٩٨٠م.
[٦] مركز الكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.
[٧] تحقيق: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ٢٠٠٦م.
[٨] دار النشر: دار ابن الجوزي، ١٤٢٦هـ.
[٩] رسالة ماجستير في التفسير، جامعة آل البيت، كلية الدراسات الفقهية والقانونية، ٢٠٠٦م.

الثاني عشر: معرفة الأمور التي يندفع بها الإشكال عن التفسير:

قد يحصل إشكال عند تفسير آية من كتاب الله تعالى، ومن ثم فلا بد من معرفة الأمور التي تدفع هذا الإشكال وتزيله وهي سبعة أمور[١]:

١- **ردُّ الكلمة لضدها**؛ مثل: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾[٢]؛ أي: ولا كفورًا، وطريقته أن يردّ النهي إلى ضدِّه، وهو الأمر، فيكون المعنى: أَطِع منهم آثمًا أو كفورًا؛ أي: أَطِع أحدهما، وعلى هذا يكون معناه في النهي، ولا تُطع واحدًا منهما.

٢- **ردُّ الكلمة إلى نظيرها**، ومثاله في كفارة اليمين: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾[٣]. فإن الرقبة هنا مُطلقة، ولو تتبَّعنا نظائر ذلك، لوجَدناها قد قُيِّدت بالإيمان.

٣- **النظر فيما يتَّصل بالآية**؛ من خبرٍ أو شرطٍ، أو إيضاح معنًى آخَر؛ مثاله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾[٤]. فبهذا القدر يقع إشكالٌ، وبِتَبْيِنَته من الفجر قد زالَ.

٤- **دَلالة السياق**، فإنها تُرشد إلى تبيُّن المُجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وهو من أعظم القرائن الدالة على مُراد المتكلم، فمَن أهمَله، غَلِط في نظيره،

---

[١] ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١٩٩/٢.
[٢] سورة الإنسان، الآية ٢٤.
[٣] سورة المائدة، الآية ٨٩.
[٤] سورة البقرة، الآية ١٨٧.

وغالَط في مناظراته، وانظُر إلى قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[١]، كيف نجد السياق يدلُّ على أنه الذليل الحقير؟

٥- **ملاحظة النقل عن المعنى الأصلي**، وذلك أنه قد يُستعار الشيء لمُشابهةٍ، ثم يُستعار من المُشابه لمُشابهة المُشابه، ويتباعد عن المسمَّى الحقيقي بدرجات، فيذهب عن الذِّهن الجهة المُسوِّغة لنقْله من الأوَّل إلى الآخر، وطريقة معرفة ذلك بالتدريج؛ كقوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢].

فأصل معنى (دون) للمكان الذي أنزلَ من مكان غيره، منه الشيء الحقير، ثم استُعير للتفاوت في الأحوال والرُّتب، فقيل: زيد دون عمرو في العلم والشرف، ثم اتَّسَع، فاسْتُعير في كلِّ ما تَجاوَز حدًّا إلى حدٍّ، وتَخطَّى حُكمًا إلى حُكمٍ آخَر؛ كما في الآية، فيكون المعنى لا تَتجاوَزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين.

٦- **معرفة سبب النزول:** فإن معرفة سبب نزول الآية يزيل الإشكال عنها ويوضح المراد منها، ومثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[٣]، فظاهر لفظها لا يقتضي أن السعي فرض، لأن رفع الجناح يفيد الإباحة لا الوجوب.

---

[١] سورة الدخان، الآية ٤٩.
[٢] سورة آل عمران، الآية ٢٨.
[٣] سورة البقرة، الآية ١٥٨. أما سبب نزولها: عن أبي عبدالله (عليه السلام) في حديث حج النبي (صلى الله عليه وآله): (أنّه (عليه السلام) بعدما طاف بالبيت وصل ركعتيه، قال (صلى الله عليه وآله): إن الصفا والمروة من شعائر الله، فابدأ بما بدأ الله عزّ وجل به، وإن المسلمين كانوا يظنون أن السعي بين الصفا والمروة شيء صنعه المشركون فأنزل الله عزّ وجل: (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللهِّ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا). الكليني، الكافي، ٢٤٥/٤.

٧- **السلامة من التدافُع**، وذلك كقوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ**﴾[١]، إذ تَحمل معنيين هما:

الأول: أنَّ الطوائف لا تَنفر من أماكنها وبَواديها جُملةً، بل بعضهم يَنفر؛ لتحصيل التفقُّه بوفودهم على رسول الله ﷺ وإذا رجَعوا إلى قومهم، أعلَموهم بما حصَل لهم.

الثاني: أن يكون المراد بالفئة النافرة: هي مَن تسير مع الرسول ﷺ في مَغازيه وسراياه، والمعنى: ما كان أن يَنفروا أجمعين مع الرسول ﷺ في مَغازيه؛ لتحصيل المصالح المتعلِّقة ببقاء مَن يبقى في المدينة، والفئة النافرة مع رسول الله ﷺ تتفقَّه في الدين؛ بسبب ما يُؤْمَرون به ويَسمعون منه ﷺ فإذا رجَعوا إلى مَن بَقِي بالمدينة، أعلَموهم بما حصَل لهم في صُحبة الرسول ﷺ.

والأقرب من هذين الاحتمالين هو الأوَّل؛ لأن الثاني يُخالف ظاهر قوله تعالى: ﴿**فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا**﴾[٢]، فإن ذلك يَقتضي؛ إمَّا طلب الجميع بالنفير، أو إباحته، وذلك في ظاهره يُخالف النهي عن نفْر الجميع، وإذا تعارَض مجملان، يَلزم من أحدهما معارضته، ولا يَلزم من الآخر، فالثاني أوْلَى.

---

[١] سورة التوبة، الآية ١٢٢.
[٢] سورة النساء، الآية ٧١.

الثالث عشر: فهم حقيقة الخلاف في تفسير القرآن عند المتقدمين:

يجب على المفسر ان يفهم ما يحكيه المصنفون في التفسير من أقوال في معنى الآية، والهدف من ذلك.

فأكثر الأقوال التي نُقلت إلينا تسير في اتجاه واحد، لاستيعاب معنى الآية، فإذا فسرها أحدهم بنوع فسرها الآخر بنوع آخر، فكل واحد عبر عن معنى في الآية بنوع غير النوع الذي ذكره الآخر، وهذا ما يسمى لدى العلماء بـ(اختلاف التنوع).

وقد اشار الى وجوده سفيان بن عيينه حيث قال: (ليس في تفسير القرآن اختلاف، إنما هو كلام جامع يراد منه هذا وهذا)[١] وابو الدرداء إذ قال: (لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً)[٢]. كما ان الطبري كثيراً ما يجمع أقوال الصحابة والتابعين في معنى عام يشملها كلها، وهذا واضح في جُل تفسيره.

وبين الزركشي ما يجب على المفسر ملاحظته عند نقل أقوال المفسرين بقوله: (يكثر في معنى الآية أقوالهم واختلافهم، ويحكيه المصنفون للتفسير بعبارات متباينة الالفاظ، ويظن من لا فهم له عنده أن في ذلك اختلافاً فيحكيه أقوالاً، وليس كذلك بل يكون كل واحد منهم ذكر معنى معنى ظهر من الآية، وإنما اقتصر عليه، لأنه اظهر عند ذلك القائل، أو لكونه أليق بحال السائل، وقد يكون بعضهم يخبر عن الشئ بلازمه ونظيره، والآخر بمقصوده وثمرته، والكل يؤول الى معنى واحد غالباً، والمراد الجميع، فليتفطن لذلك، ولا يفهم من اختلاف العبارات اختلاف المراد، كما قيل:

عبارتنا شتى وحسنك واحد وكل الى ذاك الجمال يشير

---

[١] الشوكاني، فتح القدير، ١٢/١.
[٢] المصدر نفسه.

ثم قال: (وكثيراً ما يذكر المفسرون شيئاً في الآية على جهة التمثيل لما دخلت الآية، فيظن بعض الناس انه قصر الآية على ذلك)[١].

وأسباب الاختلاف في التفسير عديدة، اغلبها يعود الى الأسباب الآتية[٢]:

١- دخول عالم القرآن بمقررات فكرية سابقة.
٢- الضعف في الحديث رواية ودراية.
٣- التساهل في رواية الإسرائيليات والروايات غير الثابتة.
٤- الاختلاف في القراءات.
٥- احتمال الإحكام أو النسخ.
٦- احتمال العموم أو الخصوص.
٧- الاختلاف في وجوه الإعراب.
٨- الاختلاف في علاقة الآية بآية أخرى.
٩- الاشتراك اللفظي.
١٠- الاختلاف العقدي.

إذن على المفسر ان يفهم الأقوال التي تذكر في تفسير الآيات، وما يكون فيها من خلاف في الظاهر، إذ ان بعض المفسرين عن المراد في تفسير الآيات بعبارات غير عبارات الآخر، وهي كلها تدل على معنى واحد. وبعضهم يذكر من الاسم العام بعض انواعه على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع لا على سبيل

---

[١] البرهان في علوم القرآن، ١٥٩/٢.
[٢] ظ: خالد العك، أصول التفسير وقواعده، ص٨٣، د. محمد كاظم الفتلاوي، مناهج المفسرين، ص٣٥، قاسم القيسي، تاريخ التفسير، ص٢٣، د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، أصول التفسير ومناهجه، ص٥٦، د. مسلم الطيار، التحرير في أصول التفسير، ص٢٢٩..

الحصر والتقييد، وبعضهم يذكر معنى والاخر يذكر معنى آخر ولفظ الآية يحتمل كلا المعنين كاللفظ المشترك لأكثر من معنى[١].

فعلى المفسر ان يعرف كل ذلك ويتدبره قبل ان يتناول الآيات بالتفسير والتحليل فإنه ادعى الى الوصول الى المعنى السليم.

الرابع عشر: معرفة الكليات والأفراد في القرآن الكريم:

يقصد بالكليات: الألفاظ أو الاساليب الواردة في القرآن الكريم على معنى مطرد.

أما الأفراد فيقصد بها: الالفاظ أو الاساليب التي أتت في القرآن الكريم بمعنى مفرد غير المعنى الذي تستعمل فيه عادة.

ومثال ذلك: ما قاله ابن فارس: (كل ما في القرآن من ذكر آية: ﴿**الْبُرُوجِ**﴾ فإنها الكواكب، كقوله تعالى: ﴿**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ**﴾[٢]، إلا التي في سورة النساء ﴿**وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ**﴾[٣] فإنها القصور الطوال، المرتفعة في السماء الحصينة[٤]. فإن المعنى الأول عام في كل القرآن، والمعنى الذي في سورة النساء فرد خاص لهذا الموضوع.

قال مجاهد: (كل ظن في القرآن فهو علم)[٥].

---

[١] ظ: خالد العك، أصول التفسير وقواعده، ص٩٢.
[٢] سورة البروج، الآية ١.
[٣] سورة النساء، الآية ٧٨.
[٤] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١٠٥/١.
[٥] الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٢٦٢/١.

قال ابن زيد: (التزكي في القرآن كله الإسلام)[١].

وفي كليات الأسلوب: نلحظ في القرآن الكريم إذا ذكر التنزيل للكتاب اردفه باسمين من اسماء الله الحسنى، قال الشنقيطي: (قد دلَّ استقراء القرآن العظيم على أن الله جل وعلا إذا ذكر تنزيله لكتابه أتبع ذلك ببعض أسمائه الحسنى المتضمنة صفاته العليا)[٢]. ومن أمثلته:

قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِّ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِّ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[٤]، وقوله: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِّ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[٥].

وقد أهتم العلماء بهذا النوع، كما ان للمفسرين أقوالاً متناثرة في تفاسيرهم، وقد تتبع ذلك: ابن فارس اللغوي (ت:٣٩٥هـ) في كتابه: (الأفراد)، ونقل اجزاء منه الزركشي في كتابه (البرهان)[٦]، والسيوطي في كتابه: (الاتقان في علوم القرآن)[٧] ومعترك الاقران في اعجاز القرآن[٨]. وابن عقيلة المكي (ت:١١٥٠هـ) في كتابه: (الزيادة والاحسان في علوم القرآن)[٩].

كما ان للراغب الاصفهاني (ت:٥٠٢هـ) اهتماماً به في كتابه (المفردات في غريب القرآن)، وقد جمع ذلك محققه، صفوان داوودي في خاتمته.

---

[١] المصدر نفسه، ٣٩/٣٠.
[٢] أضواء البيان في تفسير القرآن، ٤١/٧ ، ١٥٠/٧.
[٣] سورة الاحقاف، الآية ٢.
[٤] سورة الزمر، الآية ١.
[٥] سورة غافر، الآية ٢.
[٦] ظ: البرهان في علوم القرآن، ١٠٥/١ - ١١١.
[٧] ظ: الاتقان في علوم القرآن، ١٥٦/٢ - ١٦٥.
[٨] معترك الاقران في اعجاز القرآن، ٥٦٢/٣ - ٥٧٠.
[٩] ظ: الزيادة والاحسان في علوم القرآن، النوع السادس بعد المائة.

ولأبي البقاء الكفوي (ت:١٠٩٤هـ) عناية به في كتابه: (الكليات) حيث يذكر تحت كل لفظة قرآنية كلياتها ان وجد لها ذلك.

ولأبن عاشور محمد بن الطاهر في تفسيره (التحرير والتنوير) اهتمام بذلك حيث اشار الى انه استقرأ القرآن الكريم، واظهر اصطلاحات عدة من خلال نظمه وكلمه، وسماها عادات القرآن[١].

إذن ان معرفة الكليات والأفراد في ألفاظ القرآن الكريم واساليبه مفيدة جداً للمفسر، وذلك انه سيعرف المعنى الكلي في جميع الألفاظ المتكررة في القرآن، كما سيعرف ما يستثنى منه، سواء فرداً أو أفراداً.

الخامس عشر: معرفة الاسرائيليات:

تعريف الإسرائيليات: هي الأخبار المنقولة عن بني إسرائيل من اليهود وهو الأكثر أو من النصارى[٢]. فلفظ الإسرائيليات في الأصل نسبة بني إلى إسرائيل، وإسرائيل هو نبي الله يعقوب عليه السلام.

وقد أصبح لفظ الإسرائيليات علماً على ما أخذه المسلمون عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى سواء أخذوا ذلك عنهم مشافهة أو من كتبهم، وقد أخذ المسلمون عنهم ذلك ونقلوا أخبارهم للعبرة والاتعاظ بعد انقضاء عصر الصحابة، والعبث السياسي لسلاطين الجور في مقدرات الأمة، في حين نبهاء الصحابة كانوا (يتحاشون مراجعة أهل الكتاب ويستقذرون ما لديهم من أساطير وقصص وأوهام،

---

[١] التحرير والتنوير، ١٢٤/١.

[٢] ظ: محمد علي ايازي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، ١٣١/١، د. سيروان الجنابي، المنطلقات الفكرية لتفسير النص، ص١٣٥.

وإنما تسربت الإسرائيليات الى حوزة الإسلام، بعد انقضاء عهد الصحابة، وعندما سيطر الحكم الأموي على البلاد..)[١].

وللأخذ بالإسرائيليات ضوابط نجملها في الآتي[٢]:

١. موافقة كتاب الله تعالى.
٢. أن لا يدفه الخبَر الإسرائيلي خبرٌ عن المعصوم.
٣. أن يكون تفسيرها موافقاً للغة العرب في الحقيقة والمجاز والتمثيل.
٤. أن يتتابع عليه قول الصحابة والتابعين.
٥. أن يكون المفسِّر محيطاً بأصول الدين.
٦. أن يكون من الأمور الممكنة، وليس المستحيلة.

وقد قال العلماء أن الرواية عن أهل الكتاب تحتمل واحدة من ثلاث:

الأولى: أن ما عندهم يوافق ما عندنا، فهذا يؤخذ به، ومثاله تعيين اسم الرجل الصالح الذى صاحبه سيدنا موسى بأن اسمه (الخَضِر).

الثانية: أن ما عندهم يخالف ما عندنا، وهذا يجب رده، مثل وصف بعض أنبياء الله بأوصاف لا تليق بهم وتجرح بعصمتهم، كرمى بعض الأنبياء بالزنى أو شرب الخمر أو سرقة النبوة.

الثالثة: أن ما عندهم لا يوافق ولا يخالف شئ مما عندنا، وهذا يجب أن نتوقف فيه، فلا نرده ولا نقبله، فإن رددناه وكان فيه شئ من الحق، نكون قد رددنا شيئاً من الحق، وإن قبلناه وكان فيه شئ من الباطل نكون قد قبلنا باطلاً. فيجب علينا أن نتوقف.

---

[١] محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ٢٢٣/١.
[٢] ظ: د. محمد حسين الصغير، المبادئ العامة لتفسير القرآن، ص٦٨، د. مساعد الطيار، التحرير في أصول التفسير، ص١٦٩.

ومثالنا: قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾[١]، فقد ورد في تعيينها عدد من الأقوال:

الأول: أنها أيلة، وقد ورد عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد والسدي وقتادة.

الثاني: أنها مقنا، وقد ذهب الى ذلك ابن زيد.

الثالث: أنها مدين، وقد وردت الرواية بذلك عن ابن عباس.

وكلها واضح أنها أخذت من أخبار بني إسرائيل.

قال الطبري: (والصواب من القول في ذلك أن يقال: هي قرية حاضرة البحر= وجائز أن تكون أيلة= وجائز أن تكون مدين= وجائز أن تكون مقنا= لأن كل ذلك حاضرة البحر، ولا خبر عن رسول الله ﷺ يقطع العذر بأيٍّ ذلك من أيٍّ، والاختلاف فيه على ما وصفت. ولا يوصل إلى علم ما قد كان فمضى مما لم نعاينه، إلا بخبر يوجب العلم. ولا خبر كذلك في ذلك)[٢].

أخيراً يجب أن يكون المفسر يقظاً جداً ليستخلص ما يوافق العقل ويتقيَّد بمقدار الضرورة. ويجب أن لا يرتكب النقل عن أهل الكتاب إذ وجد في سنة النبي ﷺ بياناً للقرآن، ويجوز أن يذكر خلاف المتقدمين بشرط أن لا يطلقه بل يُنبّه على الصحيح ويزيف غيره، لئلا يُوقِع القُرّاء في الاضطراب، على أن من الخير للمفسّر الأعراض عن هذه الإسرائيليات، وأن يُمْسِك عمّا لا طائل تحته مما يعد صارفاً عن القرآن وشاغلاً عن التدبر في حكمته وأحكامه. فالتفسير لا يحتاج إلى الإسرائيليات ولكنه يستفيد منها.

فالبحث في راوية الاسرائيليات من البحث في المباح لا الواجب فلو ترك المفسر الروايات الاسرائيلية مطلقا فلا تثريب عليه .

---

[١] سورة الاعراف، الآية: ١٦٣.

[٢] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٥٠٩/١٠.

وفي نهاية هذا الفصل (الضوابط التفسيرية) أود التأكيد على إن الطريق الأمثل في فهم القرآن وتفسيره، أن لا يواجه المفسر القرآن بمقررات عقلية أو شعورية سابقة وأن (يدرس النص القرآني ويُستوحي معناه دون تقييد مسبق باتجاه معين غير مستوحى من القرآن نفسه)[١] أو من هم عدل القرآن من العترة الطاهرة، وان يتجرد المفسِّر عن القول بالتلقائية غير منضبطة وان يتسلح بهذه الضوابط وتكون عنده هي المسبوقات الذهنية يستحضرها اثناء التشرف بتفسير النص القرآني، وتكون سجيته في التعامل مع المضامين القرآنية؛ إذ لها أثر في التفسير، فأي مفسر لأي كلام من غير الممكن ان يكون خالي الذهن وإلا لما تصدّى للتفسير أو الشرح أو التأويل وكما قيل: (لا وجود لنص موضوعي محايد ولا وجود لشخصية مستقلة للنصوص، أي ان كل نص متلون ومتشكل ومتأطر بلون واطار المفسر والمفكر والقارئ والسامع له)[٢].

[١] محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية /الموسوعة، ص٣١٢.
٢- مرتضى الحسيني الشيرازي، نسبية النصوص والمعرفة، ص٦٣، ظ: سيد قطب، في ظلال القرآن، ٣٧٣٠/٦.

الفصل الخامس

قواعد التفسير

(المصطلح ، والترجيح ، والخصائص)

الفصل الخامس: قواعد التفسير
(المصطلح ، والترجيح ، والخصائص)

في هذا الفصل سيكون لنا وقفات مع بعض القواعد التفسيرية التي لا يمكن حصرها أو الإتيان على أغلبها ههنا، فنذكر بعضاً منها مما يفتح المجال أمام المتدبر لنصوص القرآن الكريم، كي يتتبعها وتكون أداة تساعده في التدبر والفهم.

وقبل ذكر هذه القواعد نشير الى بعض المسائل المتعلقة بهذا الفصل، وعلى النحو الآتي:

المبحث الأول: تحرير بعض مسائل القواعد:

ان مصطلح (قواعد التفسير)؛ من المصطلحات التي لا تزال بحاجة إلى مزيد من التحرير والضبط، وقبل بيان جملة من القواعد التفسيرية اجد من الضرورة بمكان بيان بعض المسائل؛ والتي منها:

أولاً: أسباب الحاجة لمزيد من التحرير والضبط:

١- أن هذا العلم لم يلقَ حظَّه من الكتابة والتحرير، كغيره من العلوم المشابهة كقواعد الفقه، فإن العلماء منذ زمنٍ بعيد قد كتبوا وحرروا مصطلح (قواعد الفقه) في كتب كثيرة، بينما نجد أن قواعد التفسير لم يُكتب فيها إلا من قبل المعاصرين، وقليل من المتقدمين الذين لم يصل إلينا من كتبهم إلا نزرٌ يسير.

٢- أن ما كتبه المتقدمون وبعض المعاصرين ليس في موضوع قواعد التفسير بل في علوم القرآن ككتاب (التيسير في قواعد علم التفسير) للكافِيَجي، وقد يشتمل على بعض قواعد التفسير كما في بعض الكتب المعاصرة.

٣- اختلاط هذا العلم بعلم أصول الفقه، وتداخل بعض المسائل بينهما، حتى أصبح تعداد قواعد الأصول ضمن قواعد التفسير أمرٌ معهود عند من كتب في قواعد التفسير.

بعد ما سبق يتبين أن هذا المصطلح بحاجة إلى تحرير وضبط ومراجعة حتى تنضبط مسائله ومفرداته، وليس المقصود في هذا المقال تحرير المصطلح بل المراد لفت الانتباه إلى أهمية ذلك ومحاولة فتح الطريق أمام الدراسين لمناقشة هذا الموضوع ، ولعل ذلك يكون بملاحظة ما يلي:

يقال لأصول التفسير قواعد التفسير، والقاعدة لغة: الأصل الذي يبنى عليه غيره، سواء كان حسياً مثل أساس البيت ومنه قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ**﴾[١]. وقوله تعالى: ﴿**فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ**﴾[٢]، أو كان معنوياً كقواعد العلم وقواعد اللغة. **واصطلاحاً**: القاعدة: حكم ينطبق على معظم جزئياته.

وقواعد التفسير: هي الأحكام الكلية أو الأغلبية التي يتوصل بها إلى استنباط معاني القرآن الكريم، ومعرفة الراجح مما فيه خلاف[٣]. وهي تشمل الضابطة

١- سورة البقرة، الآية: ١٢٧ .
٢- سورة البقرة، الآية: ٢٦ .
٣- ظ: ناصر مكارم الشيرازي، القواعد الفقهية، ٢٣/١.

أيضاً، إلا أن الفرق بينهما يكمن في أن: (القاعدة تجمع فروعاً في أبواب شتى، والضابطة تجمعها في باب واحد)[١].

وقد بين الزركشي أهمية هذه القواعد التي سماها بالقانون العام، فقال: (ومعلوم أن تفسيره يكون بعضه من قبيل بسط الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها، وبعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض، لبلاغته ولطف معانيه، ولهذا لا يستغنى عن قانون عام يعوَّل في تفسيره إليه، من معرفة مفردات ألفاظه ومركباتها، وسياقه، وظاهره وباطنه، وغير ذلك مما لا يدخل تحت الوهم، ويدق عنه الفهم)[٢].

إذا عُلم معنى القاعدة وأنها قضية كلية، فإننا إذا أردنا أن نحصرها بميدان معين قيدناها به، فنقول: قضية كلية نحوية، وقضية كلية فقهية، وقضية كلية تفسيرية.

ثانياً: الفرق بين القواعد والأصول في التفسير: القواعد أصول، والأصول قواعد.... إذ يشتركان في كون كل واحد منهما أصلاً يُستند إليه في البحث العلمي، وهذا عند التوسع في التعريف، ولكن عند التدقيق يمكن ان يلحظ الباحث ان:

١) القواعد ضوابط محدودة التعبير، أما الأصول فهي مواضيع عامة.
٢) القواعد تندرج تحت أصل من الأصول، فالأصول أعم.
٣) القواعد ناتجة من التفسير، أما الأصول فاسبق من التفسير.

* وبهذا يمكن ان يفرق بين أصول التفسير وقواعده بما يفرق به بين أصول الفقه وقواعده.

١- خالد بن عثمان السبت، قواعد التفسير جمعاً ودراسة، ٣٣/١ .
٢- البرهان في علوم القرآن، ١٥/١.

ولكن ذهب بعض الباحثين إلى انه يعسر وضع قواعد تفسيرية على غرار القواعد الفقهية وسبب ذلك أن التفسير يحتاج إلى بسط وبيان...[١]، والظاهر انه يمكن وضع قواعد تفسيرية – على الأقل – فيما اشترك فيه الفقه والتفسير كمدلولات الألفاظ. مع ان الملاحظ ان كل من كتب في قواعد التفسير ينقصه جانب ضبط الصياغة وسبكها.

ثالثاً: أنواع القواعد التفسيرية: هناك نوعان من القواعد التفسيرية:

الأول: القواعد العامة، تساعد القارئ على الفهم المنضبط للقرآن الكريم.

الثاني: القواعد الترجيحية، يتم بها معرفة الراجح من المرجوح في الأقوال التفسيرية التي لا يمكن الجمع بينها؛ كقاعدة: "السياق يخصص أو يبين المنساق"، كقوله تعالى: ﴿**ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إلا هُوَ رابِعُهُمْ**﴾[٢] أي بعلمه، قالوا: لأن الله قد افتتح الآية بالعلم وختمها بالعلم[٣]: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَّ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَّ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾. ولكن ليست هذه القاعدة دائمة بل لا بد من قرائن اخرى ليتم الترجيح بها.

ومع تقسيم هذه القواعد على قسمين فإنهما قد يتداخلان فيكملان بعضهما، لهذا آثرنا عدم فصلهما بسبب تداخلهما وكثرة التشعب على القارئ.

١- ظ: د. عبد السلام مقبل المجيدي، التنوير في أصول التفسير، ص٤٩، مازن شاكر التميمي، أصول وقواعد التفسير الموضوعي للقرآن، ص٣٣.
٢- سورة المجادلة، الآية: ٧ .
٣- ظ: الرد على الجهمية، ص٤٣.

ويمكن الإفادة من هذه القواعد عند تفسير آيات التنزيل، لتوضيح المعنى، ولاستخراج فوائد ونكات أصولية أو لغوية أو بلاغية، ولاختيار أحد الأقوال على غيره، ولرد أحد الأقوال.. ونحو ذلك.

رابعاً: تمييز علم التفسير عن علم أصول الفقه:

فعلم التفسير هو أحد علوم القرآن، وقد ذكر العلماء اشتراط العلم بأصول الفقه للمفسِّر، لكن الملاحظ أنه قد وجد تداخل بين قواعد التفسير وقواعد أصول الفقه.

وهذا الأمر لم يقع بهذا الحجم بين علم قواعد الفقه وعلم أصول الفقه.

فلماذا كان الاشتراك كبيراً بين قواعد التفسير، وقواعد أصول الفقه، وهل يُسَوِّغُ ذلك أن القرآن هو مصدر جميع العلوم .

يمكن تحليل الجواب على ذلك بتأمل ما يلي:

١- أن غاية علم أصول الفقه وهدفه معرفة أدلة الأحكام ويظهر ذلك من تعريف أصول الفقه وهو: (علم يبحث فيه عن قواعد تقع نتيجتها في طريق استنباط الحكم الشرعي)[١]. وقيل هو: (العلم بالأحكام الشرعية، عن أدلته التفصيلية بالاستدلال)[٢].

ويتضح من هذه التعريفات أن علم أصول الفقه خاصٌّ بمعرفة القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الفقه، ويخرج من ذلك قواعد العلوم الأخرى كقواعد النحو وغيره.

١- محمد رضا المظفر، أصول الفقه، ٩/١.
٢- الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، إرشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الأصول، ٢٧/١.

فالفقيه بهذه القواعد الأصولية يصل إلى معرفة جزئيات الفقه، ولحظنا عند استعراض علم الفقه عباره عن مسائل:

– موضوعاتها: أفعال المكلفين من صلاة وصيام وحج وبيع ورهن وإجارة وتوكيل ووصية وغير ذلك.

– ومحمولاتها: أحكام شرعية من وجوب وندب وكراهة وتحريم وصحة وبطلان وغير ذلك.

فالفقيه يبحث في أفعال المكلفين ليستنبط لكل فعلٍ حكماً شرعياً من دليل جزئي ثم يثبته له مستعيناً في ذلك بقواعد الأصول[١].

ومثال ذلك: لو سأل رجل عن حكم الصلاة فإن الفقيه يقول: الصلاة واجبة لأن الله يقول: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ**﴾[٢] والأمر للوجوب.

فهنا نجد أن قوله (الأمر للوجوب) هذه قاعدة أصولية أنزلها الفقيه على قوله تعالى: (**أَقِيمُوا**) فاستخرج حكماً جزئياً وهو حكم الصلاة.

مما سبق يتضح أن قواعد أصول الفقه هي الموصلة لتلك الأحكام الفقهية، فهي مختصة بالأحكام الشرعية الفرعية المسماة عند العلماء بالفقه.

٢– أن غاية التفسير هي بيان معاني كلام الله تعالى (القرآن) والمتأمل يجد أن آيات القرآن من حيث دلالتها على الفقه قسمان:

١- ظ: محمد شلبي، أصول الفقه، ص٢٤ ـ ٢٥.
٢- سورة البقرة، الآية: ٤٣ .

أ . آيات أحكام فقهية؛ وهي الآيات الدالة دلالة ظاهرة على الأحكام الفقهية. وقد عدها مقاتل بن سليمان (٥٠٠) آية[١].

ب . آيات غير فقهية: كآيات الأمثال والعظة والقصص وغير ذلك. وهذه الآيات لم تُسق في الأصل لمعرفة حكمٍ فقهي وإن كان قد يستنبط منها أحكام فقهية كثيرة.

فالقرآن جاء لبيان الفقه كما جاء لبيان غيره من أصول الاعتقاد والأخلاق وغير ذلك.

وإذا كان مقصود المفسر هو بيان الآيات، فإن كانت الآية مسوقة لبيان حكمٍ فقهي، فإن المفسر يستعين بقواعد أصول الفقه، لمعرفة الحكم الفقهي المأخوذ من الآية.

ومن هنا نقول إن المفسر يستعين بعلم الأصول كلِّه لاستخراج الأحكام الفقهية من القرآن، وعلم الأصول قد كُتب وحرِّر، منذ عهد مبكر في تاريخ التدوين.

فهل يفيدنا عندما نريد أن نحرر قواعد تفسير القرآن، أن نعيد كتابة جميع تلك القواعد الأصولية لضرورة أن يرجع إليها المفسر، بينما يمكن اختصار ذلك كلِّه بقاعدة تفسيرية واحدة تنص على: أن استخراج الأحكام الفقيهة من القرآن يكون على مقتضى قواعد الأصول.

لا سيما أن من شروط المفسِّر معرفة أصول الفقه. فلا حاجة . في نظري والعلم عند الله . إلى إعادة كتابة أصول الفقه مرة أخرى ضمن قواعد التفسير.

١- اعترض عدد من العلماء على هذا الحصر وذكروا أنه للدلالات الظاهرة .

ومما يؤيد ذلك أن المفسِّر قد يحتاج عند تفسيره إلى قواعد النحو، فهل تُدرج قواعد النحو ضمن قواعد التفسير لحاجة المفسر لها!!.

إذن من هنا يتضح أن علم التفسير مختلف عن علم الفقه فينبغي أن تكون قواعد التفسير غير قواعد أصول الفقه.

خامساً: أنه يمكن تحرير قواعد التفسير بالنظر في كيفية تحرير العلماء لقواعد العلوم الأخرى:

فقواعد الفقه مثلاً قد حررها العلماء بطرق منها[١]:

أ . النظر في النصوص الشرعية واستخراج القواعد منها:

١. إما نصاً: كاستخراجهم قاعدة **(الخراج بالضمان)**[٢] أو بالمضمون من حديث المعصوم عليه السلام[٣]، ومعنى: القاعدة هو التلازم بين الخسارة والفائدة، فكل من كان له فائدة المال شرعاً كان عليه خسارة ذلك المال كذلك، وعليه قد يعبر من هذه القاعدة بقاعدة التلازم بين النماء والدرك. وقد يعبر عنها بقاعدة **(من له الغنم فعليه الغرم)**. وقد يعبر كما تلوناه بقاعدة: (الخراج بالضمان). فالمعنى واحد والتعابير مختلفة ويكون مورد القاعدة جميع المعاملات الصحيحة. كما قال الشيخ

١- انظر في ذلك: ناصر مكارم الشيرازي، القواعد الفقيهة، ص٣٤، محمد حسن البجنوردي، القواعد الفقهية، ٤٢/١، عباس كاشف الغطاء، المنتخب من القواعد الفقهية، يعقوب بن عبد الوهاب الباحسين، القواعد الفقهية، ص١٩٢ وما بعدها..

٢- ابو داود، سنن ابي داود، ٢٣٤/٣.

٣- منها موثقة إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي إبراهيم عليه السلام: الرجل يرهن الغلام والدار فتصيبه الافة على من يكون؟ قال: "على مولاه " إلى أن قال: "كذلك يكون عليه ما يكون له". الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٣٠٦/٣.

مرتضى الأنصاري(ت:١٨٦٤م): (فالمراد بالضمان الذي بإزائه الخراج التزام الشئ على نفسه وتقبله له مع إمضاء الشارع له)[١].

٢. وإما استنباطاً واستقراءً: كاستخراجهم قاعدة: أوفوا بالعقود من قوله تعالى: ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[٢]، وفي هذه القاعدة فصل الفقهاء القول[٣].

واستخراجهم قاعدة: الإيثار في القرب مكروه وفي غيرها محبوب استنباطاً من قوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[٥] وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[٦].

وقاعدة الضرر يزال استقراءً من عدد من آيات القرآن كقوله تعالى: ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾ [٧].

فهل في نصوص القرآن والسنة ما يدل نصاً أو استنباطاً أو استقراءً على قواعد تفسيرية؟

ولا شك أنه قد وجد ما يدل على ذلك ومن أمثلة ذلك:

١- كتاب المكاسب، ٢٠٢/٣ .
٢- سورة المائدة، الآية: ١.
٣- ظ: المقداد السيوري، كنز العرفان في فقه القرآن، ص٤٣٣ .
٤- سورة البقرة، الآية: ١٤٨ .
٥- سورة المطففين، الآية: ٢٦.
٦- سورة الحشر، الآية: ٩ .
٧- سورة البقرة، الآية: ٢٣٣.

قاعدة: تفسير القرآن بالقرآن، من عمل النبي ﷺ حين فسَّر عدداً من آيات القرآن بآيات أخرى. كتفسير الظلم في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ**﴾[١] الآية بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾[٢].

ومن الاستقراء أيضاً ما ذكره ابن عطية: (وقوله تعالى: فاتباع رفع على خبر ابتداء مضمر تقديره فالواجب والحكم اتباع، وهذا سبيل الواجبات كقوله تعالى: ﴿**فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ**﴾[٣]، وأما المندوب إليه فيأتي منصوباً كقوله تعالى: ﴿**فَضَرْبَ الرِّقَابِ**﴾[٤])[٥].

وهكذا فإن استقراء النصوص الشرعية ومنها تفسير المعصوم عليه السلام موصل لعدد من قواعد التفسير المهمة.

ب . استخراج القواعد من نصوص العلماء:

وقد استخرج الفقهاء قواعد فقهية من كلام الأئمة من آل البيت عليهم السلام والعلماء من جيل الصحابة ومن بعدهم، وذلك كقول الفقيه مالك (ت:١٧٩هـ): (لا يرث أحدٌ أحداً بالشك)[٦].

فهل في استقراء كلام المفسرين من المتقدمين ومن بعدهم ما يعين على استخراج قواعد التفسير.

١- سورة الانعام، الآية: ٨٢.
٢- سورة لقمان، الآية: ١٣ .
٣- سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.
٤- سورة محمد، الآية: ٤.
٥- المحرر الوجيز، ١/ ١٩٤.
٦- الموطأ، ٥٢١/٢ .

ولا شك أن البحث في كتب التفسير والتنقيب في الموروث النقلي مفيد في معرفة قواعد في التفسير، وقد يقف الباحث على قواعد كثيرة بالاستقراء.

وهنا نجد أيضاً أن كليات القرآن لها مدخل في تفسير كتاب الله تعالى حيث إن عدداً منها هو كلام العلماء واستنباطهم، وهي معينة بلا شك في تفسير كتاب الله تعالى.

ومن أمثلة ذلك ما قاله ابن عباس، وابن زيد: (الرجز: العذاب، وكل شئ في القرآن رجز فهو عذاب)[١].

وكذلك ما قاله الراغب الأصفهاني: (التثويب في القرآن لم يجئ إلا في المكروه)[٢].

وهذه الكليات مفيدة جداً في تفسير القرآن الكريم، وهي صالحة لأن تكون قواعد للتفسير يمكن إدارجها ضمن قواعد التفسير لما لها من أثر كبير في التفسير وبيان المعاني.

سادساً: شروط تطبيق القاعدة:

لما كانت قواعد التفسير استقرائية لزم أن يكون لصدقها قيود وشروط، وبهذه الشروط يتخلص من دفع الطعن في كليّة القاعدة، وهي:

١. أن تتوفر في الجزئيات الشروط الخاصة، التي لابد منها لانطباق القاعدة عليها.

١- الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٤٣٦/١.
٢- المفردات، ص١٨٠.

ومثال ذلك: قاعدة: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) فإنه يشترط لتطبيقها: ألا يقترن اللفظ بما يدل على العموم أو الخصوص، فإن اقترن به دل اللفظ على ما دلت عليه القرينة إجماعاً.

٢. أن لا يعارضها ما هو أقوى منها، أو مثلها، سواء كان دليلاً فرعياً خاصاً معتداً به، أو قاعدة أخرى متفقاً عليها.

فمثال معارضة الدليل: معارضة القواعد الدالة على اعتبار السياق للتفسير النبوي الثابت في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ﴾[١] فالسياق في مسجد قباء[٢]، والتفسير النبوي بين أن المراد مسجده[٣].

ومثال معارضة القاعدة: معارضة القواعد الدالة على اعتبار السياق لتفسير جمهور المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾[٤] فالسياق في مشركي قريش، وتفسير الجمهور على أن الشاهد عبدالله بن سلام[٥].

١- سورة التوبة، الآية ١٠٨.
٢- ظ: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٠٧/٢.
٣- فيه آراء ومنها: عن زيد بن ثابت وابن عمر وأبي سعيد الخدري روى عن النبي ﷺ قال: (هو مسجدي هذا). ظ: الطبرسي، مجمع البيان، ٩٥/٥ .
٤- سورة الاحقاف، الآية ١٠.
٥- وقيل: (الشاهد موسى شهد على التوراة كما شهد النبي ﷺ على القرآن، لأن السورة مكية وابن سلام أسلم بالمدينة). الطبرسي، مجمع البيان، ١٠١/٩.

المبحث الثاني: قواعد التفسير وخصائصها:

المطلب الأول: قواعد التفسير:

وفي هذا المقام لا يمكن حصر هذه القواعد، أو الإتيان على أغلبها، بل أذكر بعضاً منها مما يفتح المجال أمام المفسر والمتدبر لكلام الله تعالى، كي يتتبعها وينشدها في مراجع التفسير المختلفة فإنها خير معين لفهم كتاب الله، وبواسطتها تكون بيده الأداة التي تساعد على استنباط واستخراج معاني القرآن، ومن هذه القواعد:

١) قاعدة: إذا وقعت النكرة في سياق النفي أو النهي أو الشرط أو الاستفهام دلت على العموم:

١. النهي؛ قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾[١] فإنه نهى عن الشرك به في النيات، والأقوال والأفعال، وعن الشرك الأكبر، والأصغر والخفي، والجلي. فلا يجعل العبد لله نداً ومشاركاً في شيء من ذلك. ونظيرها قوله تعالى: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً﴾[٢] .

٢. النفي؛ وقوله في وصف يوم القيامة: ﴿يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً﴾[٣]، يعم كل نفس، وأنها لا تملك شيئاً من الأشياء، لأي نفس أخرى، وكقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾[٤]، فكل خير وضر قدره الله على العبد ليس في استطاعة أحد من الخلق رده أو

١- سورة النساء، الآية ٣٦.
٢- سورة البقرة، الآية ٢٢.
٣- سورة الانفطار، الآية ١٥.
٤- سورة يونس، الآية ١٠٧.

كشفه. وقوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[١] يشمل كل خير في العبد ويصيب العبد، وكل نعمة فيها حصول محبوب، أو دفع مكروه، فإن الله هو المنفرد بذلك وحده.

٣. الاستفهام؛ قوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾[٢]، وإذا دخلت (من) صارت نصًّا في العموم كهذه الآية: ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[٣] وقوله: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[٤]، ولها أمثلة كثيرة جدًّا.

٢) قاعدة: الفعل في سياق النفي، أو النهي، أو الشرط، أو الاستفهام يفيد العموم:

إذا أتى الفعل بعد أحد هذه الأدوات فإنه يفيد العموم، وأمثلة ذلك:

١. النفي؛ قوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾[٥]. أي: لا يظهر الساحر ببغيته في أي أرض إذ لا حقيقة للسحر[٦].

٢. النهي؛ قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[٧]. إذ ان التهلكة كل شئ يصير عاقبته الى الهلاك، والهلاك ما لا يمكن الاحتراز عنه بخلاف التهلكة المنهي عنها[٨].

١- سورة النحل، الآية ٥٣.
٢- سورة فاطر، الآية ٣.
٣- سورة الحاقة، الآية ٤٧ .
٤- سورة الاعراف، الآية ٥٩.
٥- سورة طه، الآية ٦٩ .
٦- ظ: الطبرسي، مجمع البيان، ٢٩/٧ .
٧- سورة البقرة، الآية ١٩٥ .
٨- ظ: البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ١٤٧/١ .

٣. الشرط؛ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾[١].
يقم مقامكم قوماً آخرين لا يعرضون عن تعاليم السماء وهؤلاء البدلاء هم الفرس أو الأنصار أو الملائكة[٢].

٤. الاستفهام؛ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾[٣]. الكالئ يعني الحافظ، والله سبحانه يحفظ ويرعى خلقه جميعاً بالليل والنهار ومنهم الكفار، وهذا كقول الرجل لمن حصل في قبضته ولا مخلص له منه: إلى أين مفرك مني! هل لك محيص عني![٤].

٣) قاعدة: يُحكم الرسم عند التنازع: تعني عبارة "رسم المصحف" طريقة كتابة كلمات القرآن الكريم في المصحف، كما كتبها أصحاب النبيﷺ، والصورة المعروفة للمصحف وطريقة رسم الكلمات فيه ترجع إلى عصر عثمان، وإن كانت كتابة القرآن قد تمت منذ زمن النبيﷺ.[٥].

قال الزركشي في بيان الحكمة في اختلاف رسم الكلمات في المصحف: (واعلم أن الخط جرى على وجوه، فيها ما زيد عليه على اللفظ، ومنها ما نقص، ومنها ما كتب على لفظه، وذلك لحكم خفية، وأسرار بهية تصدى لها أبو العباس المراكشي الشهير بابن البناء في كتابه "عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل" وبين أن هذه الأحرف إنما اختلف حالها في الخط بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها)[٦].

١- سورة محمد، الآية ٣٨ .
٢- ظ: البيضاوي، أنوار التنزيل واسرار التأويل، ١٥٤/٤ .
٣- سورة الأنبياء، الآية ٤٢ .
٤- ظ: الرازي، مفاتيح الغيب، ١٥٠/٢٢ .
٥- ظ: د. غانم قدوري حمد، موازنة بين رسم المصحف والنقوش العربية القديمة، ص٢٨.
٦- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٣٨٠/١ .

كقوله تعالى: ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾[١]. قال ابن خالويه (ت٣٧٠هـ): ((سَنَدْعُ) فعل مستقبل، والأصل (سندعو) بالواو...)[٢].

قال الزركشي بأن الواو حذفت اكتفاء بالضمة قصداً للتخفيف فقوله (سندع الزبانية)" فيه سرعة الفعل، وإجابة الزبانية، وقوة البطش، وهو وعيد عظيم ذكر مبدؤه وحذف آخره، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾[٣][٤].

وقوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى﴾[٥]، قيل: (لا) نافية، وقيل: ناهية والصواب الأول؛ لأنها لو كانت ناهية لجزم الفعل.

٤) قاعدة: المفرد إذا أضيف يفيد العموم:

ومعنى هذه القاعدة: أي كما أن اسم الجمع يفيد العموم إذا أضيف، كذلك المفرد المضاف يفيد العموم أيضا. و(المفردُ): الاسمُ الدالُّ على الواحدِ، ويقابلُه المثنَّى والجمعُ.

مثال اسم الجمع: قول الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ..﴾[٦]، فكلمة أمهات جمع وهي مضافة (أُمَّهَاتُكُمْ) فيشمل ذلك كل أم انتسبت إليها، أمك وأم أمك وأم أبيك وإن علت..

١- سورة العلق، الآية ١٨.
٢- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ص١٤١.
٣- سورة القمر، الآية ٥٠.
٤- البرهان في علوم القرآن، ٣٨٤/١.
٥ سورة الأعلى، الآية: ٦ .
٦- سورة النساء، الآية ٢٣.

وكلمة (بنات) جمع وهي مضافة (**وَبَنَاتُكُمْ**) وهي تشمل كل بنت انتسب إليك وإن نزلت: بنتك وبنت بنتك وبنت ابنك وهكذا..

مثال المفرد المضاف: والمعنى: أن المفردَ المضافَ إلى معرفةٍ يفيدُ العمومَ مثلَ (أل)، فلا يُسْتَثْنَى منه شيءٌ إلا بدليلٍ. كذلك الجمعُ المضافُ إلى معرفةٍ يفيدُ العمومَ، فلا يُسْتَثْنَى منه شيءٌ إلا بدليلٍ، كقولِه تعالى: ﴿**يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ**﴾[١]، فيَعُمُّ جميعَ الأولادِ، ذكورًا وإناثًا، صغارًا وكِبارًا.

وبهذا العمومِ احتجَّت السيدة فاطمةُ (عليها السلام) لميراثِها مِن رسولِ اللهِ ﷺ، ولم يُخالِفْها الصَّحابةُ في الاستدلالِ بالآيةِ، ولكنهم احتجُّوا عليها بدليلِ التَّخصيصِ، وهو قولُه (صلَّى الله عليه وسلَّم): (نَحْنُ مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ لا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ)[٢]. فأخرَج أولادَ الأنبياءِ من عمومِ الآيةِ. من غير حتى النظر منهم هل العام جاء بعد الخاص أم لا!! إذ لا يقدم الخاص على العام مطلقاً سواء كان العام متقدماً أو متأخراً. وهذا مخالف للواضح الجلي في القرآن وأنكرت عليهم السيدة الصديقة هذا الحديث لمخالفته من حيث عموم القرآن في الناس ولم يستثني الأنبياء[٣].

١- سورة النساء، الآية ١١.
٢- مسلم، صحيح مسلم، ٦٦/١٢ .
٣- فقالت (عليها السلام): (وأنتم الآن تزعمون: أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون؟! أفلا تعلمون؟ بلى قد تجلى لكم كالشمس الضاحية: أني ابنته . أيها المسلمون أغلب على إرثي؟ يا بن أبي قحافة أفي كتاب الله ترث أباك ولا إرث أبي؟ لقد جئت شيئا فريا! أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول: (**وَوَرِثَ سُلَيمَانُ دَاوُودَ**) وقال : فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا إذ قال: (**فَهَب لِي مِن لَدُنكَ وَلِيًّا ، يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِن آلِ يَعقُوبَ**) وقال: (**وَأُولُو الأَرحَامِ بَعضُهُم أَولَى بِبَعضٍ فِي كِتَابِ اللهِ**) وقال: (**يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَولَادِكُم لِلذَّكَرِ مِثلُ حَظِّ الأُنثَيَينِ**) وقال: إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين وزعمتم: أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي، ولا رحم

مثال آخر: قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لا تُحْصُوها﴾[٢]. (نعمة) مفرد وهي مضافة إلى (ربك) فإنها تشمل النعم الدينية والدنيوية، والأفضال على الناس[٣].

٥) قاعدة: يحمل العام على العموم حتى يرد دليل التخصيص:

وفي بيان معنى العام، يقول السيد الخوئي: و(إنّ العام معناه الشمول لغة وعرفاً، وأمّا اصطلاحاً [فقد] فسّروه بما دلّ على شمول الحكم لجميع أفراد مدخوله)[٤].

أي: اعتقاد العموم بالنص والعمل من غير توقف على البحث عن المخصص، لأن اللفظ موضوع للعموم فيجب العمل بمقتضاه، فإن اطلع على مخصص عمل به؛ والألفاظ التي تفيد العموم بمساعدة قرينة السياق هي: (أسماء الشرط، وأسماء الاستفهام، والأسماء الموصولة؛ لأنّها تستعمل في المفرد والمثنى والجمع، المذكَّر منها والمؤنث. والقرينة السياقيّة هي التي تعيِّن مراد المتكلم)[٥]. والضابط لمعرفة العموم في هذه الأسماء هو صحّة إضافة كلمة (كلّ) أو (جميع) إلى الاسم، ومن أمثلتها:

بيننا، أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها؟ أم هل تقولون: إن أهل ملتين لا يتوارثان؟ أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟ فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم إذ تندمون، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم)، المجلسي، بحار الانوار، ١٤٨/٤٣، وغيره الكثير من المصادر.. .

١- سورة الضحى، الآية: ١١ .

٢- سورة ابراهيم، الآية: ٣٤ .

٣- ظ: محمد جواد مغنية، التفسير الكاشف، ٤١٦/٤.

٤- محمد إسحاق الفياض (مرجع ديني معاصر)، محاضرات في أصول الفقه (تقريراً لبحث السيد الخوئي)، ١٥١/٥.

٥- عبد الهادي الفضلي، دروس في أصول فقه الإماميّة، ٢/ ٢٢٩.

أسماء الشرط: والأسماء المرادة هنا: أيٌّ، مَنْ، ما، متى، أينَ. ومثالنا هنا: (ما) نحو: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾[١].

أسماء الاستفهام في اللغة العربيّة هي: مَنْ، ما، متى، أينَ، أيّانَ، أنّى، كيف، كم، أيّ. ومثالنا هنا قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[٢].

الاسماء الموصولة: والمقصود هنا من هذه الأسماء هو: مَنْ، ما، (إذا دلَّتا على جمعٍ)، الذين، اللاتي، اللائي. ومثالنا: قوله تعالى: ﴿ألم تر أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ﴾[٣] تقول في هذه الآية: ولله يسجد كلّ مَنْ في السماوات وجميع مَنْ في الأرض.

وقوله تعالى: ﴿وَوالِدٍ وَما وَلَدَ﴾[٤]، قيل: (آدم وما ولد من الأنبياء والأوصياء وأتباعهم)[٥]، وقيل: آدم وولده، وقيل: إبراهيم وولده، وقيل بل هي عامة في كل والد وولده، وهو الصحيح عند ابن جرير قال: (لأن الله عم كل والد وما ولد، وغير جائز ان يخص ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل، ولا خبر بخصوص ذلك)[٦].

٦) **قاعدة: دخول الألف واللام على الأوصاف، وعلى أسماء الأجناس، تفيد استغراق جميع ما دخلت عليه من معانٍ:** وقد نص على ذلك أهل الأصول وأهل العربية، واتفق على اعتبار ذلك أهل العلم والإيمان. ومثاله في الأوصاف نلحظه

١- سورة البقرة، الآية: ٢٧٢.
٢- سورة الانعام، الآية ١٢.
٣- سورة الحج، الآية ١٨.
٤- سورة البلد، الآية: ٣.
٥- الطبرسي، مجمع البيان، ٢٦٨/١٠.
٦- الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، ١٢ / ٥٨٦.

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[١]، يدخل في هذه الأوصاف كل ما تناوله من معاني الإسلام والإيمان والقنوت والصدق إلى آخرها. وأن بكمال هذه الأوصاف يكمل لصاحبها ما رتب عليها من المغفرة والأجر العظيم، وبنقصانها ينقص، وبعدمها يفقد، وهكذا كل وصف رتب عليه خير وأجر وثواب، وكذلك ما يقابل ذلك كل وصف نَهى الله عنه ورتب عليه وعلى المتصف به عقوبة وشراً ونقصاً، يكون له من ذلك بحسب ما قام به من الوصف المذكور.

ومثاله في اسم الجنس: نلحظه في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[٢]، يشمل جميع أنواع البر والخير، وتشمل التقوى جميع ما يجب اتقاؤه من أنواع المَخُوفات والمعاصي والمحرمات. **والإثم:** اسم جامع لكل ما يؤثم، ويوقع في المعصية. كما أن **العدوان:** اسم جامع يدخل فيه جميع أنواع التعدي على الناس في الدماء والأموال والأعراض، والتعدي على مجموع الأمة، وعلى الحكومات والتعدي على حدود الله.

و**المعروف** في القرآن: اسم جامع لكل ما عرف حسنه شرعاً وعقلاً، وعكسه: المنكر والسوء والفاحشة.

١- سورة الاحزاب، الآية ٣٦ .
٢- سورة المائدة، الآية ٢ .

٧) قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:

سبب النزول هو ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه، كحادثة تقع فينزل حكمها، أو سؤال يوجه فيأتي القرآن بالإجابة[١]، وهذه القاعدة نافعة جداً، بمراعاتها يحصل الباحث على مفاتيح لفهم النص، وبإهمالها وعدم ملاحظتها يفوته علم كثير، ويقع الغلط والارتباك الخطير.

وهذا الأصل اتفق عليه المحققون من أهل الأصول وغيرهم، فمتى راعيت القاعدة حق الرعاية وعرفت أن ما قاله المفسرون من أسباب النزول إنما هو على سبيل المثال لتوضيح الألفاظ، وليست معاني الألفاظ والآيات مقصورةً عليها. فقولهم: نزلت في كذا وكذا، معناه: أن هذا مما يدخل فيها، ومن جملة ما يراد بها، فإن القرآن– كما تقدم– إنما نزل لهداية أول الأمة وآخرها، حيث تكون وأنى تكون، وان (سبب النزول مجرد مثير لنزول الحكم العام وليس تحديداً له في نطاقه الخاص)[٢].

قال الإمام محمد الباقر عليه السلام: (... إن القرآن حي لا يموت، والآية حية لا تموت، فلو كانت الآية إذا نزلت في الاقوام ماتوا فمات القرآن، ولكن هي جارية في الباقين كما جرت في الماضين)[٣].

فكل مسلم في كل مكان وزمان مخاطب بالقرآن الكريم ومشمول بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ أي: يا أيها المصدقون.

١- ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٣١/١ .
٢- محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، ص٤٢.
٣- المجلسي، بحار الأنوار، ٤٠٤/٣٥.

والله تعالى قد أمرنا بالتفكر والتدبر لكتابه، فإذا تدبرنا الألفاظ العامة، وفهمنا أن معناها يتناول أشياء كثيرة، فلأي شيء نخرج بعض هذه المعاني، مع دخول ما هو مثلها ونظيرها فيها؟ ولهذا قال ابن مسعود: (إذا سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فأرعها سمعك، فإنه إما خير تُؤمر به، وإما شر تُنهى عنه)[١].

وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢]. فهذه الآية كان سبب نزولها في حق الإمام علي عليه السلام[٣]، ولكن إمكانية العمل بها في الإنفاق مما يقتدى به عليه السلام لعموم لفظها، قال ابن عطية بعد أن ذكر أنها نزلت في الإمام علي عليه السلام: (والآية وإن كانت نزلت في علي (عليه السلام) فمعناها يتناول كل من فعل فعله)[٤].

٨) **قاعدة: صيغة الأمر إذا جاءت بعد حظر دلت على الإباحة:** كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾[٥]، فهذه قرينة تدل على عدم الوجوب، فلا يجب على من تحلل من الحج والعمرة أن يصطاد؛ لأن هذا الأمر جاء بعد النهي وهو قوله: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾[٦]، ومثله قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ﴾[٧] (فَأْتُوهُنَّ) هنا صيغة أمر، ولكن فعلها لا يدل على

١- الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ٦١/٢، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢٦٤/٢.
٢- سورة البقرة، الآية: ٢٧٤ .
٣- عن مجاهد عن ابن عباس قال: (كان لعلي رضي الله عنه أربعة دراهم، فأنفق درهماً بالليل، ودرهماً بالنهار، ودرهماً سراً، ودرهماً علانية؛ فنزلت.. الآية..). الواحدي (ت: ٤٦٨هـ)، أسباب النزول، ص٤٨ .
٤- تفسير المحرر الوجيز، ٣٤٣/٢ .
٥- سورة المائدة، الآية: ٢ .
٦- سورة المائدة، الآية: ٩٦ .
٧- سورة البقرة، الآية: ٢٢٢ .

الوجوب بل يدل على (الجواز لوقوعه بعد الحظر)[١]؛ لأنه قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾[٢]، فجاء الأمر بعد الحظر.

٩) قاعدة: تحديد المعنى لا يكون إلا من خلال سياق القرآن:

مر علينا تعريف السياق بأنه: (عبارة عن قرينة متّصلة بالكلام، تجعله كلاماً واحداً مترابطاً ومتناسباً، وتوجب الظهور فيما يراد به من المعنى)[٣]، أي انه قرينة حالية يدل عليها انتظام عناصر النص ووحداته اللغوية بتركيب يربط بين تلك العناصر بحيث لا يفهم معنى كلمة أو جملة إلا بوصلها بالتي قبلها أو بالتي بعدها، وبهذا فلا ينبغي على مفسر القرآن التعلق بالكلمة الواحدة أو الجملة المستقلة، بل يجب عليه النظر إلى السياق القرآني ككل والذي لا تشكل الكلمات والجمل إلا طرفا منه.

قال الزركشي في "معرفة المناسبات بين الآيات" وأنواع ارتباط الآي بعضها ببعض: (ذكر الآية بعد الأخرى إما أن يظهر الارتباط بينهما لتعلق الكلام بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح، وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على جهة التأكيد والتفسير، أو الاعتراض والتشديد)[٤].

١- محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٧٦/٢ .
٢- د. عبد الرحمن بو درع، نهج السياق في فهم النص، ص٢٧.
٣- محمد فاكر المبيدي، قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، ص٢٨٠، وقد ساق المؤلف جملة عريفات العلماء للسياق.
٤- الزركشي البرهان، ٤٠/١. ولعل أشهر من اهتم ببيان أوجه التناسب بين آيات القرآن، أبو جعفر أحمد بن الزبير الغرناطي، (ت ٧٠٨هـ) في "البرهان في ترتيب سور القرآن" الذي نشرته وزارة الأوقاف بالرباط، لكن المحقق اعتمد على نسخة مبتورة في تحقيقه، وممن صنف في التناسب من المتأخرين برهان الدين البقاعي، ت٨٨٥هـ، مؤلف تفسير "نظم الدرر في تناسب الآي والسور" صدرت طبعته الأولى بالدكن عام ١٣٨٩هـ بإشراف محمد عبد

وهناك ضوابط وفوائد، جمعت في هذه القاعدة، واختصت كل ضابطة بمبحث، وهي كالآتي:

أ. من ضوابط السياق الأساسية:

١. الكلام على اتصال السياق ما لم يدل دليل على انقطاعه.
٢. تدبّر أول الآية أو آخرها يعين على معرفة معنى ابتدائها أو خاتمتها.
٣. تحمل معاني الآيات على المعاني الجديدة دون تكرار المعاني بلا فائدة.
٤. يختار من المعاني ما يلائم السياق ولا يناقضه.
٥. يُراعي في المعاني: الظاهر من الخطاب، ولا يتجاوز إلى غيره إلا بدليل.

ب. والاعتناء بهذه الضوابط وأمثالها آثار كثيرة من أهمها:

١. الترجيح بين القراءات.
٢. تحديد أو ترجيح ما يناسب السياق من أسباب النزول. وتضعيف ما يناقضه.
٣. إظهار المناسبات بين مقاطع السورة والآيات والجمل والكلمات.
٤. توضيح المعاني من الآيات والجمل والكلمات على أساس صحيح ومسلك قويم.
٥. يدل السياق على وجود حذف في الكلام، ويساعد في تقديره بما يناسب.

المعيد خان، ثم جاء السيوطي ت٩١١هـ فجمع رسالته "تناسق الدرر في تناسب السور" وهي متداولة....

٦. وكذلك يدل السياق على الوصول إلى الصحيح من الناسخ أو المنسوخ.
٧. يدل السياق على تقديم أو تأخير.
٨. السياق أثر مهم في الوصول إلى الترجيح بين الأقوال قبولاً أو رداً.

ومن أمثلة خللهم في الاستدلال بالسياق تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ..﴾[١]، فقد فسروا الموت بالتيه والصغار وزوال عزهم، وفسروا الحياة بالخروج من التيه، وعودة العزة والكرامة لهم. واعتمدوا في تفسيرهم هذا على السياق، وهو أن السياق في الحث على الجهاد والتحريض عليه، وليس في مقام الحديث عن البعث والنشور[٢].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[٣] قال الميرغني (ت: ١٨٥٣م) صاحب "تاج التفاسير" في معناها: (ويجعلكم من أهل الأنس به، والتلذذ بمشاهدة جنابه والنزول بحضراته ورحابه)[٤]، وسياق الآية لا يحتمل هذه المعاني: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٥].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾[٦]، قال أيضاً: (يعني فتح مكة وفتحنا عين بصيرتك لتجلياتنا الذاتية ﴿فَتْحًا مُّبِينًا﴾[٧] ظاهراً أشرقت عليك كمالاته وأعيدت

١- سورة البقرة، الآية: ٢٤٣ .
٢- ظ: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ٤٥٦/٢ .
٣- سورة آل عمران، الآية: ٣١ .
٤- المرغيني (ت١٨٥٣م)، تاج التفاسير، ٦١/١.
٥- سورة آل عمران، الآية: ٣١ .
٦- سورة الفتح، الآية: ١ .
٧- سورة الفتح، الآية: ١ .

منك إلى الكائنات نفحاته)[١]... وسياق الآيات والسورة بكاملها لا يحتمل مثل هذه المعاني.

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاء وَالطَّارِقِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ، النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾[٢] فالسياق هنا ظاهر متعين في بيان المراد بالطارق وأنه النجم الثاقب.

والقول بقاعدة السياق ليست من مستحدثات العصر، وانما لها جذورها في بطون التفاسير؛ فهذا طاووس بن كيسان (ت: ١٠٦هـ) يستند إلي السياق في تحديد المراد بالنفس في قوله تعالى: ﴿وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[٣]، فيقول: (إنما يراد بهذا الكافر، اقرأ ما بعدها يدلك على ذلك)[٤].

ومثالنا الآخر ما نلحظه عند العلامة الطباطبائي إذ أهتم بشأن السياق اهتماماً كبيراً حتى صار من المكثرين فيه، فيقول في تفسير قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءلُونَ، عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾[٥]:

والمراد بالنبأ العظيم نبأ البعث والقيامة..، ويؤيد ذلك سياق آيات السورة بما فيه من الاقتصار على ذكر صفة يوم القيامة.

وقيل: المراد به نبأ القرآن العظيم، ويدفعه كون السياق بحسب مصبّه أجنبياً عنه... ثم قال: والمحصل من سياق الآيات الثلاث..[٦] .

١- المرغيني، تاج التفاسير، ١٦٦/٢ .
٢- سورة الطارق، الآية: ١ - ٣ .
٣- سورة ق، الآية: ٢١ .
٤- الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٦٢/٢٦ .
٥- سورة النبأ، الآية: ١ - ٢ .
٦- ظ: الميزان في تفسير القرآن، ١٥٩/٢٠ .

واطلنا الوقوف عند قاعدة السياق لأنها من القواعد التي لا غنى للمفسر عنها في تفسيره، ومتجاهلها يقع في خطأ عظيم إذ يهمل أول طريقة وخطوة في تفسير القرآن؛ الا وهي تفسير القرآن بالقرآن فدلالة السياق القرآني تعتبر من تفسير القرآن بالقرآن.

١٠) قاعدة: اختلاف القراءات يعدد المعنى:

القراءات القرآنية هي طريقة أداء كلمات القرآن معزوا لناقله. واختلافها قد يعود إلى النطق كالإدغام والإمالة وغيرها، وقد يعود إلى الحركات والكلمات.

ووجوه الاختلاف في القراءات القرآنية أرجعها ابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ) إلى أمور سبعة رئيسة، قال: وقد تدبرت وجوه الخلاف في القراءات، فوجدتها سبعة أوجه:

أولها؛ الاختلاف في إعراب الكلمة أو في حركة بنائها بما لا يزايلها عن صورتها في الكتاب ولا يغير معناها نحو قوله تعالى: ﴿**فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ**﴾[١] و(ميسرة).

الوجه الثاني؛ أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغير معناها، ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب. نحو قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا**﴾[٢] و(باعد)...

الوجه الثالث؛ أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها ولا يزيل صورتها نحو قوله تعالى: ﴿ **وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا**﴾[١] (ننشزها)...

١- سورة البقرة، الآية: ٢٨٠ .
٢- سورة سبأ، الآية: ١٩٩ .

الوجه الرابع؛ أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتاب ولا يغير معناها نحو قوله تعالى... ﴿كالصوف المنفوش﴾ و﴿ **كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ**﴾[٢].

الوجه الخامس؛ أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها نحو قوله تعالى: ﴿وطلع منضود﴾ في موضع: ﴿**وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ**﴾[٣].

الوجه السادس؛ أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو قوله: ﴿**وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ**﴾[٤] وفي موضع آخر ﴿وجاءت سكرة الحق بالموت﴾.

والوجه السابع: أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله تعالى: ﴿وما عملت أيديهم﴾، ﴿**وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ**﴾[٥].

يكون لأجل اختلاف حكمين شرعيين، كقراءة: ﴿**وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**﴾[٦]، بالكسر والفتح، الفتح عطفاً على أيديكم فيكون حكمها الغسل كالوجه، وقراءة الكسر عطفاً على رؤوسكم فيكون حكمها المسح[٧].

١- سورة البقرة، الآية: ٢٥٩ .
٢- سورة القارعة، الآية: ٥ .
٣- سورة الواقعة، الآية: ٢٩ .
٤- سورة ق، الآية: ١٩ .
٥- سورة يس، الآية: ٢٥٥ .
٦- سورة المائدة، الآية: ٦ .
٧- ظ: المالكي البغدادي (ت:٤٣٨هـ) أبي علي الحسن، الروضة لافي القراءات الاحدى عشر، ص١٣.

وقد اختلف المفسرون في هاتين القراءتين فمن ذهب الى قراءة (وَأَرْجُلِكُمْ) بالخفض كان الحكم الفقهي عنده المسح[١]، ومن قرء (وَأَرْجُلَكُمْ) بالنصب كان الحكم عنده الغسل[٢]، وهو ما عليه الجمهور من المفسرين إلاّ ابن جرير الطبري: رأى التخيير بين الغسل والمسح، وجعَل القراءتين بمنزلة روايتين في الإخبار إذا لم يمكن ترجيح إحداهما على رأي من يرون التخيير في العمل إذا لم يعرف المرجّح[٣].

ومِن الفقهاء في مدرسة الصحابة بعد ان لحظ ان كلتا القراءتين بـ(الخفض والنصب) متواترتين ذهبوا الى الجمع بين القراءتين وحكميهما وذلك أن يجعل المسح للابس الخف والغسل لغيره[٤].

إذن الوقوف على اختلاف القراءات لا يخلو من فوائد بالنسبة للمفسر، فلكل قراءة معنى، والرجوع إلى اختلاف القراءات يجعل المفسر يتعرض لمختلف المعاني الواردة بخصوص الآية مستفيداً منها في عمله.

١- وقرأه ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم، وخلف بالخفض. وروي هذا عن ابن عبّاس، وأنس بن مالك، وعكرمة، والشعبي، وقتادة. وهذا ما عليه فقهاء الإمامية ومفسريهم قاطبة، للتوسعة في الأدلة والمصادر ظ: السيد علي الحسيني الميلاني، المسح على الرجلين في الوضوء، سلسلة الندوات العقائدية (٢٧)، مركز الأبحاث العقائدية، سنة ١٤٢١هـ..

٢- قرأه نافع، وابن عامر، والكسائي، وحفص عن عاصم: بالنصب. ظ: الرازي، مفاتيح الغيب، ١٦١/١١، القرطبي، جامع لأحكام القرآن، ٩٤/٦، ابن العربي، أحكام القرآن لابن العربي، ٧٢/٢، الزمخشري، الكشاف، ٦١١/١..

٣- ظ: محمد فهد فاروق، الميسر في القراءات الأربعة عشر، ص١٠٨.

٤- ظ: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٥٨/٦.

١١) قاعدة: متشابه الآيات تابع لمحكمها:

للمحكم والمتشابه عدة تفسيرات، منها ما ذكره الرازي: بأن المحكم هو ما يسمى في عرف الأصوليين بالمبينّ، والمتشابه ما يسمى في عرفهم بالمجمل[١]. ومنها ما ذكره الراغب الأصفهاني بأن المتشابه هو ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره، سواء كان الإشكال من جهة اللفظ أو من جهة المعنى، وقد ذكر الراغب تفاصيل طويلة في شرح هذا الاتجاه[٢].

ومنها ما ذكر عن أبن عباس بأن المحكم ما يؤمن به ويعمل به، والمتشابه ما يؤمن به ولا يعمل به[٣]. ومنها ما ذكره الاصم بأن المحكم من الآيات ما كان دليله واضحاً لائحاً كدلائل الوحدانية والقدرة والحكمة، والمتشابه ما يحتاج في معرفته إلى تأمل وتدبّر[٤].

والملاحظ من هذه التفسيرات ان المحكم من الآيات هو ما يدل على مفهوم معين، ولا نجد صعوبة أو تردداً في تجسيد صورته أو تشخيصه من مصداق معين.

وأما المتشابه فهو ما يدل على مفهوم معين تختلط علينا صورته الواقعية ومصداقه الخارجي .

وبعبارة ثانية: ان المحكم هو كل كلام فصيح الألفاظ صحيح المعاني، وكل بناء وثيق أو عقد وثيق لا يمكن حله فهو (محكم)، فالمحكم هو الذي يحتمل وجهاً واحداً، وقيل هو ما يعلم تأويله، وقيل ما عرف المراد منه إما بالظهور أو بالتأويل،

١- ظ: تفسير مفاتيح الغيب، ١٨/٧.
٢- ظ: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ٢/٥.
٣- ظ: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٣٣/٣.
٤- ظ: الرازي، تفسير مفاتيح الغيب، ١٧/٧.

وقيل هو الذي يدل معناه بوضوح لإخفاء فيه، فيدخل فيه النص الذي وضع للمعنى المتبادر[١].

هذا باختصار بيان المراد من المحكم والمتشابه، واما تعيين المصاديق للمحكم والمتشابه، فهذا المعنى يطول المقام به ولا يمكن حصره في مبحثنا هذا.

ضرورة معرفة المحكم والمتشابه:

إنّ لمعرفة المحكم والمتشابه بالغ الأثر في فهم القرآن الكريم، حيث إنّ القرآن يشتمل على آيات محكمات تحوي أصول المعارف القرآنية المسلّمة والواضحة، وأُخَر متشابهات تتعيّن وتتّضح معانيها بإرجاعها إلى تلك الأصول. وهذا الإرجاع يحتاج إلى دراية وعلم خاصّ بالمحكم والمتشابه؛ قال الإمام الرضا عليه السلام: (من ردّ متشابه القرآن إلى محكمه، هُدِيَ إلى صراط مستقيم..)[٢].

أسباب وجود المتشابهات في القرآن؟

إنّ لوجود المتشابهات في القرآن أسباب عدّة[٣] منها:

أ- مجاراة القرآن في إلقاء معارفه العالية لألفاظ وأساليب دارجة، لم تكن موضوعة إلا لمعانٍ محسوسة أو قريبة منها، ومن ثَمَّ لم تكن تفي بتمام المقصود، فوقع التشابه فيها وخفيَ وجه المطلوب على الناس، إلاّ على الراسخين في العلم منهم.

١- ظ: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ٣/٢، محمد تقي الحكيم، الأصول العامة للفقه المقارن، ص١٠١، ابن العربي القاضي (ت:٥٤٣هـ)، قانون التأويل، ص٦٦٦.
٢- الصدوق، عيون أخبار الرضا "ع"، ٢٦١/١ .
٣- لمزيد من التفصيل، ظ: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٥٨/٣، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٧٥/٢، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٣٠/٢ – ٣٢، الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ٢٢٣/٢ – ٢٢٥.

ب- القرآن حمّال ذو وجوه، لاعتماده في أكثر تعابيره البلاغية على أنواع من المجاز والاستعارة والتشبيه. قال الإمام علي عليه السلام لأبن عبّاس . لمّا بعَثه للاحتجاج على الخوارج: (لا تخاصمهم بالقرآن، فإنّ القرآن حمّال ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكن حاجِجهم بالسُنَّة فإنَّهم لن يجدوا عنها محيصاً)[١].

ج- إنّ البيانات اللفظية القرآنية أمثال للمعارف الحقّة الإلهية، لأنّ البيان نزل في سطح هذه الآيات إلى مستوى الأفهام العامّة التي لا تدرك إلا الحسيّات، ولا تنال المعاني الكلّيّة إلا في قالب الجسمانيّات، ولما استلزم ذلك في إلقاء المعاني الكلّيّة المجرّدة من عوارض الأجسام أحد محذورين، فإنّ الأفهام في تلقّيها المعارف إن جمدت في مرحلة الحسّ انقلبت الأمثال بالنسبة إليها حقائق ممثّلة، وفيه بطلان الحقائق وفوت المقاصد.

أ- نماذج آيات الصفات الإلهية:

نماذج من آيات الصفات المتشابهات: وهي بظهورها الأوّلي فيها شبهة التجسيم، ومن هذه الآيات: قوله تعالى: ﴿...ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ...﴾[٢]، ﴿...ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ...﴾[٣].

١- قال الزَّركشي: (وقوله: ذُو وجوه، يحتمل معنيَين، أحدُهُما: أنَّ من ألفاظه ما يَحتمل وجوهًا من التَّأويل، والثَّاني: أنَّه قد جمع وجوهًا من الأوامِر والنَّواهي، والتَّرغيب والتَّرهيب، والتَّحليل والتَّحريم، وقوله: فاحملوه على أحسن وجوهه، يَحتمل أيضًا وجهينِ، أحدهما: الحمل على أحسنِ معانيه، والثَّاني: أحسن ما فيه من العزائم دون الرُّخَص، والعفو دون الانتِقام، وفيه دلالة ظاهرة على جواز الاستِنباط والاجتهاد في كتاب الله، والله أعلم). البرهان في علوم القرآن،

٢- سورة فصّلت، الآية:١١.

٣- سورة الأعراف، الآية: ٥٤، يونس: ٣، الرعد: ٢، الفرقان: ٥٩، السجدة: ٤، الحديد: ٤.

نماذج من آيات الصفات المحكمات: وهي ترفع الظهور الأوّلي للآيات المتشابهات وتبيّن مقصودها الحقيقي، وتزيل عن الذهن شبهة التجسيم، ومن هذه الآيات: قوله تعالى: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[١]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[٢]...

ب- نماذج آيات الأفعال الإلهيّة:

- نماذج من آيات الأفعال المتشابهات: وهي بظهورها الأوّلي تفيد الجبر وعدم الاختيار، وتنسب هدى الإنسان أو ضلاله إلى الله، وتعتبر مشيئة الله منشأ الإيمان والكفر والسعادة والشقاء، ومن هذه الآيات: قوله تعالى: ﴿...فَإِنَّ اللهَّ يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء...﴾[٣]،﴿...يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً...﴾[٤].

- نماذج من آيات الأفعال المحكمات: وهي ترفع الظهور الأوّلي للآيات المتشابهات، وتبيّن مقصودها الحقيقي، وتدلّ بكلّ وضوح على أنّ العناية الربّانية تأخذ بيد المؤهَّل لتلقّي الفيض والرحمة الإلهية، ويحرم منها المعرضون عن ذِكْر الله، وأنّ الإنسان موجود مختار، وسعادته وشقاؤه رهن إرادته، ومن هذه الآيات: قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَن شَاء ذَكَرَهُ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ...﴾[٦].

١- سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.
٢- سورة الشورى، الآية: ١١.
٣- سورة فاطر، الآية: ٨.
٤- سورة البقرة، الآية: ٢٦.
٥- سورة عبس، الآيتان: ١١-١٢.
٦- سورة الكهف، الآية: ٢٩.

ملحوظه في سؤال: المتشابه يشمل الظاهر أيضاً، ولا أقل من احتمال شموله للظاهر فيسقط عن الحجية؟

الجواب: إن لفظ المتشابه واضح المعنى ولا إجمال فيه ولا تشابه، ومعناه أن يكون للفظ وجهان من المعاني أو أكثر، وجميع هذه المعاني في درجة واحدة بالنسبة إلى ذلك اللفظ، فإذا أطلق ذلك اللفظ احتمل في كل واحد من هذه المعاني أن يكون هو المراد، ولذلك فيجب التوقف في الحكم إلى أن تدل قرينة على التعيين، وعلى ذلك فلا يكون اللفظ الظاهر من المتشابه.

ولو سلمنا أن لفظ المتشابه متشابه، يحتمل شموله للظاهر، فهذا لا يمنع عن العمل بالظاهر بعد استقرار السيرة بين العقلاء على اتباع الظهور من الكلام، فإن الاحتمال بمجرده لا يكون رادعاً عن العمل بالسيرة، ولا بد في الردع عنها من دليل قطعي، وإلا فهي متبعة من دون ريب، ولذلك فان المولى يحتج على عبده إذا خالف ظاهر كلامه، ويصح له أن يعاقبه على المخالفة، كما أن العبد نفسه يحتج على مولاه إذا وافق ظاهر كلام مولاه وكان هذا الظاهر مخالفاً لمراده. وعلى الجملة فهذه السيرة متبعة في التمسك بالظهور حتى يقوم دليل قطعي على الردع.

١٢) قاعدة: الحقيقة الشرعية مقدمة على اللغوية

تعرف الحقيقة: هي (اللفظ المستعمل فيما وُضِع له أولاً في الاصطلاح الذي به التخاطب)[١]، لغويًّا كان التخاطب أو شرعيًّا أو عرفيًّا، وقد استقرَّ هذا التعريف، فاشتهر بين الأصوليين[٢].

١- الآمدي، الإحكام؛ ٢٩/١. ظ: محمد رضا المظفر، أصول الفقه، ٢٢/١.
٢- د. مصطفى الزلمي، أصول الفقه، ص٤٠٢.

وعرفها الزركشي بأنها: (ذات الشيء وماهيته..، وتطلق ويراد بها المستعمل في أصل ما وضعت له في اللغة)[١].

وقال الشوكاني: (..إنها كل كلمة أريد بها عين ما وضعت له)[٢].. تبعاً لذلك فالحقيقة يراد بها معنى الكلمة، ويقابل الحقيقة مصطلح المجاز أي استعمال اللفظ في غير ما وضع له في العرف الذي وقع به التخاطب لعلاقة بينهما.

والوضع ثلاثة:

وضع أهل اللغة: كاستعمالهم الأسد للبهيمة المخصوصة، ووضع أهل الشرع: كوضع الصلاة لذات الأركان المعروفة وقد كانت في وضع أهل اللغة لمطلق الدعاء.

ووضع أهل العرف: وذلك كاستعمال لفظ الدابة في معنى خاص كالإبل، والبقر، والغنم وقد كانت في استعمال أهل اللغة لكلِّ ما يدبُّ على الأرض من النملة إلى الحصان.

فيسمى الوضع الأول بالحقيقة اللغوية.

ويسمى الوضع الثاني بالحقيقة الشرعية.

ويسمى الوضع الثالث بالحقيقة العرفية.

فإذا ورد الخطاب الشرعي بإحدى هذه الحقائق الثلاث فلا إشكال إذ يُحملُ على الحقيقة التي ورد بها.

١- البحر المحيط في أصول الفقه، ١٥٢/٢.

٢- الشوكاني، ارشاد الفحول، ٢١/١.

وإنّما الخلاف فيما إذا تعارضت هذه الحقائق الثلاث وتزاحمت فالأرجح تقديم الحقيقة الشرعية، ثم العرفية الموجودة في عصر النبوة، ثم اللغوية. لكون النبي ﷺ قد بعث لبيان الشرعيات. ولكون الناس إنّما يتخاطبون بالمعهود في عرفهم.

ترتيب معاني كلمات القرآن الكريم

إذا اختلفت معاني كلمات القرآن، فإن الترجيح يكون كالآتي:

أ. يقدم المعنى الشرعي أولاً على المعنى اللغوي والمعنى العرفي، إلا إذا وجد دليل يصرف عنه.

قال الزركشي: (أن يختلف أصل الحقيقة فيهما، فيدور اللفظ بين معنيين، هو في أحدهما حقيقة لغوية وفي آخر حقيقة شرعية، فالشرعية أولى إلا أن تدل قرينة على إرادة اللغوية،...، ولو دار بين الشرعية والعرفية، فالشرعية أولى لأن الشرع ألزم)[١].

نحو قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[٢]، ولا يفهم ههنا ان الصحابة أمروا بهذه الآية الكريمة بالصلاة على النبي وآله الصلاة الشرعية المعروفة! بل ان القرينة صارفة الى المعنى اللغوي وما بينته السنة الشريفة في هذا المورد؛ إذ جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: (يا رسول الله، هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة؟ فقال ﷺ: قل: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم

١- البرهان في علوم القرآن، ١٦٧/٢.
٢- سورة الاحزاب، الآية: ٥٦.

إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد)[١].

ب. يقدم المعنى العرفي، ثانياً، على المعنى اللغوي لأن المعنى العرفي هو الذي يغلب استعماله على غير مسماه اللغوي[٢]، قال الزركشي: (وكذلك إذا دار بين اللغوية والعرفية، فالعرفية أولى لطريانها على اللغة)[٣].

مثال ذلك أن الصوم يطلق في معناه اللغوي على مطلق الامتناع، وورد في سورة مريم: ﴿**فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا**﴾[٤] أي الامتناع عن الكلام والسكوت بدليل قوله تعالى: ﴿**فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا**﴾.

وقد يراد بالصوم معناه الشرعي: ﴿**فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**﴾[٥] الذي هو الإمساك والامتناع عن المفطرات[٦].

ومثال ذلك أيضاً أن القرء في أصله اللغوي هو الوقت، ثم صار معناه العرفي هو طهر المرأة وحيضها – فهو من الأضداد –، قال تعالى: ﴿**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ**﴾[٧] أي ثلاثة دخول من الحيض في الطهر[٨].

١- وذكر القرطبي جملة من فضائل الصلاة على النبي الخاتم وأهل بيته، منها: قال النبي ص: من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا) .
٢- ظ: القرافي، شرح التنقيح، ص٤٤..
٣- البرهان في علوم القرآن، ١٦٧/٢.
٤- سورة مريم، الآية: ٢٦.
٥- سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
٦- ظ: علي المشكيني، مصطلحات الفقه واصطلاحات الأصول، ص٣٤٣.
٧- سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.
٨- يقول الطبرسي: (والمراد بالقروء الأطهار عندنا. وبه قال زيد بن ثابت وعائشة وابن عمر ومالك والشافعي وأهل المدينة، .. إلا سعيد بن المسيب، والمروي عن ابن عباس وابن

فنلحظ ان معظم المصطلحاتِ الفقهية الإسلامية في العبادة وغيرها – كالصلاة والزكاة والصيام والهَدي والسعي ونحوها – محوَّل عن معانٍ لغوية عامة إلى معانٍ اصطلاحية خاصة، عن طريق القصد والعَمْد.

إذن نخلص مما تقدم؛ ان القرآن المجيد (أغلب ما ورد فيه من هذه الألفاظ أو كله محفوف بالقرائن المعينة لإرادة المعنى الشرعي، فلا فائدة مهمة في هذا النزاع بالنسبة إليه.

على أن الألفاظ الشرعية ليست على نسق واحد، فإن بعضها كثير التداول كالصلاة والصوم والزكاة والحج، لا سيما الصلاة التي يؤدونها كل يوم خمس مرات، فمن البعيد جداً ألا تصبح حقائق في معانيها المستحدثة بأقرب وقت في زمانه (ﷺ))[١].

١٣) قاعدة: الأمر بالشيء نهي عن ضده، والنهي عن الشيء أمر بضده:

لا خلاف أنَّ صيغة الأمر (افعل) مغايرة لصيغة النهي (لا تفعل)، فيكون الأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده من جهة المعنى لا من جهة اللفظ، فإذا قال له: اسكن، فهذا أمر بالسكون، نهي عن ضده وهو التحرك. قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا**﴾[٢] فالأمر بالثبات نهي عن عدم الثبات أمام الكفار، وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلاَ**

مسعود والحسن ومجاهد ورووه أيضاً عن علي أن القرء الحيض،..، وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه..)، مجمع البيان، ٧٨/٢.

١- محمد رضا المظفر، أصول الفقه، ٣٩/١، ظ: د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص٣٢٢، د. سيروان الجنابي، المنطلقات الفكرية لتفسير النص القرآني، ص٤٢..

٢- سورة الانفال، الآية: ٤٥.

﴿تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾[١] أي (اثبتوا لقتالهم واصبروا على جلادهم)[٢]، ومثاله أيضاً: الأمر بالقيام في الصلاة نهي عن ضده وهو الجلوس، فلو جلس من قيامه أثناء صلاة الفرض عمداً لغير عذر بطلت صلاته؛ لأن أمره بالقيام نهي له عن الجلوس.

١٤) قاعدة: الخطاب الموجه للرسول ﷺ عام لجميع الأمة إلا إذا دل دليل على التخصيص:

كان المعاصرون لنزول الوحي يعون وجود خصائص للنبي محمد ﷺ امتاز بها على عامة الناس وعلى غيره من الأنبياء عليهم السلام، وهذه الخصائص تجعله ﷺ استثنائي في مراد الخطاب له وفي كثير من الاحكام التشريعية[٣]، ومن ثم فإن أغلب الخطاب القرآني الموجه للنبي ﷺ يَفهم منه الصحابة انه خطاب عام لجميع الأمة، ومن ذلك ما فهمه ابن عباس من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٤]. إذ قال ابن عباس: (في الحرام يُكَفَّر، وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٥])[٦]. يقصد ابن عباس ان الآية المذكورة في خطاب النبي ﷺ وهي في أول سورة التحريم، فهي خطاب للنبي ﷺ وقد فهم منها ابن عباس أن حكمها لجميع الأمة.

١- سورة الانفال، الآية: ١٥.
٢- السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٣٢٧.
٣- كتعدد الزوجات بأكثر من اربعة ووجوب صلاة الليل مثلاً، وأما في مجال التكريم والمقام: ظ: د. محمد كاظم الفتلاوي، الخصائص المحمّدية في القرآن الكريم – دراسة تفسيرية -، ص٢٩.
٤- سورة التحريم، الآية: ١.
٥- سورة الاحزاب، الآية: ٢١.
٦- البخاري، صحيح البخاري، .

وعن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) قال: **(نزل القرآن بإياك أعني واسمعي يا جاره)**[١]، – وهو مثل تعارفت عليه العرب في خطاباتها[٢] – معنى ذلك أنَّ القرآن قد يُخاطب النبي (صلى الله عليه وآله) ببعض الخطابات ويكون المعنيُّ من ذلك الخطاب هو الناس وليس النبي صلى الله عليه وآله.

ومثال ذلك قوله تعالى مخاطباً النبي (صلى الله عليه وآله): ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ**﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿**فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ، وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ..**﴾[٥].

١- الكليني، الكافي، ٦٣١/٢.

٢- الجارة: الضرة، قيل لها جارة استكراها للفظ الضرة. ومن أمثال العرب إياك أعني و اسمعي يا جارة قيل أول من قال ذلك سهل بن مالك الفزاري، و ذلك أنه خرج فمر ببعض أحياء طي فسأل عن سيد الحي فقيل هو حارثة بن لام الطائي، فأم رحله فلم يصبه شاهدا، فقالت له أخته: انزل في الرحب والسعة، فنزل فأكرمته وألطفته، ثم خرجت من خباء فرآها أجمل أهل زمانها فوقع في نفسه منها شيء فجعل لا يدري كيف يرسل إليها ولا ما يوافقها من ذلك، فجلس بفناء الخباء وهي تسمع كلامه فجعل ينشد:

يا أخت خير البدو والحضاره * كيف ترين في فتى فزاره
أصبح يهوى حرة معطاره * إياك أعني واسمعي يا جاره

فلما سمعت قوله علمت أنه إياها يعني، فضرب مثلاً. ظ: الطريحي، مجمع البحرين، ٤٢٧/١. فأجابتها بالنظم:

أنى أقول يا فتى فزارة * لا أبتغي الزوج ولا الدعارة
ولا فراق أهل هذى الجارة * فارحل إلى أهلك باستخارة

فاستحيى الفتى وارتحل.

٣- سورة الزمر، الآية: ٥٦.

٤- سورة الاحزاب، الآية: ١.

٥- سورة القصص، الآية: ٨٦ - ٨٧.

فمثل هذا الآيات[١] وإن كان المخاطب فيها هو النبي (ﷺ) إلا أنَّ المعنيَّ من هذه الخطابات هو عموم الناس. وهذا الأسلوب من الكلام متعارف عند أهل المحاورة، فكثيراً ما يخاطب أحدٌ صاحبه ويكون المقصود من الخطاب هو مَن يسمع ذلك الخطاب، فقد يعلم الملقي للخطاب أنَّ المتلقيَ لخطابه مستغنٍ عن مفاده ولكنه يُخاطبه به لينتفع به مَن يصل إليه ذلك الخطاب. فقد يكون ذلك أوقع في نفس مَن وصل إليه الخطاب مما لو كان هو المُخاطَب ابتداءً خصوصاً إذا كان المُخاطَب يحظى بموقعٍ متميز في نفوس المعنيين بالخطاب كما هو النبي (ﷺ) في نفوس المسلمين، فهم يرون له مقاماً سامياً عند الله تعالى، فإذا خوطب وهو النبي الأحظى عند الله من سائر الأنبياء بمثل قوله تعالى: ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**﴾ فإنَّ وقع ذلك على قلوب المؤمنين يكون بليغاً وسيدفعهم هذا الخطاب إلى التشدُّد في الحرص على عدم الوقوع في الشرك لأنَّه إذا كان وقوعه من النبي (ﷺ) موجباً لحبط عمله فوقوعه منهم أولى بحبط أعمالهم التي مهما تعاظمت فهي لن تضاهي معشار الصالحات من أعمال النبي الكريم (ﷺ).

فقوله تعالى لنبيِّه (ﷺ): ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**﴾ لا يعني إمكانية صدور الشرك من الرسول (ﷺ) فذلك مستحيل وقوعاً نظراً لعصمته فهو ليس معنيَّاً بهذا الخطاب وإنما الغرض من توجيه الخطاب إليه هو التعبير عن خطورة هذا الذنب والتأكيد على لزوم حذر المؤمنين من الوقوع فيه.

ومن الأمثلة الأخرى قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ..**﴾[٢]، قال الطوسي: (وروي عن ابن عباس أنه

١- للتوسعة في آراء المفسرين فيها: ظ: القمي، تفسير القمي، ٢٥١/٢، الطبرسي، مجمع البيان، ٤٦٥/٧، محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٢٨٥/٩..
٢- سورة النساء، الآية: ١.

قال: نزل القرآن بإياك أعني واسمعي يا جارة، فيكون الخطاب للنبي والمراد به الأمة من ذلك. وقال قوم: تقديره يا أيها النبي قل لأمتك إذا طلقتم النساء..)[١].

كذلك نلحظ في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾[٦].

وهذا من الأساليب الشائعة في الأدب العربي استعمال تعبير (أَلَمْ تَرَ) فيما يطلب الفات النظر إليه، وبالرّغم من (أن المخاطب هو رسول الله ﷺ ولكن الكلام موجّه بطبيعة الحال إلى جميع الناس)[٧].

١٥) قاعدة: الاستفهام الإنكاري يكون مضمناً معنى النفي:

فهو يدل على أن الأمر المستفهم عنه أمر منكر، وقد يكون هذا الذي ينكره العقل أو الشرع أو العرف أو القانون أو غير ذلك.

١- الطوسي، تفسير التبيان، ٢٩/١٠.
٢- سورة البقرة، الآية: ٢٤٣.
٣- سورة البقرة، الآية: ٢٤٦.
٤- سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.
٥- سورة النساء، الآية: ٤٩.
٦- سورة ابراهيم، الآية: ١٩.
٧- ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٣٩/٢.

وللاستفهام الإنكاري في القرآن الكريم أنواع بحسب المراد بالإنكار، فقد يكون إنكاراً يراد به التوبيخ على أمر قد مضى، أو أمر قائم، أو إنكاراً للتكذيب وغير ذلك.

ومن أمثلته قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام يخاطب أخاه هارون عليه السلام: ﴿**أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي؟**﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿**أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا؟**﴾[٢]. ينكر عليهم إنكاراً فيه تكذيب لهم.

وقوله تعالى على لسان نوح عليه السلام عندما دعا قومه فكذبوه: ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ؟**﴾[٣].

ويجب في الاستفهام الإنكاري أن يقع الأمر المُنْكَر بعد همزة الاستفهام كما في الأمثلة.

وقد يكون الأمر المنكر – بفتح الكاف – هو الفعل كما في قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام يخاطب عمه: ﴿ **أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً؟**﴾[٤] ينكر عليه ذلك.

وقول إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿**قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ؟**﴾[٥] ينكر عليهم فعلهم.

١- سورة طه، الآية: ٩٣.
٢- سورة الاسراء، الآية: ٤٠.
٣- سورة هود، الآية: ٢٨ .
٤- سورة الانعام، الآية: ٧٤.
٥- سورة الصافات، الآية: ٩٥ .

وقد يكون المنكر هو الفاعل، كقوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ؟﴾[١] وقوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ؟﴾[٢].

وقد يكون المنكر هو المفعول، كقوله تعالى: ﴿أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا؟﴾[٣]. وقوله تعالى: ﴿أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ؟﴾[٤].

وقد يكون المنكر هو المفعول لأجله، كقوله تعالى: ﴿أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللهِ تُرِيدُونَ؟﴾[٥] وغير ذلك.

وأمثلته الاخرى نلحظها في: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾[٦] وهو استفهام إنكار في معنى النفي، ولذلك استثنى منه {إِلَّا الضَّالُّونَ}. يعني أنه لم يذهب عنه اجتناب القنوط من رحمة الله، ولكنه امتلكه المعتاد فتعجب فصار ذلك كالذهول عن المعلوم فلما نبّهه الملائكة أدنى تنبيه تذكّر.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾[٧] أي لا أحد يرغب عنها. ولا أحد يُعرض عن دين إبراهيم إلا سفيه جاهل، ولقد اخترنا إبراهيم في الدنيا نبيًّاً ورسولاً وإنه في الآخرة لمن الصالحين الذين لهم أعلى الدرجات[٨].

١- سورة الزخرف، الآية: ٣٢.
٢- سورة يونس، الآية: ٩٩ .
٣- سورة الانعام، الآية: ١٤ .
٤- سورة الانعام، الآية: ٤٠.
٥- سورة الصافات، الآية: ٨٦.
٦- سورة الحجر، الآية: ٥٦.
٧- سورة البقرة، الآية: ١٣٠.
٨- ظ: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢٧٦/١.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ﴾[١]، أي: ليس أحد يغفر المعصية ولا يزيل عقوبتها إلا الله[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾[٣]، أي: لا أحد أظلم ممن فعل ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾[٤]، أي ولا أحد أظلم ممن فعل ذلك.

وقوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾[٥] والمعنى: أن المضطر إذا دعا لتحصيل ما اضطر إليه فإنه لا يجيبه إلا الله بقطع النظر عن كونه يجيب بعضاً ويؤخر بعضاً .

١٦) قاعدة: ﴿عَسَى﴾ مِن الله في القرآنِ وَاجِبة:

معنى عسى في اللغة: الإشفاق والطمع في قرب الشيء، فهي من أفعال المقاربة، ومعناها في القرآن الكريم هو معناها في اللغة، لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين، لكنها إذا جاءت من الله تعالى فإن معناها التحقيق كما أجمع المفسرون على ذلك: (إن عسى من الله سبحانه لفظة وجوب في جميع القرآن)[٦].

١- سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.
٢- ظ: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٤/ ٢٣٢.
٣- سورة البقرة، الآية: ١١٤.
٤- سورة الانعام، الآية: ٩٣.
٥- سورة النمل، الآية: ٦٢.
٦- الطبرسي، مجمع البيان، ٣٠٢/٧.

أي: ان كل "عَسَى" بمعنى الرجاء إذا وقعتْ مِن المخلوق؛ فإنْ كانت مِن الخالقِ فَهِيَ للوقوعِ، ومعنى واجبة أي واقعة حَتْمًا.

وعلّة ذلك بأنّ الرجاء في حقِّ الله تعالى غير وارد؛ إذْ إنّه المتصرّف المدبّر، والرجاء إنّما يكون ممّن لا يملك الشيء فيرجوه مِنْ غيره، ومن أمثلته:

قوله تعالى: ﴿فَعَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾[١] أي بالقضاء الفصل من نصر محمد ﷺ على من خالفه[٢].

وقوله تعالى: ﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[٣]. وقوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾[٥]. وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾[٦] .

وذُكر أنّ سبب مجيئها على صيغة التَّرَجِّي: حتى لا يأمنَ الإنسانُ مَكْرَ الله ولئلا يتكلوا ويتركوا ما يجب العمل[٧].

وقال الزركشيُّ: (ولما كان القرآن قد نزل بلغة العرب جاء على مذاهبهم في ذلك، والعرب قد تخرج الكلام المتيقن في صورة المشكوك؛ لأغراض، فتقول: لا تتعرض لما يسخطني، فلعلك إن تفعل ذلك ستندم؛ وإنما مراده أنه يندم لا محالة،

١- سورة المائدة، الآية: ٥٢.
٢- ظ: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٢٣٢.
٣- سورة النساء، الآية: ٨٤.
٤- سورة النساء، الآية:٩٩.
٥- سورة الاعراف، الآية: ١٢٩.
٦- سورة الاعراف، الآية: ١٨٥.
٧- ظ: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ٩/ص٧٤ ص٣٩٨.

ولكنه أخرجه مخرج الشك تحريراً للمعنى، ومبالغة فيه؛ أي أن هذا الأمر لو كان مشكوكاً فيه لم يجب أن تتعرض له؛ فكيف وهو كائن لا شك فيه!)[١].

وقد استثنى بعضُ المفسّرين[٢] مِنْ هذه القاعدة آيتين هن:

١- قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾[٣] يعني: بني النضير فما رحمهم، بلْ قاتَلهم رَسُول الله ﷺ، وأوْقع عليهم العقوبة[٤].

٢- قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنّ﴾[٥] والله سبحانه ما أبدله أزواجاً خيراً منهن ديناً وجمالاً![٦].

والمتتبع للآيتين الآنفتين يلحظ انهن لم يكن استثناء من القاعدة، فبنّي إسرائيل عادوا الى إجرامهم فكانت عقوبتهم حاضرة، وفي الآية الثانية لم يقع الطلاق أصلاً ومن ثم لم يقع التبديل، قالَ السيوطيّ: (وأبطل بعضهم الاستثناء، وعمّم القاعدة؛ لأنّ الرحمة كانت مشْروطة بألاّ يعودوا، كما قالَ: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾[٧] وقد عادوا، فوجبَ عليهم العذاب، والتبديلُ مشْروطٌ بأنْ يُطلِّقَ ولَمْ يُطلِّقْ، فلا يجب)[٨]. **إذن** يبدو ان هذه القاعدة كلِّيةٌ لَمْ يُسْتثن منها شيءٌ على الصحيح .

١- البرهان في علوم القرآن، ١٥٩/٤.
٢- ظ: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٤٨٥/٩، السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ٤٨١/١.
٣- سورة الإسراء، الآية: ٨.
٤- ظ: البيضاوي، أنوار التنزيل، واسرار التأويل، ٤٣٧/٢.
٥- سورة التحريم، الآية: ٥.
٦- ظ: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٩٧٠.
٧- سورة الإسراء، الآية: ٨.
٨- الاتقان في علوم القرآن، ٤٨٠/١، ظ: البيضاوي، أنوار التنزيل واسرار التأويل، ٢٩٣/٤، السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص ٤٨٥/ ص٩٧٠، ويرى الرازي في الآية الثانية: (لعل ربكم أن يرحكم ويعفو عنكم بعد انتقامه منكم يابني إسرائيل). مفاتيح الغيب، ١٢٨/٢٠.

١٧) قاعدة: التفسير يكون بالأغلب الظاهر من اللغة:

وذلك أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين فلا يصح تفسيره بغير الأظهر والأغلب والأبين من كلام العرب، قال السيد الخوئي: (ولا بد للمفسر من أن يتبع الظواهر التي يفهمها العربي الصحيح "فقد بينا لك حجية الظواهر"..)[١]، فالمعاني التي تحمل من ألفاظ القرآن ان تكون مستمدة لما تعارف في الغالب بخطابات العرب أبان نزول الوحي، قال الطبري: (غير جائز أن نحمل معاني كتاب الله على غير الأغلب المفهوم بالظاهر من الخطاب في كلام العرب ولنا الى حمل ذلك على الأغلب من كلام العرب سبيل)[٢].

وبالتأكيد ليست هذه القاعدة بإطلاقها فهي مشروطة على ان لا يكون هنالك ما يخالفها من سنة المعصوم عليه السلام وان لا تكون من المعاني التي لم يتعارف بالأغلب في خطابات العرب وان وجد هكذا معاني فيها، وإذا انصرف التفسير الى المعنى غير المتعارف المشهور فلابد من قرينة تدل على ان المراد هو المعنى غير المشهور في كلامهم، يقول الطبري: (كلام الله الذي خوطب به العرب غير جائز توجيهه إلا الى المعروف المستعمل من معانيه، إلا أن تأتي دلالة أو تقوم حجة على أن ذلك بخلاف ذلك يجب التسليم لها)[٣].

ومثالنا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾[٤]، فقد توقف بعض المفسرين[٥] عن بيان الراجح فيما أُختلف فيه في معنى: (خلاق)! إذ

١- البيان، ص٣٩٧ .
٢- جامع البيان عن تفسير آي القرآن، ٥٧٨/٨.
٣- المصدر نفسه، ٤٨٢/٨.
٤- سورة البقرة، الآية: ١٠٢.
٥- ظ: الآلوسي، روح المعاني، ٤٧٠/٢، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٥٠/١.

قال مجاهد: هو النصيب، وقال ابن عباس: هو القوام، وقال قتاده: هو القدر، وقال الحسن البصري: ليس له دين.

والتزاماً بهذه القاعدة يكون المعنى المقصود لكلمة (خَلَاق) هو: النصيب لما تعارف في خطابات العرب، وهذا ما اختاره الطبري لأنه المستعمل الغالب عندهم، يقول الطبري: (وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معنى (الخلاق) في هذا الموضع: النصيب، وذلك أن ذلك معناه في كلام العرب)[١].

١٨) قاعدة: القول المجمع عليه أولى بالأخذ به بالتفسير:

تختلف أقوال أهل التفسير في فهم المراد القرآني، وهذا الاختلاف من سجية البشر ومن تباين الفهوم، وعند تحير المعنى مع أختلاف الأقوال فإن الخيار يكون لما غلب عليه الجمع من الأقوال دون ما جاء به المفرد من القول في فهم النص القرآني، قال الطبري: (وما جاء به المنفرد فغير جائز الاعتراض به على ما جاءت به الجماعة التي تقوم بها الحجة نقلاً وقولاً وعملاً)[٢].

وليس المراد هنا هو طرق الترجيح في فهم أي الأقوال المختلفة هو الأقرب لمراد الله تعالى – كما سيأتي بيانها – وانما هو الوقاية من ضلال الأقوال المنحرفة عن قواعد التفسير والمتعارف عليه عند أهل النقل والعقل. وكثيراً ما يقول الطبري: (أولى الأقوال ما أجمع عليه أهل التأويل)[٣].

١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٤٥٣/٨.
٢- المصدر نفسه، ٤٠٨/١.
٣- المصدر نفسه: ٥٥٢/١، ٥٩٠/٢، ١٤٧/١٢، ١١٩/١٣.

ومثال هذه القاعدة في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾[١]، فقد حكي عن ابن زيد أن المراد من (أُلُوفٌ): أي (خرجوا مؤتلفي القلوب ولم يخرجوا عن تباغض)[٢]، والظاهر أنه فهم مؤتلفة قلوبهم: جمع ألف، مثل قاعد، وقعود!

وهذا القول شاذ في فهم (أُلُوفٌ) من ائتلاف قلوبهم، والقول الصائب في (أُلُوفٌ) هو ما أجمع عليه المفسرون بأن المراد هو العدد والكثرة منه[٣]، وسبب اختيار هذا القول من المفسرين (لإجماع الحجة على أن ذلك تأويل الآية ولا يعارض بالقول الشاذ ما استفاض به القول)[٤].

١٩) قاعدة: إذا احتمل اللفظ وجوهاً متعددة، ولا مانع من إرادة الجميع وجب حمله عليها:

أي: أن الآية إذا احتملت عدة معان مع إمكان حملها عليها جميعاً، فإننا نحمل الآية على جميع تلك المعاني. قال الزركشي – متحدثاً عن اللفظ إذا دل على معنيين –: (الضرب الثاني ألا يتنافيا اجتماعاً، فيجب الحمل عليهما عند المحققين، ويكون ذلك أبلغ في الإعجاز والفصاحة، وأحفظ في حق المكلف، إلا أن يدل دليل على إرادة أحدهما)[٥].

١- سورة البقرة، الآية: ٢٤٣.
٢- الآلوسي، روح المعاني، ٧٥٣/٢.
٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٤٥٣/٨.
٤- ظ: البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ٢٠٩/١، ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٣٩/٢، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٤٥٥/٢..
٥- البرهان في علوم القرآن، ١٦٨/٢.

وقال الشنقيطي مبيناً منهجه في تفسيره عند تعدد الأقوال: (وربما كان في الآية الكريمة أقوال كلها حق، وكل واحد منها يشهد له قرآن، فإنا نذكرها ونذكر القرآن الدال عليها من غير تعرض لترجيح بعضها، لأن كل واحد منها صحيح)[١].

وكذلك نلحظ منهج العلامة الطباطبائي في تفسيره للوجوه المتعددة فكان يرجح الرأيين والثلاثة والأربعة، فيذكر الوجوه التفسيرية ويعقب بقوله: (والوجوه الأربعة مترتبة في الوجاهة وأوجهها أولها)[٢].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[٣]، يذكر الطباطبائي وجوه سته للفظ، فيقول[٤]:

١. قيل: كناية عن إصلاح العمل، ولا يخلو من وجه فإن العمل بمنزلة الثياب للنفس بما لها من الاعتقاد فالظاهر عنوان الباطن، وكثيراً ما يكنى في كلامهم عن صلاح العمل بطهارة الثياب.
٢. وقيل: كناية عن تزكية النفس وتنزيهها عن الذنوب والمعاصي.
٣. وقيل: المراد تقصير الثياب لأنه أبعد من النجاسة ولو طالت وانجرت على الأرض لم يؤمن أن تتنجس.
٤. وقيل: المراد تطهير الأزواج من الكفر والمعاصي لقوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ﴾[٥].

١- أضواء البيان، ٨٦/١.
٢- الميزان في تفسير القرآن، ٣٦٧/١٣، وللتوسعة في أسلوبه في التعبير عن الترجيح بين هذه الأقوال ظ: السيد جوادي آملي – المقدمة -، تفسير الميزان، ص١٩٢.
٣- سورة المدثر، الآية: ٤.
٤- الميزان في تفسير القرآن، ٧٥/٢٠.
٥- سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

٥. وقيل: الكلام على ظاهره والمراد تطهير الثياب من النجاسات للصلاة والأقرب على هذا أن يجعل قوله: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[١] إشارة إلى تكبير الصلاة وتكون الآيتان مسوقتين لتشريع أصل الصلاة مقارناً للأمر بالدعوة.

ولا يرد عليه ما قيل: إن نزول هذه الآيات كان حيث لا صلاة أصلاً وذلك أن تشريع الفرائض الخمس اليومية على ما هي عليها اليوم وإن كان في ليلة المعراج وهي جميعاً عشر ركعات ثم زيد عليها سبع ركعات إلا أن أصل الصلاة كان منذ أوائل البعثة كما يشهد به ذكرها في هذه السورة وسورتي العلق والمزمل، ويدل عليه الروايات.

٦. وقيل: المراد بتطهير الثياب الخلق بالأخلاق الحميدة والملكات الفاضلة.

وفي آخر كلامه يذكر ان هناك وجوه أخرى لمعنى تطهير الثياب ولكنه يغمض عن نقلها لإمكان إرجاعها إلى بعض ما تقدم من الوجوه، ويختم قوله في اختيار وجهين للفظ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: وأرجح الوجوه المتقدمة أولها وخامسها.

٢٠) قاعدة: الآيات التي توهم التعارض يحمل كل نوع منها على ما يليق به ويناسب المقام كل بحسبه:

قد يفهم بعض الناس أن هناك اختلافاً بين الآيات – وهو في الحقيقة ليس كذلك – فإنه في هذه الحالة تحمل كل آية على ما يناسبها، قال الزركشي: (والقاعدة في هذا وأشاهه أن الألفاظ إذا اختلفت وكان مرجعها الى أمر واحد لم يوجب ذلك اختلافاً)[٢].

١- سورة المدثر، الآية: ٣.
٢- البرهان في علوم القرآن، ٤٦/٢.

وقال الكرماني(ت: ٥٠٥هـ): الاختلاف على وجهين[١]:

١. اختلاف تناقض: وهو ما يدعو فيه أحد الشيئين الى خلاف الآخر، كما زعم بعض الملحدة في بعض من الآيات.
٢. اختلاف تلازم: وهو ما يوافق الجانبين، كاختلاف وجوه القراءات، ومقادير السور والآيات، واختلاف الأحكام من الناسخ والمنسوخ، والأمر والنهي، والوعد والوعيد.

ومن أمثلة ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾[٢]، حيث دلت على أنه لا أنساب بين الناس يوم القيامة، وأنهم لا يتساءلون ذاك اليوم.

بينما جاء ما يدل على ثبوت الأنساب بينهم في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾[٣]، وفي آيات أخرى ما يدل على أنهم يتساءلون كما في قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾[٤].

والجواب عن الأول: أن المراد بنفي الأنساب انقطاع فوائدها وآثارها التي كانت مترتبة عليها في الدنيا، لا نفي حقيقتها، فإن الكفار يَدَّعون أن أنسابهم تنفعهم يوم القيامة، فأخبر تعالى أنه لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

والجواب عن الثاني من وجهين[٥]:

١- ظ: غرائب التفسير وعجائب التأويل، ٣٠١/١.
٢- سورة المؤمنون، الآية: ١٠١.
٣- سورة عبس، الآية: ٣٤ - ٣٦.
٤- سورة الطور، الآية: ٢٥.
٥- ظ: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٨٨/٣.

الأول: أن كلامهم ونطقهم إنما هو في أول الأمر، إذ يتكلمون ويعتذرون وقد ينكرون ما هم عليه من الكفر ويقسمون على ذلك، ثم إذا ختم على ألسنتهم وأفواههم، وشهدت عليهم جوارحهم بما كانوا يكسبون، ورأوا أن الكذب غير مفيد لهم أخرسوا فلم ينطقوا. وهو ما أخبرنا به الله سبحانه، قال تعالى: ﴿**خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿**يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[٢].

الثاني: أن نفي السؤال عند تشاغلهم بالصعق والمحاسبة والجواز على الصراط، وإثباته فيما عدا ذلك.

٢١) قاعدة: الفعل المعدَّى بالحروف المتعددة، لا بد أن يكون له مع كل حرف معنى زائد على معنى الحرف الآخر:

إن الفعل المعدى بالحروف المتعددة لا بد أن يكون له مع كل حرف زائد على معنى الحرف الآخر، وهذا بحسب اختلاف معاني الحروف، فإن ظهر اختلاف الحرفين ظهر الفرق، نحو: رغبت عنه، ورغبت فيه، وعدلت إليه، وعدلت عنه، وملت إليه، وعنه، وسعيت إليه، وبه.

١- سورة البقرة، الآية: ٧.
٢- سورة النور، الآية: ٢٤.

ومن ذلك ما نقله عن الراغب من قوله في الفرق بين تعدية الفعل: (راغ) بـ(إلى)، و (على)؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾[١]. ﴿فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾[٢]. وقوله تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ﴾[٣].

ومن ذلك قوله في تعدية الفعل (جرى) بـ(إلى) التي تدل على انتهاء الغاية، وباللام التي تدل على معنى الاختصاص؛ كقولك: جرى لأجل، وجرى إلى أجل، ومثالهما في القرآن:

١. قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[٤].
٢. قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[٥] .

وكثير من النحاة يجعلون أحد الحرفين بمعنى الآخر. وأما فقهاء أهل العربية فلا يرتضون هذه الطريقة، بل يجعلون للفعل معنى مع الحرف، ومعنى مع غيره، فينظرون الى الحرف وما يستدعي من الأفعال، فيشربون الفعل المتعدى به معناه[٦]، هذه طريقة إمام الصناعة سيبويه (ت:١٨٠هـ)، وطريقة حذَّاق أصحابه يُضَمِّنون الفعل معنى الفعل، لا يقيمون الحرف مقام الحرف، وهذه قاعدة جليلة تستدعي فطنة في الذهن.

١- سورة الذاريات، الآية: ٢٦.
٢- سورة الصافات، الآية: ٩١.
٣- سورة الصافات، الآية: ٩٣.
٤- سورة الرعد، الآية: ٢.
٥- سورة لقمان، الآية: ٢٩.
٦- ظ: ابن قيم الجوزية (ت: ٦٥١هـ)، بدائع الفوائد، ٢٠/٢.

٢٢) قاعدة: زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى:

صرح علماء البيان أن زيادة مبني الكلمة أي حروفها يدل على زيادة مقابلة في المعنى. أي أن حروف الكلمة كلما زادت يزيد المعنى معها. قال ابن جني: (فإذا كانت الألفاظ أدلة المعاني ثم زيد فيها شيء أوجبت القسمة له زيادة المعنى به)[١].

وإن إطلاق لفظ (زائد) في القرآن الكريم أمرٌ متنازعٌ فيه، فمنهم من يسمّيه حرف تأكيد، ومنهم من يسمّيه (صلة) ومنهم من يسمّيه (مقحم) مع تحرّج الكثيرين من إطلاق لفظ (زائد) تأدّباً من أن يكون في القرآن الكريم زيادة.

والظاهر أن الزيادة واللغو من عبارات البصريين، والصلة والحشو من عبارات الكوفيين، قال الزركشي: (وقد اختلف في وقوع الزائد في القرآن فزعم المبرّد وثعلب أن لا صلة في القرآن، والدهماء من العلماء والفقهاء والمفسرين على إثبات الصلات في القرآن، وقد وجد ذلك على وجهٍ لا يسعنا إنكاره فذكر كثيرا)[٢].

ويبدو ان الزيادة مصطلح نحويّ وليس من اللازم أن يكون المصطلح مطابقاً للدلالة المقامية، فهم يريدون به أن الحرف زائد من جهة الإعراب لا من جهة المعنى، ولا يصح إسقاطه لأنه لم يُؤتَ بِه للوصل بين الألفاظ في الجملة ولكن جيء به لمقاصد بيانية تُدرك بالحس العربي السليم وبسجيّة الفصاحة، قال الزركشي: (سئل بعض العلماء عن التوكيد بالحرف وما معناه إذ إسقاط كل الحرف لا يخل بالمعنى فقال هذا يعرفه أهل الطباع إذ يجدون أنفسهم بوجود الحرف على معنى زائد لا يجدونه بإسقاط الحرف)[٣].

١- الخصائص، ٣/٣٧١.
٢- البرهان في علوم القرآن، ٣/٧٢.
٣- البرهان في علوم القرآن، ٣/٧٤.

وقد ساقت باحثة جملة من الأسباب التي دفعتها الى البحث في موضوع الزيادة في القرآن الكريم، ووجدت انها قضية خلافية، وانتهت الى انها ليست مسألة نحوية فحسب؛ بل هي متشعبة، لها طرف متصل بعلم التفسير، وآخر بعلوم اللغة والبيان، فلا بد من تشعب الدراسة في هذه المجالات جميعها للإلمام بجميع جوانب المسألة وإعطائها حقها من البحث والدرس[١].

وبهذا يبدو ان في توضيح هذه القاعدة إشكاليات[٢]، ناهيك عن القبول والرفض بين العلماء وبين التوجيه لمضمونها، كما انفرد السيد الخوئي برأي خالف فيه ان زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى وهو في معرض تفسيره لآية البسملة، فقال: (وقد خفي الامر على جملة من المفسرين، فتخيلوا أن كلمة "الرحمن" أوسع معنى من كلمة "الرحيم" بتوهم أن زيادة المباني تدل على زيادة المعاني. وهذا التعليل ينبغي أن يعد من المضحكات، فإن دلالة الألفاظ تتبع كيفية وضعها، ولا صلة لها بكثرة الحروف وقلتها. ورب لفظ قليل الحروف كثير المعنى، وبخلافه لفظ آخر، فكلمة (حذر) تدل على المبالغة دون كلمة (حاذر)، وإن كثيراً ما يكون الفعل المجرد والمزيد فيه بمعنى واحد، كضر وأضر)[٣].

ويُعد الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) ممن تعرض في تفسيره (الكشاف) لهذه المسألة في مواضعها، وجاء بفوائد ولطائف لا نكاد نجدها عند من سبقه؛ فهو لا يتوقف عند مجرد التوكيد كما يذكر السابقون، بل يبين الدلالة المتعلقة بكل موضع، ويربطها بالسياق، ويوضح فائدتها البلاغية.

ومن أمثلته ما نلحظه في الفعلين: **(اسْطَاعُوا)** و**(اسْتَطَاعُوا)** في قوله تعالى:

١- ظ: سهير إبراهيم أحمد سيف، الزيادة في القرآن الكريم، ص٢٠٣.
٢- ظ: د. محمد ذنون يونس الراشد، إشكاليات زيادة المبنى ودلالتها على زيادة المعنى..، ص١٧٨.
٣- البيان في تفسير القرآن، ص٤٣٨.

١. قال تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾.

٢. وقال تعالى: ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾[١].

إذ استعمل القرآن الكريم الفعل: (اسْطَاعُوا) مع الأقل حروفاً، مع (أَنْ يَظْهَرُوهُ)، أي فما اسطاعوا أن يصعدوا فوق السد (الذي صنعه ذو القرنين من زبر الحديد والنحاس) .

واستعمل: (اسْتَطَاعُوا). بالبقاء، وهو الأكثر حروف مع قولة عز وجل: (لَهُ نَقْبًا) أي أن يحدثوا فيه نفقاً يمر الجيش منه. وبالطبع الصعود فوق السد أيسر بكثير من إحداث نقب فيه ويأخذ زمناً أقل بكثير.

فاستعمل (اسْطَاعُوا) الفعل الخفيف مع العمل الخفيف (الذي يحتاج إلى جهد أقل).

واستعمل (اسْتَطَاعُوا) الأكثر حروفاً مع العمل الشاق الثقيل (الذي يحتاج إلى جهد أكثر وزمن أطول) مما يجعل كل ذي عقل يدرك أن كل كلمة في موضعها.

ومثالنا الآخر نلحظه في (تَسْتَطِع) و(تَسْطِع) من قوله تعالى:

١. (سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً)[٢].

٢. ثم قال: (وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً)[٣].

١- سورة الكهف، الآية: ٩٧.
٢- سورة الكهف، الآية: ٧٨.
٣- سورة الكهف، الآية: ٨٢.

لما لم يكن قد أخبر الخضر موسى عليه السلام بتفسير هذه الحوادث التي حدثت لهما كان الفعل (تستطع) زائد المبني ليدل على شدة المعاناة التي كابدها موسى عليه السلام في عدم الصبر والاستطاعة.. فلما أخبر الخضر موسى عليه السلام بالعلل وبّين له سبب أفعاله السابقة سهل الأمر على موسى فجاء الفعل (تسطع) قليل المبني ليدل على قلة المعنى وقلة المعاناة التي كابدها موسى لأنه إذا عرف السبب بطل العجب.

إذن.. لا شك ان هذه الحروف لم تكن زائدة لمجرد الزيادة أو من غير قصد! والقول بذلك اعتسافٌ وتجاوز لا يليق بكتاب الله تعالى، إنّما هي حروفٌ تؤكّد المعنى وتتجاوز التوكيد إلى ترسيخ المعنى في النفس بأصواتها وجرسها وتآلفها مع سابقها ولاحقها وامتزاجها الضروري في سياق الآية البلاغي والنفسي.

٢٣) قاعدة: إفادة الإباحة من لفظ: الإحلال، ورفع الجناح، والإذن، والعفو، وإن شئت فافعل، وإن شئت فلا تفعل، ومن الامتنان بما في الأعيان من المنافع وما يتعلق بها من الأفعال[١]. ومن امثلتها:

قال تعالى: ﴿**وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا**﴾[٢]، تذكر الآية كريمة نعم الله تعالى على عباده وما هيئ لهم من المنافع من نتاج الانعام: فـ(الصوف من الغنم، والوبر من الإبل، والشعر من المعز)[٣]؛ وفيها دلالة على الإباحة.

١- ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١٢/٢.
٢- سورة النحل، الآية: ٨٠.
٣- محمد جواد مغنية، التفسير الكاشف، ٥٠٠/٤.

قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[١]، جمعت هذه الآية الكريمة أصول أحكام الشريعة من الأمر والنهي والإباحة والتخيير.

٢٤) قاعدة: إفادة التحريم من لفظ: النهي، والتصريح بالتحريم، والحظر، والوعيد على الفعل، وذم الفاعل، وإيجاب الكفارة، وقوله: (لا ينبغي)، ولفظة (ما كان لهم) و(لم يكن لهم)، وترتيب الحد على الفعل، ولفظة (لا يحل) و(لا يصلح)، ووصف الفعل بأنه فساد، أو من تزيين الشيطان وعمله، وأن الله لا يحبه، وأنه لا يرضاه لعباده، ولا يزكي فاعله، ولا يكلمه، ولا ينظر إليه.. ونحو ذلك[٢]. ومن امثلتها:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آَيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[٦]. والآية الأخيرة في معرض الرد على المشركين في اختيارهم نبي يبعث

١- سورة الاعراف، الآية: ٣٤.
٢- ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٨/٢.
٣- سورة البقرة، الآية: ١٧٣.
٤- سورة البقرة، الآية: ٨٥.
٥- سورة البقرة، الآية: ٢٣١.
٦- سورة القصص، الآية: ٦٨.

دون النبي الخاتم ﷺ، يقول الطبرسي: (أي ليس لهم الاختيار على الله بل الله الخيرة عليهم)[١].

ملحوظه: إذا ورد في القرآن نهي، يجب حمله على التحريم، إلا أن تقوم القرينة على خلافه. إذ للتحريم وجوه يستعمل فيها، وهي:

١. التحريم: قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾[٢].
٢. والكراهة، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ﴾[٣].
٣. والإرشاد، كقوله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[٤].
٤. وبيان العاقبة، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾[٥].
٥. والدعاء، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾[٦].
٦. واليأس، كقوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٧].
٧. والتحقير، كقوله تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾[٨].

١- مجمع البيان، ٣٠٢/٧.
٢- سورة الانعام، الآية: ١٥٢.
٣- سورة المائدة، الآية: ٨٧.
٤- سورة المائدة، الآية: ١٠١.
٥- سورة ابراهيم، الآية: ٤٢.
٦- سورة البقرة، الآية: ٢٨٦. ظ: خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، ص٤١٠.
٧- سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
٨- سورة طه، الآية: ١٣١.

٢٥) قاعدة: إفادة الوجوب من لفظ: (الأمر المطلق، والفرض، والكتب، ولفظة (على)، ولفظة (حق على العباد) و(على المؤمنين)، وترتيب الذم والعقاب على الترك، وإحباط العمل بالترك.. وغير ذلك[١].

قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾[٢]، أي فرض عليكم العبادة المعرّفة في الشرع، كما كان قد فرض الصوم على من قبلهم[٣].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[٤]، أي من استطاع منهم إليه سبيلا فلله عليه حج البيت واجب[٥].

٢٦) قاعدة: ما أبهم في القرآن فلا فائدة في المعنى تترتب على ذكره:

المبهم: ما لم يُعيَّن من الأسماء، سواء أكانت أسماء أشخاص أو أماكن أو غير ذلك.

والمقصود: أن البحث عن تعيين ما أبهمه القرآن مما لا يفيد في بيان المعنى، وأن فقده لا ينقص به العلم.

ومن أمثلة ذلك: تعيين نوع الشجرة التي أكل منها الأبوان: آدم وحوّاء.

قال الطبري: (.. بعد أن بين الله جل ثناؤه لهما عين الشجرة التي نهاهما عن الأكل منها وأشار لهما إليها بقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾[٦]. ولم يضع الله جل

١- ظ: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٣٤/٢.
٢- سورة البقرة، الآية: ١٨٣.
٣- ظ: الطبرسي، مجمع البيان، ٦/٢.
٤- سورة آل عمران، الآية: ٩٧.
٥- ظ: الآلوسي، روح المعاني، ٣٠٦/٤.
٦- سورة البقرة، الآية: ٣٥.

ثناؤه لعباده المخاطبين بالقرآن دلالة على أي أشجار الجنة كان نهيه آدم أن يقربها بنص عليها باسمها ولا بدلالة عليها. ولو كان لله في العلم بأي ذلك من أي رضا لم يخل عباده من نصب دلالة لهم عليها يصلون بها إلى معرفة عينها، ليطيعوه بعلمهم بها، كما فعل ذلك في كل ما بالعلم به له رضا. فالصواب في ذلك أن يقال: إن الله جل ثناؤه نهى آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها، فخالفا إلى ما نهاهما الله عنه، فأكلا منها كما وصفهما الله جل ثناؤه به. ولا علم عندنا أي شجرة كانت على التعيين، لان الله لم يضع لعباده دليلا على ذلك في القرآن ولا في السنة الصحيحة، فأنى يأتي ذلك من أتى؟ وقد قيل: كانت شجرة البر. وقيل: كانت شجرة العنب. وقيل: كانت شجرة التين. وجائز أن تكون واحدة منها، وذلك إن علمه عالم لم ينفع العالم به علمه، وإن جهله جاهل لم يضره جهله به)[1].

وقال الشنقيطي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾[2].

(وما يذكره المفسرون من الأقوال في اسم كلبهم، فيقول بعضهم: اسمه قطمير. ويقول بعضهم: اسمه حمران، إلى غير ذلك لم نطل به الكلام لعدم فائدته.

ففي القرآن العظيم أشياء كثيرة لم يبينها الله لنا ولا رسوله، ولم يثبت في بيانها شيء، والبحث عنها لا طائل تحته ولا فائدة فيه.

١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٥٥٦/١.
٢- سورة الكهف، الآية: ١٩.

وكثير من المفسرين يطنبون في ذكر الأقوال فيها بدون علم ولا جدوى، ونحن نعرض عن مثل ذلك دائماً. كلون كلب أصحاب الكهف، واسمه، وكالبعض الذي ضرب به القتيل من بقرة بني إسرائيل، وكاسم الغلام الذي قتله الخضر، وأنكر عليه موسى قتله، وكخشب سفينة نوح من أي شجر هو، وكم طول السفينة وعرضها، وكم فيها من الطبقات، إلى غير ذلك مما لا فائدة في البحث عنه، ولا دليل على التحقيق فيه)[١].

وهذه بعض القواعد التي ينبغي على من أراد الشروع لتفسير نصوص القرآن الكريم أن يفقهها ويدرك دلالاتها، وذلك ان (علم قواعد التفسير هو ميزان للمفسّر يضبطه ويمنعه من الخطأ في التفسير)[٢]، وقد أهتمت بهذه القواعد كتب من علوم أخرى كأصول الفقه، وقواعده، وعلوم البلاغة، وفقه اللغة... [٣]. وبعض هذه القواعد سماها ابن عاشور: عادات القرآن وفيها يتعرف المفسر عادات القرآن من نظمه كما جاء في الأثر ان كل كأس في القرآن المراد بها الخمر، والمطر في القرآن العذاب[٤].

٢٧) **قاعدة: العرض على القرآن الكريم**؛ إذا تعارضت الروايات والأحاديث المنسوبة الى المعصوم تُعرض على نصوص القرآن الكريم ومقاصده، فيكون كتاب

١- أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، ٢٢٦/٣.
٢- خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، ص٣١.
٣- ينظر من أمثلتها: السعدي (ت١٣٧٦هـ)، القواعد الحسان لتفسير القرآن، ص٢٥، خالد بن عثمان السبت، قواعد التفسير – جمعاً ودراسة -، ص٤٣، حسين بن علي الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين، ص٣٢، د. علي بن سيمان العبيد، تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه، ص١٢٣، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٧٣/٤، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٣٣٤/٢، د. مساعد الطيار، فصول في أصول التفسير، ص٨٧، محمد طاهر الفنج، العرفان في أصول القرآن، ص١٣٩.
٤ للتوسعة ظ: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٠/١، ٦٩/١ .

الله هو الميزان في قبولها من عدمه. وهذا هو الواضح الجلي من مرويات أهل البيت عليهم السلام بعرض رواياتهم على نصوص القرآن الكريم.

مسألة: العرض على القرآن هل يستلزم الدور؟!

يقول القرآن المجيد: ﴿وَأَنزَلنَا إِلَيكَ الذِّكرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيهِم﴾[١] ويقول: ﴿فَإِن تَنَازَعتُم فِي شَيءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾[٢].

وقد ورد عن الأئمة عليهم السلام: (فما وافق كتاب الله فخذوا به وما خالف كتاب الله فدعوه)[٣]. فنجد ان القرآن الكريم يحيلنا الى الرسول وأهل بيته، والنبي وأهل بيته يحيلوننا الى القرآن الكريم!

السؤال: أليس في الكلام أعلاه دوراً (وكما نعلم الدور باطل)؟ بالنتيجة الى ايهما نرجع؟

الجواب: مضمون حديث الثقلين[٤] يشير الى الاتحاد بين كلام المعصومين وكلام القرآن الكريم بالقول (بانهما لن يفترقا) فاذا كان هناك كلام مجمل في كلام المعصومين فإنه يفهم من خلال القرآن وإذا كان هناك كلام مجمل في القرآن فانه يفهم من خلال كلام المعصومين فإرجاع أحدهما على الآخر لا يعد دوراً، نعم لو لم نفهم من القرآن ولا آية واحدة إلا عن طريق المعصومين ولا نقبل من قول المعصومين قولاً واحداً إلا بالعرض على القرآن الكريم لصار دوراً وهذا ما لا نقوله في هذه القاعدة .

١- سورة النحل، الآية: ٤٤ .
٢- سورة النساء، الآية: ٥٩ .
٣- المجلسي، بحار الأنوار، ١٦٥/٢ .
٤- ظ: حجية سنة أهل البيت "ع" في تفسير القرآن من هذا الكتاب .

المطلب الثاني: أهمية قواعد الترجيح:

إن قواعد الترجيح من الموضوعات المهمة في أصول التفسير[١]، وهي تمثل جزءاً من كيفية التعامل مع الاختلاف في التفسير.

ووجود القواعد في تفسير من التفاسير تزيده قوة من جهتين:

الأولى من جهة المفسر؛ إذ تفيده في اختياراته التفسيرية من جهة، وفي توازن هذه الاختيارات من جهة أخرى، فلا ترى هناك تفاوتاً أو اضطراباً في الاختيار في المواضع المتماثلة أو المتشابهة.

الثانية من جهة القارئ؛ إذ يستفيد من هذه القواعد تعلماً وتطبيقاً، ثم يمكنه استخدامها فيما إذا شرع في التفسير.

متى يكون الترجيح بين أقوال المفسرين؟:

الأصل الجمع، والترجيح لا يُصار إليه إلا إذا تم الاضطرار إليه بأن عارض بعضها نصاً أو إجماعاً أو تناقضت الأقوال تناقضاً كلياً.

مثال على معارضة النص: ما روي عن سعيد بن المسيب: (ما سكر آدم من الشجرة وهو يعقل، ولكن سقته حواء من الخمر حتى إذا سكر قادته إليها فأكل)[٢].

١- للاستفادة ينظر: د. حسين الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين، خالد السبت، قواعد التفسير، د. مساعد الطيار، التجرير في أصول التفسير، محمد فاكر الميبدي، قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة..

٢- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣٣٩/١ .

فهذا معارض لقوله تعالى: ﴿لا فِيها غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْها يُنْزَفُونَ﴾[١]، والأثر لا يُعرف.

مثال على معارضة الإجماع: من ادعى جواز الجمع بين تسع حرائر مستدلاً بقوله تعالى: ﴿مَثْنى وَثُلاثَ وَرُباعَ﴾[٢]، فهو خلاف إجماع الأمة.

مثال الجمع: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾[٣] قيل: طريق خروجه من بطن أمه لدلالة السياق، وقيل: طريق الخير والشر لقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ إِمَّا شاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾[٤] والقولان صحيحان غير متنافيين.

قاعدة: لا يتم الترجيح إلا عند التنازع: أي ليس لمجرد اختلاف الأقوال الوجهية يتم الترجيح بل لا بد من التنازع بين الأقوال أو التناقض الكلي أو معارضة النص كما سبق... أما مجرد الاختلاف بين الأقوال الوجهية فلا يتم بموجبه الترجيح بل الجمع بينها أولى... فيُرد القول في حالين: عند تعارض الأقوال تعارضاً تاماً ينظر في الترجيح، وإذا كانت بعض الأقوال غير وجيهة فترد، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلى رَجْعِهِ لَقادِرٌ﴾[٥]، في مرجع الضمير في (رجعه) خمسة أقوال: فقالوا يعود الضمير على:

١- الماء: أي ان الله على رد النطفة في الموضع التي خرجت منه [لقادر] .
٢- الماء ولكن المعنى: انه على حبس ذلك الماء لقادر .
٣- الإنسان، والمعنى: انه على رده ماء كما كان قبل ان يخلقه منه قادر.

١- سورة الصافات، الآية: ٤٧ .
٢- سورة فاطر، الآية: ١.
٣- سورة عبس، الآية: ٢٠ .
٤- سورة الإنسان، الآية: ٣.
٥- سورة الطارق، الآية: ٨ .

٤- الإنسان، ولكن المعنى: قادر على رجعه من حال الكبر إلى حال الصغر.
٥- الإنسان، ولكن المعنى: انه على إحيائه بعد مماته لقادر، ورجحه الطبري والطبرسي لدلالة السياق عليه في قوله: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ﴾[١][٢].

المطلب الثالث: خصائص القواعد التفسيرية:

تتسم القواعد التفسيرية بالخصائص الآتية[٣]:

١) الصياغة البشرية لها: فان بعض المحققين من أهل العلم هم من وضعها استنباطاً، ومن ثم فهي اغلبية تشمل معظم الجزئيات التي تتعلق بها وليست كلية.

٢) التقابل بين القواعد يوجب التأني في جعل احداها مرجحة: ففي قوله تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ﴾[٤]، قيل النجوم: آيات القرآن، ومواقعها نزولها شيئاً بعد شيء إذ نزلت منجمة، قيل: النجوم المعروفة، ورجحه ابن القيم لقاعدة: مراعاة المعهود في القرآن، والمعهود: ان النجوم في القرآن هي الكواكب، ورجحه بمرجحات اخرى[٥]. ولكن يقابل هذه القاعدة قاعدة مراعاة السياق: والسياق هنا يتكلم على القرآن الكريم.. فتنازعت القاعدتان، ولذا لا ينبغي التسرع في الترجيح.. فثم قاعدة ثالثة: هي حمل الآية على ما تحتمله من الأقوال الوجيهة، فنحملها عليها جميعاً.

١- سورة الطارق، الآية: ٩ .
٢- ظ: جامع البيان عن تأويل القرآن ، ٥٣٦/١٢، مجمع البيان، ٢٤٠/١٠ .
٣ – شأنها في ذلك كشأن قواعد الفقه – للتوسعة ظ: د. عبد السلام مقبل المجيدي، التنوير في أصول التفسير، ص٥١ .
٤- -سورة الواقعة، الآية: ٧٥.
٥- مفتاح دار السعادة، ٢/ ١٩٢.

٣) النسبية: إذ ان هذه القواعد ترجع إلى أنواع من العلوم كاللغة والنحو والقراءات وأصول الفقه، وهذ الأخيرة غالباً ما تكون قواعدها وضعت في وقت متأخر عن نشوء العلم المعين الذي يُتَلقى تلقياً، وحاول واضعوها ادخال عدد من الجزئيات العلمية فيها ولذا تجد ان أهل ذلك الفن يكثرون من الاستثناءات من ذلك الضابط في فنهم ...

٤) القواعد التفسيرية ظنية غالباً: ولذا كان معيار الترجيح فيها حال تنازع القواعد قوة الظن: كما قال الزركشي: (واعلم ان التراجيح كثيرة ومناطها: ما كان افادته للظن أكثر فهو الأرجح)[١]، وقال الشنقيطي: (والمراجحات يرجع بعضها على بعض، وضابط ذلك عند الأصوليين هو قوة الظن)[٢]. مثاله: ﴿**وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ**﴾[٣] ففيها قولان[٤]:

الأول: ولا تنكحوا من نكح آباؤكم من النساء، فمنكوحة الأب حرام على أبنه و(ما) في الآية موصولة، ويدل عليه سبب نزول الآية؛ حيث ان قيس بن حصين الأنصاري خطب امرأة أبيه فانزل الله الآية.

الثاني: ولا تنكحوا نكاح آبائكم الفاسد الذي يتعاطونه في الجاهلية، و(ما) مصدرية: قالوا: لأن (ما) لا تكون إلا لغير العاقل غالباً، والقاعدة: وجوب حمل كلام الله على المعروف المشهور من كلام العرب.

قيل: القول الأول هو الصواب لاعتماده على سبب النزول، هذا فضلاً عن كون (ما) وردت للعاقل في غير ما آية من غير نكارة ولا شذوذ كقوله تعالى:

١- الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، ٦/ ١٥٩ .
٢- اضواء البيان، ٣٧١/٥ .
٣- سورة النساء، الآية: ٢٢ .
٤- ظ: الطبرسي، مجمع البيان، ٤١/٣ .

﴿وَيَجْعَلُونَ لله ما يَكْرَهُونَ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ ما فِي بَطْنِي﴾[٢]. والظاهر أن القولين وجيهان غير متنافيين.

٥) يجب فهم القواعد الفقهية بحسب ما يُفهم منها أصل الوضع لا بحسب ما يعطيه العقل من ظاهر لفظها، وعلى هذا فلا ينبغي الاغترار بما يظهر من تعميم لعبارات أهل الفنون واصطلاحاتهم وتطبيقها على القضايا المتناولة إذ ينبغي معرفة طبيعة القاعدة، وقرائنها الحالية المصاحبة، وأصل وضعها؛ وذلك لأن دلالة الكلام نوعان: حقيقة وإضافية، فالحقيقة تابعة لقصد المتكلم وإرادته وهذه الدلالة لا تختلف، والإضافة تابعة لفهم السامع، وإدراكه، وجودة فكره وقريحته، وصفاء ذهنه ومعرفته بالألفاظ، وهذه الدلالة تختلف اختلافاً متبايناً بحسب تباين السامعين في ذلك، وقد أنكر النبيﷺ على عمر فهمه إتيان البيت الحرام عام الحديبية من إطلاق قوله: (وانك ستأتيه وتطوف به)[٣]، فإنه لا دلالة في هذا اللفظ في تعيين العام الذي يأتونه.

٦) الحذر من الانسياق إلى التعميم في الأدلة والقواعد قبل الفحص: فقولهم دخول الألف واللام على الأوصاف يفيد الاستغراق ليس عاماً وذلك مثل قول الله تعالى: ﴿وَقالَتِ اليهودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقالَتِ النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ﴾[٤]. فإن (ال) في(النصارى) و(اليهود) ليست على ظاهرها في العموم والاستغراق.

١- سورة النحل، الآية: ٦٢ .
٢- سورة آل عمران، الآية: ٣٥.
٣- ظ: ابن القيم الجوزية، اعلام الموقعين عن رب العالمين، ٣٥٠/١، المصطلح وإشكالية الاصطلاح، مجلة البيان، السنة ١٤، العدد١٤٠، ربيع الآخرة١٤٢٠هـ اغسطس ١٩٩٩م، ص٢٣.
٤- سورة التوبة، الآية: ٣٠ .

وبكلمة.. قواعد التفسير هي ميزان للمفسّر، وضابط ومانع من الخطأ في التفسير في كثير من الاحيان، ومصحّح لما فسّره في بعض الأحيان، كما هو شأن سائر الموازين كعلم المنطق، وهو ميزان الفكر، وعلم النحو، وهو ميزان النطق العربي والكتابة العربية، وعلم الأُصول، وهو ميزان الفقه.

الخاتمة والنتائج

الخاتمة:

وبعد هذه الدراسة والبحث في كتب التفسير والأصول واللغة العربية، وغيرها حان الوقت لأتطرق إلى عرض أهم النتائج التي توصلت إليها:

- أنه ينبغي للإنسان أن ينفق ساعات عمره بل أنفاسه في الإقبال على القرآن وتفهمه وتدبره، وأنه هو المقصود من إنزال القرآن الكريم، وليس مجرد التلاوة بلا فهم ولا تدبر.
- لا يكفي في أصول التفسير الحديث عن مصادر التفسير وقواعد التفسير وشروط المفسر بل لابد أن يكون عمل المفسر ضمن مقاصد القرآن.
- أن فهم القرآن الكريم حق الفهم يقتضي التسلح بتلك القواعد التي تضبط طريقة فهمه، وتجنب من الوقوع في الأخطاء في ذلك، وهي التي اشتهرت بالقواعد التفسيرية.
- أن علم التفسير مختلف عن علم الفقه فينبغي أن تكون قواعد التفسير غير قواعد أصول الفقه.
- أن موضوع القواعد التفسيرية له ارتباط قوي بعلوم القرآن الكريم، وأصول الفقه واللغة العربية.
- إنَّ من التفسير ما هو قابل للتجديد؛ حسب المتغيرات في كل زمان ومكان، وقد يحتاج المفسر إلى علوم تتناسب وتتلاءم مع الواقع المعاش لتقريب فهم القرآن ومقاصده للناس؛ لكي تتحقق مقاصد التفسير المرجوة في هداية وإصلاح الناس والبشرية عامة.

- من خلال ما تمت دراسته، يتبين أن مبحث أصول التفسير له أهميته في الدراسات التفسيرية ومباحث علوم القرآن، لم يوف بعد كامل ما يستحق من بحث وتنقيب، والحاجة آكد إلى مثل هذه التحديدات، وهو المعول على الباحثين والمتخصصين.
- ان عدم اكتمال بناء أصول التفسير كعلم لا يعني عدم وجود تلك الأصول والضوابط والمعايير، والتي تمثل كليات في العلوم التي يحتاجها المفسر، لذلك كانوا يشترطون لمن يمارس التفسير أن يكون عالماً بتلك العلوم، لكن العلم بها لا يغني عن استخلاصها وتجريدها كمبادئ ذات صلة مباشرة بالتفسير.
- وتبرز أهمية العناية بأصول التفسير في العصر الحديث من ناحيتين، الأولى صعوبة إحاطة المفسر بالعلوم التي ذكرت كشرط للتفسير نظراً لتطور هذه العلوم واتساعها، ومن ناحية ثانية انه عندما يتعمق الباحث بواحد من هذه العلوم يطغى على العلوم الأخرى ويترك أثره في تفسيره، وهذا ما نلمسه في مناهج المفسرين المتقدمين، حتى أصبحت التفاسير توسم بالعلم الذي اصطبغت به أو أثر ذلك العلم فيها، كالتفسير اللغوي، والتفسير الفقهي، والتفسير بالمأثور، والتفسير الصوفي...، وهذا ان كان لوناً من التفسير إلا أنه ليس التفسير الأمثل الذي تقتضيه الضوابط التي وضعها المفسرون، بل لا يصح واحد منها ما لم يلتزم بمقتضيات العلوم الأخرى.
- كثير من قواعد التركيب في استخدام الأدوات لا يزال مجهولاً، وإن بحوثاً معمقة تحاول الكشف والإبراز ستتوصل إلى امتلاك التعليلات التي لا توقعنا في مزالق فكرية قد تحملنا على اتخاذ مواقف قاصرة وغير واعية في تحليلات نقدية أخرى.

- قد نختلف في القواعد والاستنتاجات، إلا أننا لا نختلف في صلاحية المنهج الدراسي المعتمد.
- أن الاعتماد على مجرد اللغة في التفسير خطأ فاحش كما ان الجهل بقواعد هذه اللغة خطأ خطير في باب التفسير.
- بدا تقارب بين المصطلحات: مصطلح أصول التفسير ومصطلح قواعد التفسير ومصطلح أسس التفسير، وذلك كون المضمون واحد في هذه المصطلحات متقاربة.

***التوصيات:**

ومن أهم التوصيات التي يوصي بها الباحث:

ضرورة وقوف الباحثين في تفسير القرآن الكريم على الضوابط والقواعد حتى لا يلج هذا العلم مَن ليس مِن أهله؛ ويكون ذلك باستخراج الضوابط والقواعد من كتب العلماء، وجمعها، وفرزها كما أسلفت، ولا يكتفى في ذلك بالعمل الفردي، بل لابد من عمل جماعي مؤسسي بتقنين هذه الضوابط والقواعد حتى تكون معلومة للجميع.

الوقوف على طبيعة العلاقة بين العقل والنقل وعلى مكانة العقل وسلطة النقل؛ وذلك من خلال زيادة الأبحاث والدراسات وعقد المؤتمرات والندوات ونحو ذلك.

تأهيل الطلبة في الجامعات والمعاهد في هذا الباب حتى يكون لهم القدر الكافي والوافي في تأصيل هذا الباب، ودفع الشبهات المثارة من هنا وهناك ممن يدَّعي العقلانية، ويتجرأ في تفسير القرآن الكريم.

المراجع والمصادر

أهم المصادر والمراجع

خير ما نبدأ به: القرآن الكريم

١. أحمد بن حنبل(ت:٢٤١هـ)، مسند أحمد، دار صادر، بيروت، (دت).
٢. ابن الأثير (ت٦٣٠م) عز الدين علي بن محمد الجزري، اسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر، بيروت، (دت).
٣. أحمد الريسوني (الدكتور)، مقاصد المقاصد، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠١٣م.
٤. إسماعيل باشا البغدادي (ت: ١٣٣٩هـ)، معرفة الهداية، دار احياء التراث العربي، بيروت، (دت).
٥. الآلوسي (ت:١٢٧٠هـ) ابو الفضل شهاب الدين البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩١م.
٦. ابن الانباري (ت:٥٧٧هـ) أبي البركات كمال الدين، نزهة الألباب في طبقات الأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت، (دت).
٧. البخاري(ت:٢٥٦هـ) محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨١م.
٨. الانصاري مرتضى (ت:١٢٨١هـ)، المكاسب، الناشر: المؤتمر العالمي بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لميلاد الشيخ الأنصاري، قم، ط٢، ١٤٢٠هـ.
٩. البيضاوي (ت:٧٩١هـ) ناصر الدين ابي سعيد عبد الله، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٠م.
١٠. البغوي (ت:٥١٠هـ) ابو محمد الحسين، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٢م.

١١. البيهقي (ت:٤٥٨هـ)، سنن البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٣م.
١٢. الثعلبي (ت:٤٢٧هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م.
١٣. الجصاص (ت:٣٧٠هـ) أبو بكر أحمد بن علي، أحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٣م.
١٤. الحاكم النيسابوري(ت: ٤٠٥هـ) أبو عبد الله بن محمد، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: د. يوسف المرعشي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦ هـ.
١٥. خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.
١٦. ابن خالويه (ت:٣٧٠هـ)، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، المكتبة الثقافية، بيروت.
١٧. الخوئي(ت: ١٤١٣هـ) ابو القاسم (مرجع ديني معاصر)، البيان في تفسير القرآن، المطبعة العلمية، ط٥، قم، ١٣٩٤هـ.
١٨. ابن خلدون (ت: ٨٠٨ هـ) عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، المقدمة، دار القلم، بيروت، ١٩٧٨م.
١٩. الزرقاني (ت:١٣٦٧هـ) محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠١م.
٢٠. الزركشي (ت:٧٧٤هـ) بدر الدين محمد، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٤م.
٢١. ــ، البحر المحيط في أصول الفقه، تحقيق: عبد القادر العاني، ط٢، دار الصفوة، القاهرة، ١٤١٣هـ.

٢٢. الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) جار الله أبو القاسم محمود، تفسير الكشاف، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠١م.
٢٣. ــ، أساس البلاغة ، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٢م.
٢٤. ابن سعد (ت:٢٣٠هـ) أبو عبد الله ممد بن منج، الطبقات الكبرى، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٨م.
٢٥. السعدي(ت:١٣٧٦هـ) عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥م.
٢٦. ــ، القواعد الحسان لتفسير القرآن، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٢هـ.
٢٧. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط١١، ١٩٨٥م.
٢٨. سيروان عبد الزهرة الجنابي (الدكتور)، مناهج تفسير النص القرآني، الدار البيضاء، بيروت، ٢٠١٥م.
٢٩. ــ، المنطلقات الفكرية لتفسير النص القرآني، دار حدود، بيروت، ٢٠١٨م.
٣٠. السيوطي (ت:٩١١هـ) جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.
٣١. سهير إبراهيم أحمد سيف، الزيادة في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الاردنية، ٢٠٠٠م.
٣٢. الشاطبي(ت:٧٩٠هـ) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى المالكي، الاعتصام، دار المعرفة، لبنان، ١٩٨٢م.
٣٣. الشافعي (ت:٢٠٤هـ) محمد بن ادريس، الرسالة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، المكتبة العلمية، بيروت.
٣٤. الشنقيطي(ت:١٩٧٣م) محمد الامين بن محمد المختار، اضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، عالم الكتب، بيروت .

٣٥. الشوكاني(ت:١٢٥٠هـ) محمد بن علي، ارشاد الفحول إلى تحقيق الحق في علم الأصول، دار المعرفة، بيروت.
٣٦. ــ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٨٣هـ.
٣٧. صبحي الصالح (الدكتور)، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٦٨م.
٣٨. الصدوق (ت:٣٨١هـ)ابن بابويه محمد بن علي بن الحسين، عيون أخبار الرضا عليه السلام، تصحيح وتعليق وتقديم: حسين الأعلمي، لاط، بيروت، مؤسّسة الأعلمي، ١٩٨٤م.
٣٩. الطبرسي(ت:٥٤٨هـ) أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان، دار الأميرة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٩م.
٤٠. الطبري (ت:٣١٠هـ) أبو جعفر بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار أحياء التراث العربي، بيروت، (دت).
٤١. الطوسي (ت:٤٦٠هـ) جعفر بن محمد، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد قصير العاملي، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩هـ .
٤٢. ابن عاشور محمد الطاهر (ت:١٩٧٣م)، تفسير التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، بيروت، (دت).
٤٣. ابن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ) ابو عمر يوسف، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، طبع سنة ١٣٩٦هـ.
٤٤. عبد الرحمن بو درع (الدكتور)، نهج السياق في فهم النص، كتاب الأمة، السنة الخامسة والعشرون، العدد ١١٠، ذو الحجة، ١٤٢٦هـ.
٤٥. عبد السلام مقبل المجيد(الدكتور)، التنوير في أصول التفسير، جامعة ذمار، ط٢، ٢٠٠٨م.

٤٦. عبد الله بن يوسف الجديع العنزي، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، مركز البحوث الإسلامية ليدز، بريطانيا، ٢٠٠١م.
٤٧. عدي جواد الحجّار (الدكتور)، الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، مركز الغدير، بيروت، ٢٠١١م.
٤٨. ابن العربي القاضي (ت:٥٤٣هـ)، قانون التأويل، تحقيق: محمد السليماني، دار القبلة، جد، ١٤٠٦هـ.
٤٩. ابن عقيلة المكي، الزيادة والإحسان في علوم القرآن، رسالة ماجستير في كلية أصول الدين، جامعة محمد بن سعود، الرياض.
٥٠. علي بن سليمان العبيد (الدكتور)، تفسير القرآن الكريم – أصوله وضوابطه –، مكتبة التوبة، الرياض، ط٢، ٢٠١٠م.
٥١. غانم قدوري حمد (الدكتور)، موازنة بين رسم المصحف والنقوش العربية القديمة، ضمن دورية المورد، المجلد ١٥، عدد: ٤، عام ١٩٨٦م.
٥٢. فهد بن عبد الرحمن الرومي (الدكتور)، أصول التفسير ومناهجه، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط٢، ٢٠١٥م.
٥٣. قاسم القيسي، تاريخ التفسير، نشر: المجمع العلمي العراقي، سنة ١٩٦٦هـ.
٥٤. ابن قتيبة ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروي الدينوري، أدب الكاتب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، مصر، ط٤، ١٩٦٣م.
٥٥. القرطبي (ت:٦٧١هـ) أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: د. مجدي محمد سرور، دار البيان العربي، القاهرة، ٢٠٠٨م.
٥٦. القنوجي صديق بن حسن خان (ت:١٣٠٧هـ)، ابجد العلوم الوشي المرقوم في بيان احوال العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م.

٥٧. ابن القيم (ت:٧٥١هـ) ابو عبد الله شمس الدين محمد بن ابي بكر، اعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.
٥٨. ابن كثير (ت:٧٧٤هـ) أبي الفداء عماد الدين الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار صبح، بيروت، ط٤، ٢٠٠٧م.
٥٩. الكفوي (ت:١٠٩٤هـ) أبو البقاء أيوب الحسيني، الكليات، تحقيق: د. عدنان وآخر، دار ذوي القربى، قم، ١٤٣٣هـ.
٦٠. الكليني(ت:٣٢٩هـ) أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي، الأصول من الكافي، تحقيق: علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية، ط٤، ١٣٦٥هـ.
٦١. مازن شاكر التميمي، أصول وقواعد التفسير الموضوعي، العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية، كربلاء المقدسة، ٢٠١٥م.
٦٢. مالك بن أنس(ت: ١٩٧هـ) (الفقيه)، الموطأ، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥م.
٦٣. المالكي البغدادي (ت:٤٣٨هـ) أبي علي الحسن، الروضة لافي القراءات الاحدى عشر، تحقيق: عبد الرحيم الطرهوني، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م.
٦٤. المجلسي(ت: ١١١١هـ) محمد باقر، بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق: السيد إبراهيم الميانجي ومحمد الباقر البهبودي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.
٦٥. محسن عبد الحميد (الدكتور)، تطور تفسير القرآن – قراءة جديدة –، بيت الحكمة، بغداد، ١٩٨٩م.
٦٦. ـــ، علوم القرآن والتفسير، مطبعة دار الحكمة، بغداد، ١٩٩١م.

٦٧.ـــ، دراسات في أصول تفسير القرآن، مطبعة الوطن العربي، بغداد، ١٩٨٠م.
٦٨.محمد الفاضل اللنكراني، مدخل التفسير، مركز النشر مكتب الاعلام الاسلامي، ط٢، قم، ١٤١٣هـ.
٦٩.محمد باقر الحكيم (ت:٢٠٠٣م)، علوم القرآن، مجمع الفكر الإسلامي، قم، ط٧، ١٤٢٦هـ.
٧٠.محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية/موسوعة الإمام الشهيد، دار الصدر، قم، ١٤٢٩هـ.
٧١.محمد تقي الحكيم (ت: ١٤٢٤هـ)، الأصول العامة للفقه المقارن، منشورات مؤسسة أهل البيت ع للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٣٩٠هـ.
٧٢.محمد حسين الذهبي(الدكتور)(ت١٩٧٧م)، التفسير والمفسرون، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، دت.
٧٣.محمد حسين الصغير(الدكتور)، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، دار المؤرخ العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.
٧٤.محمد حسين الطباطبائي (ت:١٤٠٢هـ)، الميزان في تفسير القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٩م.
٧٥.محمد جواد مغنية (ت: ١٩٧٩م)، التفسير الكاشف، منشورات الرضا، بيروت، ٢٠١٣م.
٧٦.محمد رضا المظفر(ت: ١٩٦٤م)، أصول الفقه، انتشارات اسماعيليان، إيران، ط١٦، ١٤٢٧هـ.
٧٧.محمد ذنون يونس الراشد (الدكتور)، إشكاليات زيادة المبنى ودلالتها على زيادة المعنى – دراسة تطبيقية على السين وسوف في القرآن الكريم، مجلة ابحاث كلية التربية الاساسية، جامعة الموصل، مجلد: ٨، العدد٤، ٢٠٠٩م.

٧٨. محمد عبده (ت:١٩٠٥م)، تفسير جزء عم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٥م.
٧٩. محمد عبد الحسن الغراوي، مصادر الإستنباط بين الأصوليين والإخباريين، دار الهادي، بيروت، ١٩٩٢م.
٨٠. محمد علي التسخيري، محاضرات في علوم القرآن، المنظمة العالمية للحوزات، قم، ٢٠٠٣م.
٨١. محمد علي الرضائي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، تعريب: قاسم البيضاني، منشورات المركز العالمي للدراسات الإسلامية، قم، ١٤٢٦هـ.
٨٢. محمد علي ايازي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، مؤسسة الطباعة والنشر لوزارة الثقافة والارشاد الإسلامي، طهران، ١٣٨٦هـ.
٨٣. محمد فهد خاروف، الميسر في القراءات الأربع عشرة، مراجعة: محمد كريم راجح، الناشر: دار الكلم الطيب، دمشق – بيروت، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م.
٨٤. محمد كاظم الفتلاوي (الدكتور)، مناهج المفسرين – دراسة في النظرية والتطبيق–، دار حدود، النجف الأشرف، ٢٠١٧م.
٨٥. ــ، العلم في المفهوم القرآني، مجلة القادسية، كلية التربية، المجلد: ٩، العددان: ٣–٤، ٢٠١٠م.
٨٦. محمد لطفي الصباغ (الدكتور)، بحوث في أصول التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.
٨٧. محمد ناصر الماجد، عادات أهل الجاهلية . دراسة موضوعية في ضوء القرآن الكريم .، رسالة ماجستير بكلية أصول الدين، قسم القرآن وعلومه، الرياض.

٨٨. محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، الناشر: الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، مشهد، ط٢، ١٤٢٥هـ.
٨٩. محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، اسرار التكرار في القرآن، تحقيق: عبد القدر احمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، ط٢، ١٣٩٦.
٩٠. مرتضى الحسيني الشيرازي، نسبية النصوص والمعرفة، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠١٢م.
٩١. مرتضى الحسيني الفيروزآبادي (ت:١٤١٠هـ)، فضائل الخمسة من الصحاح الستة، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٩٧٣م.
٩٢. المرغيني (ت:١٨٥٣م)، تاج التفاسير، طبعة مصورة، دار المعرفة، بيروت.
٩٣. مساعد الطيار (الدكتور)، إشكالية تحديد المصطلحات في الدراسات القرآنية: منشور في شبكة التفسير والدراسات القرآنية.
٩٤. ــ، التحرير في أصول التفسير، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، جدة، ٢٠١٤م.
٩٥. ــ، فصول في أصول التفسير، دار ابن الجوزي، الرياض، ط٣، ١٩٩٩م.
٩٦. ــ، مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسِّر، دار ابن الجوزي، الرياض، ط٢، ١٤٢٧هـ.
٩٧. المقداد السيوري (ت:٨٢٦هـ)، كنز العرفان في فقه القرآن، مكتب نويد اسلام، قم، ١٤٢٢هـ.
٩٨. المناوي (ت: ١٠٣١هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.
٩٩. ابن منظور (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (دت).
١٠٠. ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م.

١٠١. ابن النديم (ت:٣٨٠هـ) أبو الفرج محمد، كتاب الفهرست، تحقيق: رضا الحداد، بيروت، ط٣، ١٩٨٨م.
١٠٢. ــ، القواعد الفقهية، نشر: مدرسة الإمام أمير المؤمنين ع، ط٢، قم، ١٤١٠هـ.
١٠٣. الواحدي (ت:٤٦٨هـ) أبي الحسن علي، التفسير البسيط، تحيقي: مجموعة من الاساتذة، دار العماد للدراسات والبحوث، دمشق، ٢٠١٣م.
١٠٤. ــ، أسباب النزول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م.
١٠٥. يعقوب بن عبد الوهاب الباحسين، القواعد الفقهية، مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٩٨م.

محفوظة جميع الحقوق

الفهرس

المقدمة..... ٧

الفصل الأول: مقدمات تمهيدية..... ١٣

المبحث الأول: أهم المؤلفات في أصول التفسير والموضوعات المندرجة في هذا العلم الشريف..... ١٥

المبحث الثاني: معالم ومقاصد القرآن الكريم..... ٢١

الفصل الثاني: مبادئ علم أصول التفسير.....٣١

المبحث الأول: تعريف علم أصول التفسير، وغايته وفائدته، وأهميته..... ٣٣

المبحث الثاني: استمداد علم أصول التفسير..... ٤٥

المطلب الأول: مفهوم الاستمداد وشرطه..... ٤٥

المطلب الثاني: علوم الاستمداد التي يحتاج إليها المفسر..... ٤٥

المطلب الثالث: كيف نشأ علم أصول التفسير؟..... ٥١

المبحث الثالث: شروط المفسّر وآدابه ٦٠

الفصل الثالث: مصادر أصول التفسير..... ٦٣

المبحث الأول: الأصل (المصدر) الأول: النقلي..... ٦٦

المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن..... ٦٦

المطلب الثاني: الأصل (المصدر) الثاني: تفسير القرآن بسنة المعصوم..... ٨٢

المبحث الثاني: الأصل (المصدر) الثاني: العقلي..... ١٠٤

المطلب الأول: مدخل في المصطلح والمفهوم..... ١٠٤
المطلب الثاني: اتجاهات الفِرق الإسلامية وآراء علماء التفسير في الأصل العقلي.. ١٠٩
المطلب الثالث: ضوابط في منهجية المصدر العقلي عند تفسير القرآن الكريم..... ١١٥
المبحث الثالث: الأصل (المصدر) الثالث: اللغوي..... ١١٨
المطلب الأول: مدخل في مفهوم الأصل اللغوي..... ١١٨
المطلب الثاني: ضوابط التفسير باللغة..... ١٢٥

الفصل الرابع: ضوابط التفسير (وفيه ١٥ ضابط للتفسير) **١٣٥**

الفصل الخامس: قواعد التفسير..... ١٦٧
المبحث الأول: تحرير بعض مسائل القواعد..... ١٦٩
المبحث الثاني: القواعد التفسير وخصائصها..... ١٨١

الخاتمة ٢٤١
اهم المراجع والمصادر..... ٢٤٧
ملخص اللغة الانكليزية..... ٢٦٢

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٩٠٧) لسنة ٢٠١٨م

Method of the book: Liberation depended in the inductive book on the method descriptive analytic raved, solicitor single flag of origins of the interpretation and from then her statement and her importance.

Hopes to benefits us Allah rose hereby the effort in the houses, and universes put to builder of the studies built in Quranic.

Assistant professor the doctor
Mohammed Kathim ALFatlawy
Shami / Iraq
2019

الملخص باللغة الانكليزية:

The English summary in the language:

The origins of thinking

-A study in the general principles, controls and rules-

The most important function performed by knew the origins of the thinking is to Adjust the inference is only that (all of the books in the rules of interpretation save him by adjusting the wording and spackle).

That important position performs her ambidextrous origins of the interpretation she the devisal knew and their close friend, and the preponderance the stubborn disagreement, then in him the bases and the bases which introduces in her interpretation talk of Allah, and the scientific conditions and the introductions which needs her the explainer. Already the searching about origins for the interpretation and the interpretation became obsession the enemy laborers in the interpretation of interview.

المؤلف في سطور

الاسم: محمد كاظم حسين الفتلاوي.

* حاصل على اللقب العلمي: (أستاذ) Professor

في ١٧/ ١٢/ ٢٠٢٠م.

* أستاذ في التفسير وعلوم القرآن الكريم في كلية التربية المختلطة/ جامعة الكوفة.

شغل مهام:

* رئيس قسم علوم القرآن الكريم / كلية الفقه الجامعة (اعارة).

* مسؤول وحدة الارشاد النفسي والتوجيه التربوي / كلية التربية.

* أمين مجلس كلية التربية.

الشهادات الأكاديمية:

١. خريج قسم التربية الإسلامية في معهد اعداد المعلمين / الديوانية ١٩٩٧م. (العشرة الأوائل).

٢. حاصل على شهادة البكالوريوس في علوم القرآن والتربية الإسلامية/ جامعة بغداد / كلية التربية (ابن رشد)/ ٢٠٠١م.

٣. حاصل على شهادة الماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية / كلية الفقه / جامعة الكوفة عن رسالته الموسومة بـ(حرية العقيدة والرأي في الفكر الإسلامي) وبتقدير (أمتياز). ٢٠٠٨م.

٤. حاصل على شهادة الدكتوراه في علوم القرآن الكريم والحديث الشريف / كلية الفقه / جامعة الكوفة/ عن أطروحته الموسومة بـ(المنظور القرآني في بناء الإنسان – دراسة تفسيرية –) وحاصلة على تقدير (أمتياز). ٢٠١٣م.

* محاضر لمادة (الميراث) في كلية القانون / جامعة القادسية لسنتين: ٢٠٠٧ – ٢٠٠٩م.

* محاضر لمادة: (العقائد، الفكر الإسلامي، مناهج المفسرين، مدارس فقهية، حقوق الإنسان) في كلية الدراسات الإنسانية الجامعة (الكفيل) / النجف الاشرف/ لأربع سنوات: ٢٠٠٨ – ٢٠١٢م.

* شارك في مؤتمرات علميّة عديدة.

* نشر بحوث علميّة في مجلات علميّة محكمة.

* نشر مقالات ثقافية في مجلات معنية.

* عضو هيئة عامة في جمعية منتدى النشر / النجف الأشرف.

* عضو المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة – جمعية علميّة- النجف الأشرف.

* عضو نقابة المعلمين / فرع النجف الأشرف.

* عضو جمعية أبي طالب الخيرية / قضاء الشامية/ المسؤول الثقافي.

* عضو المركز الإعلامي العراقي المقر العام/ الديوانية.

*** عضو في لجنة:**

- عضو لجنة تأليف مناهج التربية الإسلامية في وزارة التربية.
- عضو لجنة تأليف مناهج التربية الإسلامية في وزارة الداخلية.
- عضو لجنة تأليف المناهج الإسلامية في ديوان الوقف الشيعي.
- عضو لجنة الارشاد التربوي المركزية في ديوان جامعة الكوفة. ٢٠٢٢م

للتواصل مع المؤلف:

mohamadk323@gmail.com
mohammedk.alfatlawy@uokufa.edu.iq
http://staff.uokufa.edu.iq/profile.html?mohammedk.alfatlawy

كتب صدرت للمؤلف

١- **كتاب: الإدارة المدرسية في الفكر التربوي الإسلامي**، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٠٣١) لسنة ٢٠١٠م.

٢- **كتاب: الفرائض العبادية وأثرها في البناء الإنساني – دراسة قرآنية** -، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١١٣٤) لسنة ٢٠١٤م.

٣- **كتاب: الإعجاز في القرآن الكريم – دراسة في التفسير العلمي للآيات الكونية** - رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٥٤٤) لسنة ٢٠١٥م.

٤- **كتاب: الفرق الإسلامية الكبرى** – الإمامية، المعتزل، الاشاعرة – دراسة مدخلية مقارنة في النشأة والأصول. رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٣٦) لسنة ٢٠١٦م.

٥- (كتيب): **اخلاقيات مهنة الشرطة في الفكر الإسلامي**. نشر كلية التربية / جامعة الكوفة ٢٠١٦م. رقم الإيداع: ٧٨٠ لسنة ٢٠١٦م.

٦- **كتاب: مناهج المفسرين – دراسة في النظرية والتطبيق**-، نشر دار حدود النجف الاشرف ٢٠١٧م. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٦٢٨) لسنة ٢٠١٧م. طبعة ثانية: ٢٠٢٠م

٧- **كتاب: المجتمع الإسلامي المعاصر** -دراسة في ضوء الكتاب والسنة-، دار حدود للنشر، بيروت، ٢٠١٨م الطبعة الثانية: ٢٠٢١م، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٧٨) لسنة ٢٠١٨م.

٨- **كتاب: أصول التفسير** –دراسة في المبادئ العامة والضوابط والقواعد–، دار حدود للنشر والتوزيع، ٢٠١٩م. ورقم الايداع في دار الكتب ببغداد (٣٩٠٧) لسنة ٢٠١٩م.

٩- **كتاب: أخلاقيات مهنة التدريس الجامعي**، تقديم: أ.د. بشرى اسماعيل أرنوط (مصر/ جامعة الزقازيق). الناشر: دار حدود، بيروت، ٢٠٢٠م. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٢٣) لسنة ٢٠٢٠م.

١٠- (كتيب): **ميثاق أخلاقيات مهنة التدريس الجامعي**، دار حدود، بيروت، ٢٠٢٠م. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٢٤) لسنة ٢٠٢٠م.

١١- كتاب: **التفسير التربوي للقرآن الكريم** -أضواء تربوية أخلاقية من وحي الآية الثانية عشرة من سورة الحجرات–، دار حدود، بيروت، ٢٠٢١م، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٨٥١) لسنة ٢٠٢١م.

١٢- كتاب: **أساليب القرآن الكريم** – دراسة في النظرية والتطبيق –، دار حدود، بيروت، ٢٠٢٢م. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٤٤) لسنة ٢٠٢٢م.

١٣- كتاب: **علوم القرآن التاريخية** (تاريخ القرآن)، نشر: مؤسسة الصادق الثقافية، بابل، ٢٠٢٣م. رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٥٠) لسنة ٢٠٢٢م.